الهلال

يوليو ١٩٤٧
٥ قروش

شجرة الدر ..

[انظر صفحة ٩٧]



بيننا وبين القراء

لكل حى حياتان ، حياة مادية ، وحياة روحية . وللمجلات كما للرجال حياتان ، وقد سعدت «الهلال» بحياتها المادية حتى رضيت . وهى تريد أن تسعد أيضاً فى حياتها الروحية . ولن يكون هذا إلا بالاتصال الروحى ، والتجاوب النفسى بينها وبين قرائها

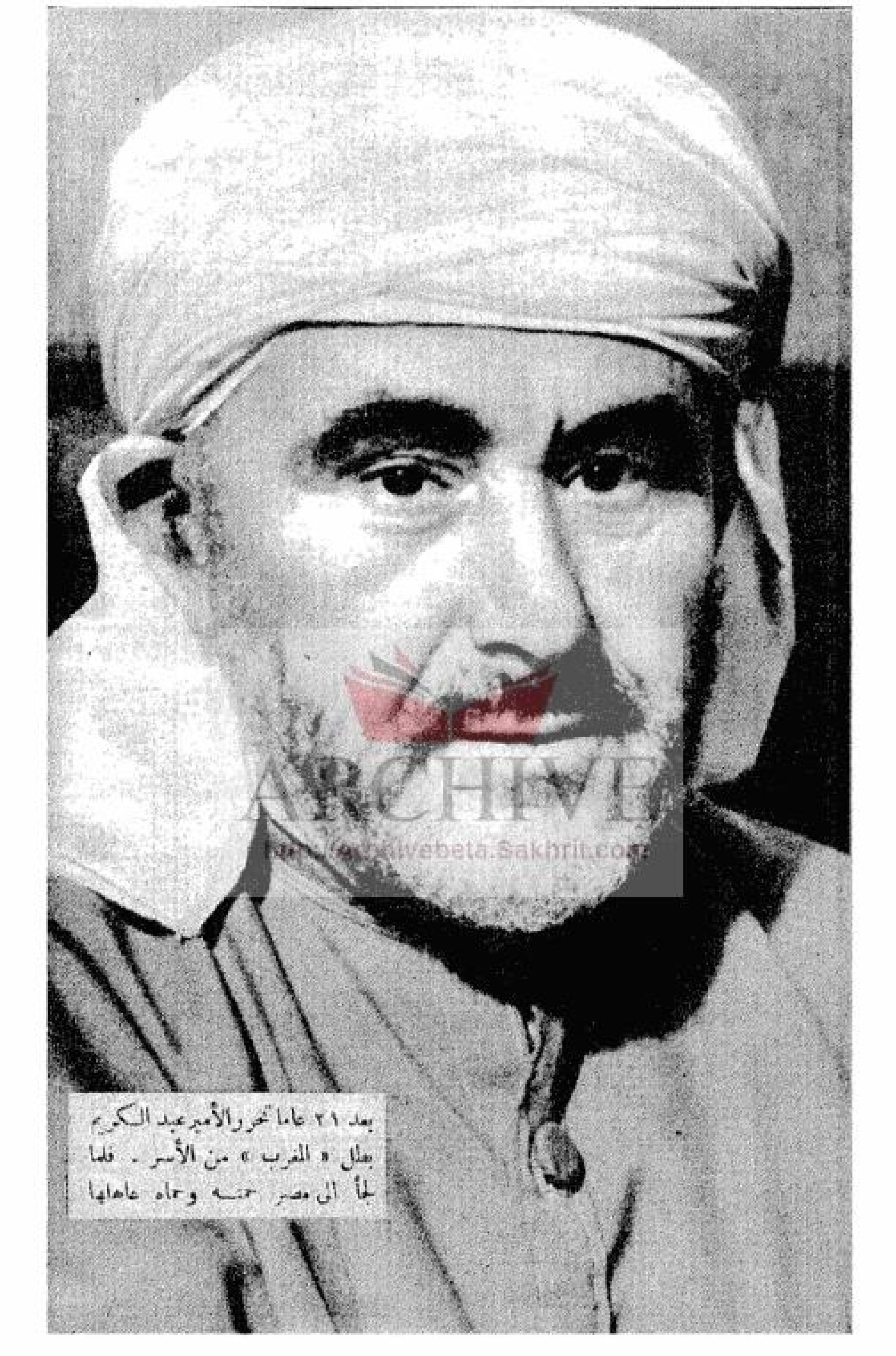
وهى فى سبيل ذلك قد عمدت الى أمرين ، تعرضهما على قرائها الكرام عسى أن يكون منهم ترحيب وتكون استجابة :

أما الأمر الأول فهو دعوة توجهها الى كل قارىء أن يكتب الى «الهلال» عما يعن له من اقتراحات لمواضيع يود أن يرى كتاب «الهلال» يكتبون فيها

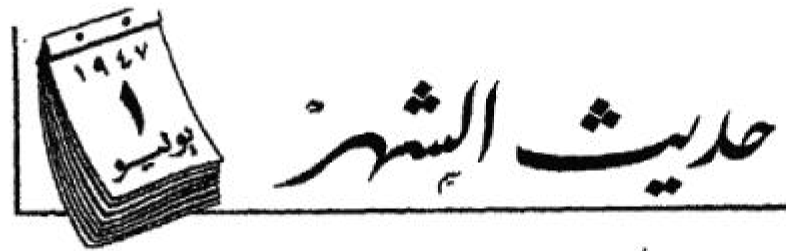
والأمر الثانى دعوة توجهها أيضاً الى كل قارىء أن يكتب الى «الهلال» بكل سؤال يعن له مما يود أن يجد له على صفحات «الهلال» جواباً

وستعمل «الهلال» على تحقيق الأمرين ، وستعمل فى حدود الامكان بقدر ما تتسع صفحاتها . وسيكون لكل خطاب رد بالشكر فى حدود الطاقة

والله ولى التوفيق



بعد ٢١ عاما تحرر الأمير عبد الكريم بطل « المغرب » من الأسر . فلما لجأ الى مصر حمته وحماه عاهلها



هدوء وركود

من عادة الصيف ان يكون فترة هدوء وسكون ، فالشمس تصب أشعتها على الأرض فى صمت . واذا توارت فى الأفق ، جرت الريح نسائم تحرك أوراق الشجر فى رفق . ولا تكاد تنال بالهزة أعصابه . والناس يجرى فى مجارى الحياة على مثل ما شاءت الطبيعة من سكون ، فحيثما توجهت لم تجد الا خمودا ، والا ركودا . وقد تعمل الأجسام ، وتعمل العقول ، ولكن بالقدر الذى يدير العجلات ولا يقف بالعربة

والأحداث عودتنا فى الصيف أن تنام ، كما تنام الطبيعة وكما ينام الناس

الحوادث تستيقظ

ولكن الحوادث استيقظت فى هذا الصيف على غير عادة ، واستيقظت على صراخ لا يأذن لأحد أن ينام . ولا لطالب راحة ان يستجم ، يستوى فى ذلك ، فى مصر ، وفى الشرق ، الشعب والحكومة

قضية مصر

وأول هذه الحادثات وأخطرها علاقة مصر بالدنيا ، ومكانها من الدنيا . واذا قلنا مصر فقد قلنا الشرق العربى كله . والشرق الأدنى فان هى خرجت من هذا الصراع عزيزة ، فالشرق عزيز . وان هى ذلت فالشرق ذليل . وقصتها من الاستقلال كقضية التجريب ، يتقدم بها أحد المهضومين ليثبت حقا . فاذا ثبت ونجح المسعى ، سار سائر المهضومين على أثره ليكسبوا من الحقوق مثل كسبه . واذا أخفق فلسائرهم الاخفاق . ولمن ظن انه فى حقوقه القليلة آمن ان يصاب فى ظنه ، وان يخدع فى أمنه . ولمن حسب انه سالم الأيام ان يراجع حسابه فلا ينتظر من مستقبل أيامه الا حربا

لابد من انتظام

ولقد عرف القريب والبعيد ، والمتصل بأرباب السلطان وغير المتصل ، ان المحكمة التى نلجأ اليها ، سواء مجلس الامن كانت ، أو هيئة الأمم ، ليست الا مجموعة من أمم ذات

منافع ، يمثلها رجال مأمورون فى الذى يقولون ويحكمون . وان المسألة ليست حكما فى صحة حق . وعدالة مطلب ، ولكنها فى كيف يؤثر هذا الحق ، لو أعطى ، فى صوالح هذه الأمم أو تلك . والصوالح بين الأمم مقارضات . ولسنا مع الأسف من القوة أو من الغنى بحيث تقرض الكثير . ففى مثل هذا الحال الذى يسود العالم يجب ان لا ننتظر من الغير الشىء الجليل . انها محكمة وجب ان نتقدم اليها ما دمنا قد قبلنا نظام الأمم هذا ، ودخلنا هيئته هذه . وسيكون لنا على مسرحها ، وهو أكبر مسرح فى العالم ، فرصة لنشر حجتنا ، وشرح قضيتنا ، ودعاية لا يمكن ان تتهيأ لنا فى مكان غير هذا ، وبأسلوب غير هذا . وقل ان تنفعنا هذه فى تقرير حق ، ولكنها نافعتنا يقينا عند استئناف جهاد . فللأمم حكومات ، ولكن لها أيضا شعوب ، وهى ذات ضمائر . فان خذلتنا الحكومات فسوف لا تخذلنا ، على السنين وعلى الجهاد ، ضمائر الشعوب

محكمة سياسية

ومن الناس من يهول فى أمر القضاء الذى تقضى به علينا هذه المحكمة أو تلك . ولقد كان قضاؤها هائلا لو أنها محكمة عدل . ولكن الناس ، فى أقاصى الأرض ، قد عرفوا أنها محكمة سياسية . وحكم السياسة لا يزيد ، فهو يتغير من عام لعام كلما تغيرت الأوضاع . وبـواعدنا تتغير الأوضاع . وقد سبق اننا بسواعدنا غيرنا الأوضاع بعد ما أقر الرئيس « ولسن » حماية انجلترا على مصر بعد الحرب العالمية الأولى . وبسواعدنا سنغير الأوضاع عند ما يحكم مجلس الأمن ، أو تحكم هيئة الأمم ، لغيرنا ، أو لا تحكم أبدا . ومجلس الأمن ، وهيئة الأمم ، الى مثل ما صارت اليه عصبة الأمم القديمة صائران .. الى التحزب على الجور الذى مصيره الفناء . ونحن الى مثل ما صرنا اليه بعد الحرب العالمية الأولى صائرون بعد هذه الحرب الثانية .. الى جهاد فكسب يتبعه كسب ، ولو كره الكارهون ، وشكك فى عزيمتنا المتشككون

عبد الكريم

والتجأ المجاهد الكبير الأمير عبد الكريم الخطابى الى مصر فحمته ، وحماه عاهلها بأسرع من رجع الصدى . وحماه لبطولته . وحماه للنسب القريب . وحماه للمعنى الانسانى الجميل القديم الذى يعطف الانسان على الطائر ذى الجناح المهيض فيمنع عنه الصقور والنسور . ذلك المعنى الذى اتخذ منه العرب دستورهم فى منع الجار وفى النجدة وحفظ الذمار ، والذى فى سبيله قامت الحروب ففنيت فيها أعمار الرجال

انا لمن معشر أفنى أوائلهم
قيل الكماة الى أين المحامونا
لو كان فى الالف منا واحد فدعوا
من فارس ؟ خالهم اياه يعنونا

وأثارت فرنسا غبارا كثيرا ، وزمجرت ودمدمت، وهددت وتوعدت ، وذكرتنا بقضيتنا عند مجلس الامن ، وبأنها من قضاته . وما اطمأننا قط الى قضائها ، وما عرفنا قط أنها وقفت الى جانب مصر الا عند ما كانت تغمز جارتها الكبرى وتلمز ، تطلب منفعة وتبغى صفقة ، فلما بلغت من ذلك مأربا ، بطل الغمز وأمسك اللامزون

ولن تغنى فرنسا زمجرتها ودمدمتها، ولن يغنيها تهديدها ووعيدها ، فمصر اليوم غير مصر الأمس ، فهى لاتخاف أحدا ، ولا تعتمد على أحد . وفرنسا هى الخاسرة اذا تشبثت بخصام . والعرب اليوم غير عرب الأمس، وقد كادوا أن يدركوا ان الحقوق لاتدرك برجاء ، ولكن توحد العصا با . والزمان فى جانب مصر والعرب . فما هذا الزمان بزمان ينفى فيه أبطال استقلال ، وينفون على الذلة والضيق عشرين عاما . وما هو بزمان يضيق فيه على الشعوب ، وتحاط ملايينهم بالحراس والحجاب ، وتغلق بينهم وبين الدنيا الأبواب ، وتقطع الأسباب

فرنسا من القرون

ان فريقا من أهل فرنسا يعيش بجسمه فى القرن العشرين ، ولكنه بروحه فى القرن العاشر . انهم يعيشون على الأنانية ، وكذلك دول القرن العشرين . ولكن أنانيتهم أنانية غاشمة ، غير مهذبة ، كأنانية القرون البالية . بينما أنانية القرن الحاضر أنانية فيها كثير من اللباقة وبعد النظر . أنانية تعطى مصر استقلالها ولو منقوصا ، وتخرج من الهند فى طلب الصداقة والعون ، وتخرج عن الفيلبين ، وتحترم مشيئة الاندنوسيين ولو بعض احترام ، وتعترف لهؤلاء الأقوام بكينونيتهم ، وبلغاتهم وثقافاتهم ، ولا تمنعهم ان يستقوا الثقافة من حياض الأمم أيا شاءوا ، وترضى بالأسلوب الذى يرضونه للحياة

انا نكبر من فرنسا ، بلد الفن وحصن الحرية القديم ، تلك التى عمدت الى « الباستيل » ، سجن الاحرار الأول ، فهدمته ، نكبر منها ان تقوم فتشيد أكبر سجن لعشرين مليونا من الأحرار أو يزيدون ، جدرانه الماء والصحراء ، لأنهم يريدون ان يبقوا على أصولهم ولغاتهم ، وما بينهم وبين مصر والعرب من أرحام

ان صداقة العرب لفرنسا غير قليلة . وكذلك العداوة غير قليلة . فلتنظر فرنسا أيهما تختار ، تعاونا يأتلف مع زوج العصر ، أم جمودا يريد أن يرجع بالزمان الى الوراء ؟


هيئة الدفاع
عن القضية المصرية
بعد أن أخفقت المفاوضات والأساليب
الودية مع الانجليز بصدد القضية
المصرية ، تقرر عرضها على مجلس
الأمن .. وهذه هي هيئة الدفاع عن
حقوق مصر (بريشة الرسام المعروف
صاروخان) مؤلفة من : محمود فهمي
النقراشي ، عبد الرزاق السنهوري ،
عبد الحميد صالح ، محمود حسن ،
ممدوح رياض

أبي ..

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

أتمثله الآن فى الصورة التى رأيتها ألفى مرة بل أكثر من ألفى مرة ، لأننى كنت أراها كل يوم منذ فتحت عينى على الدنيا ، الى ان فارقت بلدى بعد اشتغالى بالوظائف الحكومية

وتلك هى صورته على مصلاه ، يؤدى صلاة الصبح ويجلس على سجادة الصلاة، من مطلع الفجر الى ماقبل الافطار، ليتلو سورا خاصة من القرآن الكريم ويعقبها بتلاوة الدعوات

وكان يؤدى الصلوات الخمس فى أوقاتها ، ولكن جلسته فى الصباح الباكر هى التى انطبعت فى ذاكرتى الى هذه الساعة ، لأنها كانت أول ما أستقبله من الدنيا فى كل صباح

ومن أجل الصلاة حدث بينى وبينه أول خلاف يوصف بالعصيان . فانه ـ رحمه الله ـ كان يدين بالجد فى الواجب ، أو بالشدة فى الجد . وكان يرى للطفل ما يراه للشيخ ، اذا كان الأمر أمر فريضة أو عمل محمود أو عرف مأثور

« لم أرث منه مالا يغنينى : ولكننى مدين له بالشىء الكثير .. فقد استفدت منه ما لا أقدره بمال »

من ذاك أنه كان يرانى فيما دون الثامنة من عمرى أجلس فى المنزل بين قريباتى وخالاتى وجارات المنزل، فيصيح بى مستغضبا : عباس .. ماذا تصنع هنا بين النساء ؟ تعال معى فاجلس بين أمثالك !

ومن هم أمثالى؟ شيوخ فيما بين الأربعين والسبعين ، كانوا يسمرون معه فى المندرة ويقضون الوقت فى أحاديث الشيوخ عن السياسة تارة، وعن قضايا الأسر الكبيرة تارة أخرى، وقلما يمزحون أو يتفكهون الا تأبوا الى وقارهم كالمعتذرين وكانت السهرة تنقضى على أحسن حال اذا حضرها شيخ متحذلق معلوم فيه بعض الغفلة .. فيناوشونه بالأسئلة المحرجة والدعابات المتناقضة . ثم يعودون الى ما كانوا فيه

وقد أفادتنى هذه الجلسات كل فائدة تأتى من التوقر قبل سن الوقار، وقلما يخلو من بعض الاضرار

ولكن فائدتها الكبرى كانت ولا ريب معرفتى بالقاضى احمد الجداوى

رحمه الله . فانه كان من أدباء الفقهاء الذين عاصروا السيد جمال الدين ، وأخذوا عنه دروس الحكمة والغيرة القومية ، وكان قوى الذاكرة واسع المحفوظ من المنظوم والمنثور، يستظهر مقامات الحريرى وبديع الزمان ودواوين الشعراء الفحول ، ويطارح خمسة أو ستة من الأدباء فى وقت واحد فيسكتهم دائما ولا يسكتونه مرة واحدة . فكانت معرفتى به احدى الدواعى التى حفزتنى للمطالعة والاقبال على الكتب والدواوين

ومن أمثلة الجد الشديد فى السيد الوالد ــ رحمه الله ــ انه كان ينظر الى « الصور » كأنها ألاعيب فارغة لاتليق بالعقلاء . فلم يتخذ له صورة قط ، ولم يوافقنى على شراء صورة من صور الفصول المدرسية التى كانت ترسم للمدرسة كل عام

على هذه السنة من الجد الشديد أراد ــ رحمه الله ــ ان أواظب على الصلاة فى أوقاتها قبل العاشرة من عمرى . فكان أثقل ما أعانيه من ذلك يقظة الفجر فى الشتاء ، وهو الوقت الذى يرين فيه النوم على الاطفال ، فلا يستيقظون الا بعد جهد عنيف

وصبرت على هذا الجهد العنيف مرتين أو ثلاث مرات أو أربع مرات، ثم تمردت دفعة واحدة ، وقلت لمن جاء يوقظنى : اذهب عنى . فلست بالمستيقظ .. ولست بالمصلى اليوم !

وسمع أبى ما قلت فصاح بى : ماذا تقول ؟ أتقول انك لا تصلى ؟ ووثب الى عصاه !

فذهب بى الاصرار مذهبه وقلت: نعم!

فصمت ولم يزد . وأعرض عنى أياما لا يكلمنى حتى تناسينا هذا الخلاف ، وكنا مع ذلك نجلس اليه جميعا على الطعام فى الصباح والمساء ، وأحيانا فى طعام الغداء

وموضع الشدة فى هذه المسألة اننى لم أكن أنفر من الصلاة ولا من الفرائض الدينية ، بل كنت أخف الى المسجد بعض الاوقات ، وأنشد على المئذنة أناشيد الجمعة الأولى، وظللت أنشدها بعد ذلك وأنظمها ، ولا أذكر للمؤذن اننى نظمتها لئلا يستصغرها ويرفض انشادها . ولكن الشدة صدمتنى لأنها كلفتنى ما لا أطيق قبل الأوان ، وجاءتنى فى معرض الاكراه والالزام ، وهى عبرة تساق للاستفادة منها فى هذا المقام .

ولا أزال أذكر ملامح السرور التى رأيتها على وجه أبى حين أنشدته قصيدة من تلك القصائد التى كنت أنظمها فى مدح النبى عليه السلام . فانه تهلل واستبشر ، ولعله تهلل واستبشر لنزعتى الدينية قبل براعتى فى نظم الشعر أو تجويد الكتابة ، ولم يلاحظ على الا اننى ختمت القصيدة بشطر أقول فيه على ما أذكر مشيرا الى نفسى « عباس من هو فى الاشعار مدرار ! »

فقال : ان الابا صيرى أكبر مادحى النبى قد ختم مدائحه معتذرا من التقصير . فافعل كما فعل.أو فاسكت عن الاعتذار وعن الاطراء

●

وكان - رحمه الله - يحتقر المال ان يطالبه بما يسوء فى الضمير ، أو يسيء الى انسان

وقد كان فى وسعه ان يجمع الثروة العريضة من وظيفته ، فلم يكسب منها غير مرتبه ، وما هو بالكثير

كان أمينا « للمحفوظات » باقليم أسوان ، وكانت أسوان خارجة من القلاقل الجسام التى حاقت بها فى حرب الدراويش . فمعظم أبنائها الأغنياء كانوا يتجرون فى السودان فانقطعوا هناك بعد انقطاع المواصلات ، وذهبت الوثائق فلم يدر أحد ما ذهب منها وما بقى بدار المحفوظات ، وتداولت هذه المحفوظات أيد كثيرة على غير انتظام فى التسليم والاستلام ، وكثر المدعون للأرض والعقار ، اعتمادا على ضياع الوثائق ، وغياب المالكين، وموت بعض الوارثين ، فلو شاء أبى فى هذه الفترة ان يخفى ويظهر ، وأن يقبل المساومة والاغراء ، لقاسم الكثيرين فيما يدعون أو فيما يملكون، ولكنه أوصد هذا الباب فلم يطمع فيه طامع، وسلم دار المحفوظات لمن بعده. وهى مثل فى الدقة والضبط وسهولة المراجعة والاحصاء

ومن تقديراته فى احتقار المال الذى يكسب من طريق الاساءة الى الناس، انه زجر أخى الكبير زجرا شديدا ، حين علم انه ينوى التبليغ عن بعض المتهمين فى قضية جعلت للمبلغ فيها مكافأة قدرها خمسون جنيها - أو مائة جنيه - لا أذكر الآن على التحقيق

وجلية القضية ان فتى من الشبان الوارثين بالقاهرة حضر الى أسوان فى الشتاء ، ومعه ألف جنيه

وكانت أسوان مرتاد السائحين والسائحات فى موسم الشتاء ، وفيها من أسباب الانفاق والمتعة مطمع لامثال ذلك الوارث ومن ياوذون بالمبذرين والمسرفين

وسرق الوارث قبل ان يستنفد من الالف مائة أو مائتين ، وانحصرت الشبهة فى شاب موظف بالمحكمة، كان يسكن مع أمه وأبيه فى بيت لنا مجاور للبيت الذى نقيم فيه ، فراحت أمه الى جارة لها تستجهلها وتظن انها لا تعرف ورق النقد الذى كان فى الواقع غير معروف بين أكثر الناس. فاستودعتها لفافة من الورق هى جلة المبلغ المسروق . ولكن المرأة أطلعت زوجها على الخبر وهو من كتاب الفرائض المدربين . فعرف الورق وعرف سر القضية وأخفى كل ما وصل اليه

مثل هذا الخبر لا يخفى بين سكان حى من أحياء الريف ، فعرفنا ما

حدث ، وعرفنا ان الوارث سمح بالمكافأة التى ذكرناها لمن يرشد الى السارقين ، ونظر أخى الكبير الى القضية نظر الرجل العصرى الذى لا يبالى ان ينتفع بالمال للتبليغ عن مجرمين ، ونظر أبى اليها نظرة الجيل القديم الذى يستعيذ من فضيحة الحرمات من أجل مال يبذره وارث سفيه .. فدعا بأخى أمامنا جميعا وأقسم له أغلظ الايمان لئن أقدم على التبليغ ليبرأن منه مدى الحياة ، ولا يأذن له ان يمشى فى جنازته بعد الممات

●

وكان يحاسب نفسه على كل حصة من المال تجتمع فى حوزته وتفرض عليها الزكاة ، فيوزعها خفية ، ويرسلنى بها الى بيوت بعض الفقراء الذين لا يتعرضون للسؤال ، ولا يرد مسكينا يطلب الطعام من المساكين الذين يترددون على الأبواب

وكان كثير العطف على ذوى قرباه ، يزورهم فى المواسم والاعياد ، سواء منهم من كبر ومن صغر ، ومن استغنى ومن افتقر ، على ما كان فى انتقاله اليهم من المشقة بعد ان جاوز الخمسين ، واذا استخلص منهم واحدا أسداه رأيه وخلوص طويته ، شاوره فى الجليل والدقيق من شؤون الأسرة ، واعتمد على مشورته فى كثير من الاحيان

ولم يكن يغضب لشىء كما كان يغضب لكرامته وسمعة اسمه . ومن ذلك انه كان له حمار يتنقل عليه من قرية الى قرية ، حين كان معاونا للادارة . فلما استقر بالمدينة باعه لبعض المكارين . وكان الحمار مشهورا بالسرعة وهدوء الحركة ، فكان المستأجرون يطلبونه ويقولون للمكارى : هات حمار العقاد . ثم اختصروا كعادتهم فأصبحوا يطلبونه فيقولون : هات العقاد ! هات العقاد . فلما سمع بذلك عاد فاشتراه وقبل المغالاة فى ثمنه على غير حاجة اليه .. واستبقاه يعلفه ويتحمل ضجته ، حتى اشتراه من ينقله الى قرية بعيدة لا يستخدمه فيها بالكراء !

ولم يكن مكثرا من القراءة فى غير الكتب الدينية ، ولكنه كان يحدثنا دائما عن تجاربه ومصاعب حياته ، ويأبى علينا أن نستمع الى أقاصيص العجائز وحكايات الأساطير

على أننى وجدت فى دواليب المندرة ، بعد ان بلغت سن القراءة ، اعدادا كثيرة من مجلة « الاستاذ » لصاحبها عبد الله نديم ، فاتصلت بالحركة الوطنية قبل ان تنشأ فى القطر صحيفة من صحفها الحديثة

وجملة ما أذكره لذلك الأب الكريم ، اننى مدين له بالشىء الكثير ، واننى لم أرث منه مالا يغنينى . ولكنى استفدت منه ما لا أقدره بمال

عباس محمود العقاد

ندوة الهلال

تقدم منذ أسابيع محمد على علوبة باشا الى مجلس الشيوخ بمشروع قانون ببعض أحكام الأحوال الشخصية ومنها تقييد حق الطلاق . . فرأينا أن نعرض هذا الموضوع للمناقشة فى ندوة الهلال .. فدعونا رجلين من كبار رجال الدين والشرع ، وسيدتين من فضليات السيدات المهتمات بشؤون المجتمع . . واليك ما دار بينهم من حديث سجلناه حرفياً

العصمة في يد من تكون ... الزوج أم الزوجة أم القاضى ؟

الأستاذ عبد الوهاب خلاف ، السيدة نظلة الحكيم ، السيدة أمينة السعيد ، الشيخ محمود أبو العيون

الاستاذ خلاف — أرى أن نبدأ الحديث بايراد خلاصة تشريعنا الذى يجرى عليه العمل الآن فى حق التطليق ، ومن يملكه ، وهل يجب ان تبقى الحال على وضعها أو تعدل ؟

السيدة نظلة — الموضوع هو ، هل تكون العصمة بيد المرأة أم بيد الرجل أم تسند الى القاضى ؟ فالزواج شركة بين طرفين ، والمراد بيانه هو لمن تكون الكلمة الفاصلة فى أمر انهاء الحياة الزوجية ؟

السيدة أمينة — يرى الاستاذ خلاف ان نلخص — أولا — تشريعنا الذى يجرى عليه العمل الآن ، لتكون المناقشة عن بينة ، وهذا حسن

الشيخ أبو العيون — علينا ان نتناقش فيما هو واقع الآن ، حيث العصمة بيد الرجل أصلا ، وبيد القاضى فى بعض الحالات ، وفيما اذا كان التشريع الحالى يلائم الحياة الزوجية أم لا ؟

الأستاذ خلاف — لكى ننتهى من هذه المحادثة الى نتيجة عملية ، ينبغى ان نستعرض النظام التشريعى المتبع الآن فى حق الطلاق ومن يملكه ، وهو نظام مأخوذ من المذاهب الأربعة ، وخلاصته ان الزوج له الحق المطلق فى ان يستقل بتطليق زوجته فى أى

وقت ، بدون توقف على اذن القضاء أو رضا الزوجة ، بل ولا على علمها به . وللزوجة التى فوض اليها زوجها تطليق نفسها وجعل عصمتها بيدها الحق فى ان تطلق نفسها بمقتضى هذا التفويض

وأما الزوجة التى لم يجعل الزوج عصمتها بيدها ، فليس لها الحق فى ان تطلق نفسها من زوجها . وقد نص القانون على خمس حالات جعل لها الحق فى كل حالة منها ان تطلب من القاضى ان يطلقها من زوجها — هذا هو النظام القائم ، فهل يوجد ما يدعو الى تعديله ؟

السيدة نظلة — تعنى بالحالة الثانية ان هذا حقه وقد يتنازل عنه للزوجة ؟

الاستاذ خلاف — نحن لا نعبر عنه بالتنازل ، لأن التفويض لا يسلب الزوج حقه ، وانما هى تتولى هذا الحق نيابة عنه ، فلها ان تطلق نفسها اذا ملكها زوجها هذا الحق ، أثناء عقد الزواج ، أو بعده ، أو فى أثناء الحياة الزوجية ، وفقا لما اتفقوا عليه من شروط لا تتنافى مع الشرع ومقتضى العقد . واذا لم يفوض الزوج زوجه فى ذلك امتنع عليها ان تطلق نفسها الا فى حالات نص عليها القانون ، وهى حالات عدم الانفاق ، أو العيب الذى تتعذر معه الحياة الزوجية ، أو الضرر ، أو غيبة الزوج سنة فأكثر بلا عذر ، أو الحكم بسجنه ثلاث سنوات فأكثر ، ففى هذه الحالات يجوز لها ان تطلب الى القاضى تطليقها من زوجها

السيدة نظلة — أرى ان هذا نوع من التيسير فيه اصلاح للناحية الخلقية

الاستاذ خلاف — بعد ان استوضحنا النظام القائم ، هل المصلحة فى بقائه ، أو فى جعل الزوج كالزوجة لا يطلق واحد منهما الا بوساطة القضاء ، أو يجعل عقد الزواج كسائر العقود لا يحل الا بتراضى الطرفين ، أو يطلق حق التطليق للزوجة كما أطلق للزوج ؟

هذه هى جميع الاحتمالات، وحديثنا يجب ان يكون فى دائرتها

السيدة نظلة — لا بد ان يدور البحث حول الأصل الشرعى الذى جعل العصمة بيد الرجل ، اذ اسند الشارع اليه هذا الحق ، لأنه أقدر على ضبط نفسه ، وامتلاك زمامها ، وعدم التسرع بفصم عرى الزوجية لأول بادرة

السيدة أمينة — هل هناك نص على قصر هذا الحق على الرجل ؟

السيدة نظلة — هذا الحق مقصور صراحة على الرجل بنص الآيات القرآنية



السيدة أمينة السعيد والأستاذ عبد الوهاب خلاف أستاذ الشريعة بكلية الحقوق والسيدة نظلة الحكيم والشيخ محمود أبو العيون يتناقشون فى قاعة الاجتماعات بدار الهلال

الأستاذ خلاف — ان آيات الطلاق الواردة فى القرآن أسندت حق الطلاق الى الأزواج ، قال تعالى : « اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن » وقال : «وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن» وكل آيات الطلاق أسند التطليق فيها الى الأزواج لا الى الزوجات، فدل هذا على انه حق الزوج ، ونريد ان نعرف الضرورة التى تقتضى ان نغير نظاما من النظم القائمة الآن.

السيدة أمينة — أنا أرى ان يكون هذا الحق للقاضى ، فلا يستقل أحد الزوجين بسلطة التطليق، فالزوج اذا أراد ان يطلق رفع الأمر للقاضى ، كما ان الزوجة اذا أرادت الطلاق رفعت الأمر للقاضى

الأستاذ خلاف — هذه الفكرة تتفق وما هو معمول به عند بعض الطوائف غير الاسلامية

السيدة أمينة — أنا لا أنظر الى ذلك ، ولا أتقيد بشيء

الأستاذ خلاف — الطلاق عند بعض الطوائف المسيحية لا يكون الا فى حالة الخيانة الزوجية ، ودستورهم

هو : « من طلق زوجه لا لعلة الزنا يجعلها تزنى » . . ولا يكون الطلاق عندهم الا بوساطة المجلس الملى . يطلب الزوج الطلاق لهذه العلة وتنكرها الزوجة ، فاذا ثبت للمجلس صدق الدعوى حكم بالطلاق والا فلا

السيدة أمينة — أحب ان أقول : ان فساد الحياة الحاضرة أدى بالرجل الى اساءة استعمال هذا الحق ، فقد يلجأ اليه لأسباب غير عملية لاتبرره ، كالغضب أو الرغبة فى زوجة أخرى أو نحو ذلك ، وقد يتضاعف الضرر اذا أعطيت المرأة هذا الحق مطلقا كالرجل ، اما اسناده الى القاضى ففيه اقرار للحياة الزوجية ، ورقابة على حسن استعمال الحق ممن يملكه

السيدة نظلة — أعترض ، لأن شرعية الزواج بين شخصين تتنافى مع وجود العصمة فى يد ثالث

الشيخ أبو العيون — وهل يسلب الزوج هذا الحق مطلقا ، وهو مستمد من القانون الشرعى ؟ لقد أعطى الزوج حق تطليق زوجته فى أى زمان وعلى أى حال يكون وهو نافذ بمجرد النطق به

السيدة أمينة — أرى ان ما قلته يتفق مع روح القانون الشرعى ، لأنى لا أسلب الزوج حقه ، ولكن أجعل استعماله اياه تحت اشراف القضاء ورقابته

الشيخ أبو العيون — وأنا أقول ان هذا لا يتفق مع الشرع ، اذ ان معناه انه لو طلق الزوج بدون اذن القاضى ، لا يقع الطلاق

السيدة أمينة — ليس فيما قلت مخالفة لروح الدين ، وفى القرآن آية نصها : « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ، ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما » فمبدأ التحكيم ليس للتفريق

الشيخ أبو العيون — اذا فشلت اجراءات التوفيق ، واستحال ارضاء الطرفين ، فحق التطليق يجب ان يظل باقيا للزوج لا يسلب منه أبدا

الأستاذ خلاف — أعتقد أن التوفيق بين فكرتى السيدة أمينة والأستاذ الشيخ أبو العيون ، هو فى مشروع القانون الذى تقدم به سعادة علوبة باشا الى مجلس الشيوخ ، لأنه لايجعل التطليق من حق القاضى ، وانما يجعله للزوج باذن من القاضى ، أى انه يجعل الكلمة للقاضى ولا يسلب الزوج حقه . فيكون الطلاق صادرا من الزوج ولكن بعد اذن القاضى وتحرياته وبذله الجهد فى التوفيق

الشيخ أبو العيون — ظاهر من هذا ان سلب الحق هنا ممكن ، أو هو على الأقل يقبل باذن القاضى ، ولم يقل بذلك أحد من الفقهاء

الاستاذ خلاف ـ هو تنظيم لاستعمال هذا الحق وليس سلبا له ، وكثير من الحقوق الثابتة للواقفين بحجة الوقف ، لا يباشرونها الا باشراف القضاء

السيدة أمينة ـ هذا يشبه مبدأ الحجر

الأستاذ خلاف ـ الحجر على السفيه يسلبه حقه فى التصرف فى ماله ، وانت انما تعنين ان الزوج يطلق بلسان القاضى

السيدة أمينة ـ النتيجة واحدة

الشيخ أبو العيون ـ فى هذا سلب لحق الرجل من أساسه فلا يصح اقراره

السيدة نظلة ـ اذا نظرنا الى الدين رأينا انه جاء فى عصر انتشرت فيه الفوضى فى العلاقات الزوجية وغيرها ، فعمل على تنظيم هذه الناحية الأساسية فى بناء المجتمع ، اذ كان الإتصال الجنسى غير منظم حتى القرن السادس بعد الميلاد ، وكان الرجل اذا أراد الزواج ، وجب عليه ان يعمل لدى أهل زوجته فترة من الزمن تتحرّ فيها مقدرته على الصبر والعمل ، كما ورد فى قصة شعيب وموسى ، وقد حددوا هذه الفترة بعام أو أكثر ، وبعضهم جعل نهايتها مولد الطفل الاول للزوجين . ولما كان الزوج يتحمل العناء خلال هذه الفترة ، رئى ان تكون له الكلمة الأولى فى شأن الطلاق ، وقد رأى العالم فى مدى الملايين من السنين ان الرجل بطبيعته أقدر على حمل أعباء الحياة وعلى رياسة الأسرة والانفاق عليها

السيدة أمينة ـ اذن أنت تؤيدين ان يكون حق الطلاق له وحده . وقد فاتك ما نرى اليوم من فوضى الطلاق بسبب هذا الوضع

السيدة نظلة ـ تبين لى من الاحصاءات والبحوث التى قمت بها فى مصر وسوريا ولبنان، اننا نبالغ فى الحديث عن هذه الفوضى ، وعندى انه يجب ان تكون العصمة فى يد من هو أقدر على الاضطلاع بعبئه ، ولست أرى ما يبرر تغيير الوضع الحالى . وقد ثبت ان الطلاق يكثر فى السنوات الثلاث الأولى ، فلا بأس من وضع تشريع يمنع الطلاق فى هذه الفترة الأولى من الزواج

الأستاذ خلاف ـ أستخلص من هذه الاحاديث اننا جميعا لا نرضى ان يكون الطلاق متوقفا على رضا الطرفين، وهذا عدل ، لأن السبب الداعي اليه قد يكون قائما بأحد الزوجين وحده ، فاذا رفض الثانى الطلاق تفاقم شقاء الطرفين . وكذلك لا نرضى ان تعطى الزوجة حق التطليق وحدها كالرجل، لأن شكوانا من سوء تصرف بعض الأزواج تتضاعف من سوء تصرف

أكثر الزوجات . وان الخلاف الآن قائم فى : هل يكون الطلاق بيد القاضى وحده ، أو يكون للزوج مطلقا وللقاضى بناء على طلب الزوجة طبقا لما يجرى عليه العمل الآن ؟

السيدة أمينة — أما أنا فأختار الرأى الأول ، وهو أن يكون الطلاق بيد القاضى

الأستاذ خلاف — وأنا لا أوافق على هذا بل لا أوافق على توقف التطليق على اذن القاضى ، وأرى ان التجربة العملية دلت على أن ضرر تدخل القضاء فى شأن التطليق بأى نوع من التدخل ، أشد من ضرر استقلال الزوج بهذا الحق ، فقد رأينا فى كل قضايا التطليق المعروضة على القضاء انها تكون مجالا لافشاء أسرار واختلاق معايب ، وانها كثيرا ما تترك وصمة وعارا للزوجين ولأسرتيهما أمدا طويلا . وفى رأيى ان استقلال الزوج بحق التطليق — مع ما فيه من ضرر فى بعض الأحيان — أخف ضررا من توقف التطليق على القضاء . وعرض الأسرار الزوجية على المجتمع

الشيخ أبو العيون — وانى أؤيد هذا الذى ذهب اليه الاستاذ خلاف ، لأن فيه احتفاظا للزوج بما جعله الشرع له ، وسترا لما أمر الله بستره من عيوب الناس وأسرارهم

السيدة نظلة — وأنا أؤيده أيضا ، لأنه درس قيم اكتسبه العالم بعد خبرة طويلة ، وأزيد عليه فقط ، تقييد الطلاق فى السنوات الثلاث الأولى للزواج ، عسى ان يكون فى ذلك فرصة للتفاهم . وقد سبق ان قمت باستفتاء بين مئات من الرجال والنساء من طبقات مختلفة ، حول هذا الموضوع بالذات ، فدلت النتيجة على ان ٩١ ٪ من الرجال يرون ان تبقى العصمة بيد الرجل ، وان ٧٥ ٪ من النساء يرين هذا الرأى و ١٤ ٪ منهن فقط يرين ان تكون العصمة بيد المرأة اذا كانت متعلمة

ومن أطرف الردود التى وصلتنى فى هذا الصدد ما قالته احدى الجامعيات المتزوجات : « لو أن العصمة كانت بيدى وليست بيد زوجى «رجل البيت» لشككت فى رجولته .. اننى أحب ان يحافظ الرجل على كرامته وحقوقه» وقال آخر : « الله الذى عنده علم السموات والأرض ويعلم الغيب ، لم يغب عن علمه ان الزمن سيتطور ، وأنه سيخلق فيه من النساء من يحملن الشهادات .. ومع ذلك كان قوله تعالى صريحا فى ان الرجال قوامون على النساء »

السيدة أمينة — لا أزال عند ما رأيت ، فان فوضى الطلاق لا بد لها من ضابط ، وهذا الضابط هو القضاء .

أما افشاء الاسرار فقد جعلت الجلسات السرية لمثل هذا

الأستاذ خلاف ــ اذا كان فى الحياة الزوجية الآن فساد من ناحية نظام الزواج ونظام الطلاق ، فليس منشؤه النقص فى التشريع ، وانما منشؤه سوء التطبيق . والقانون العادل لا يقدح فيه ان يساء تطبيقه . فليتعلم الأزواج حقوق الزوجية، وان الله ما شرع الطلاق الا للضرورة أو الحاجة وأنه أبغض الحلال اليه ، وانه جعل له نظاما خاصا . فاذا أوقع الزوج الطلاق كما شرعه الله ، وعلى ما سن له ، استقامت حال المجتمع . فالواقع ان فساد الحياة الاجتماعية ليس مرده الى فساد النظام ، ولكن الى سوء التطبيق

الشيخ أبو العيون ــ اذا أصلحت الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية قلت حوادث الطلاق ، فالضرر الواقع ليس من التشريع ، وانما هو من شيء آخر . واذن فلنتريث قليلا ولا نلجأ الى عمل غير مشروع

السيدة أمينة ــ والى ان يعلم الأزواج ذلك ، ويصبحوا فى حالة يستطيعون معها تطبيق ما سنه الله تطبيقا صالحا ، ماذا نصنع ؟

الأستاذ خلاف ــ توجد آراء متعددة فى المذاهب الاسلامية تفيد ايقاع الطلاق وتقلل الحالات التى يقع فيها . فبعض المذاهب لا تعتبر طلاق الغضبان واقعا ، ولا طلاق المنفعل فى شدة انفعاله ، وفى بعضها لا يقع طلاق الزوج اذا كانت الزوجة فى المحيض ، فاذا أخذنا بمختلف المذاهب التى تقلل الحالات التى يقع فيها الطلاق، وأضفنا هذا الى أن الطلاق المعلق لا يقع، وان الطلاق بصيغة اليمين لا يقع، وان طلاق السكران أو المكره لا يقع ــ ضيقنا الدائرة ، واعتبرنا أكثر الحالات التى يطلق فيها الزوج لغوا، وحصرنا الحالات التى يقع فيها الطلاق، ومتى عرف الأزواج ان أكثر ما يصدر عنهم من صيغ الطلاق لغو ، أعرضوا وكفوا ألسنتهم عنه . وهذا فى رأيى طريق غير مباشر لتقليل استعمال الزوج هذا الحق أو صرفه عن استعماله

ه الامل كنجوم السماء ، تبدو أجمل وألمع ما تكون عند ما تبدو الحياة أتعس وأشد ظلاماً [ولسلو]

١٠ نصائح للسيدات

بقلم الدكتور ابراهيم مجدى
أستاذ أمراض النساء بجامعة فؤاد الأول

١ – لا تصدقى نصف ما يقال عن الزواج ٠٠ انه أعظم نظام عرفه الجنس البشرى ، وانى ، كزوج سعيد ، أعتقد ان لا سعادة بدونه

٢ – ان أساس السعادة فى الزواج التوفيق فى اختيار الزوج ، فدققى ما شئت فى هذا الاختيار ، فانه الاساس الذى تشيدين عليه مستقبلك ، واذا كان الزوج يدقق فى اختيار الزوجة مرة ، فأحرى بالزوجة أن تحقق فى اختيار الزوج ألف مرة

٣ – ان منزل الزوجية هو دارك التى ستقضين فيها كل حياتك ، فاحصرى كل اهتمامك فيها ، وفى زوجك ، ولا تجعلى لمنزل الطفولة المقام الأول

٤ – لا تكتمل أنوثة المرأة ، ولا تتذوق مداركها جميع العواطف الانسانية ، الا بعد أن تصبح أما ، فالأمومة هى رسالة وكلها الله اليك فى هذه الدنيا

٥ – اياك ان تحرمى نفسك وزوجك من النسل فى أول سنوات الزواج ، اذ ثبت أن منع الحمل فى مستهل الحياة الزوجية هو من أهم أسباب العقم

٦ – يجب أن تفهمى أن المقصود بتحديد النسل ليس منع الحمل اطلاقا ، بل تنظيم الانتاج بما يتفق مع ظروفك الصحية والاجتماعية ، ان الجندى الشجاع ينظم خط الدفاع ، ولكنه لا يهرب من الميدان

٧ – اذا صادفت انت أو زوجك مشكلة جنسية أو تناسلية ، فخير ناصح لكما هو طبيب الأسرة أو زميل يوجهكما اليه ، والمبادرة بالاستشارة خير من التخبط فى الظلام

٨ – الحمل والوضع وظيفتان طبيعيتان باركهما الله بالسلامة ، فلا تخشى منهما شيئا وفكرى فى ملايين السيدات اللواتى سبقنك اليهما ، ولكى تطمئنى نفسا ، دعى الأمر لطبيبك ، واتبعى ارشاداته بانتظام ودقة

٩ – ان سلامة الوضع تتوفر لكثرة الأمهات بأذن الله ، لا سيما لمن تنتفع بخبرة طبيبها ، وبما أتاحه الطب الحديث للأم من الضمانات

١٠ – العناية بصحتك وبجسمك بعد الوضع لا تقل مرتبة عن العناية بهما فى شهور الحمل وحين الولادة ، فهيئى لنفسك – ما أمكن – وسائل التمريض والعناية ، فى مدة النفاس وبعده ، فان لهذا الوقت أثرا فعالا فى مستقبل حياتك

« خفة الدم نعمة كبرى فتحت بيوتاً ، وشقت الطريق لموظفين كثيرين ، وهيأت مستقبلا سعيداً لغير ذوى المؤهلات ، وأغدقت الثروات على المحرومين إلا من هذا السلاح »

خفة الدم سليقة وفن ومران!

بقلم فكرى أباظة بك

«خفة الدم» قبل كل شيء خلقة .. سليقة .. طبيعة .. من عند الله أولا لا من عند الناس ..

وقد تنبعث « خفة الدم » من العينين ، أو من الصوت الموسيقى الخلاب ، أو من تركيب ملامح الوجه وأجزاء الجسم ، أو من الأحجام والأوزان الطويلة والصغيرة و « المكعبرة » والبدينة . ويشاء ربك ان لا يكون الجمال أو الكمال شرطا : فقد يتناهى المتناهى فى الجمال ثقلا وسماجة ، وقد يتناهى المتناهى فى القبح عذوبة وسحرا وخفةروح .. هذه المنحة الربانية لا علاقة لها بالألوان ، ولا بالأجناس ، ولا بالأديان ، ولا بالجغرافيا ، ولا بالتاريخ ، ولا بالأصل ، وانما هى مشاعة بين الجميع

انما تنتشر خفة الدم ، وتنقبض فى بعض البلاد ، جريا وراء تقاليدها وعرفها ونظام المجتمع فيها :

فأنت تحس « خفة الدم » فى السويد والنرويج والدانمرك ، ولا تحسها فى « هولندا » . وتلمسها لمسا فى البلاد الباردة كاسكوتلنده ، ولكنك لا تلمسها الا نادرا فى المانيا ودول البلطيق وروسيا وأغلب سويسرا ودول البلقان . وتمتاز حوض البحر الأبيض المتوسط والعنصر اللاتينى فى ايطاليا واسبانيا وجمهوريات أمريكا الجنوبية بخفة دم أبنائه وتابعيه . وفى الدولة الواحدة تختلف النسب ، فلا تشعر بخفة دم بسكان المناطق الصناعية فى أمريكا فى جانبها الشرقى ، بينما تشعر بها شعورا كاملا فى المناطق الزراعية ، فى غرب الولايات المتحدة — ولم أحس ان الدم الخفيف هو الدم الغالب فى اليابان والهند وايران ، ولكن الشرق الأدنى الذى يضم البلاد العربية .ومصر وشمال أفريقيا ، يضرب الرقم القياسى فى «السمبانى»

وعبث تحاول ان نستخرج من هذا الخليط بحثا ، وينصك التحليل الفنى

اذا حاولت أن تذكر الأسباب . الا اذا استطعت ان نقول ان الجو الحار « يسفسق » الدم المتجمد البارد ويذيبه ويحركه ، فيجرى خفيفا لطيفا ، كما هو المشاهد فى البلاد الحارة ، وكما هو غير مشاهد فى البلاد الباردة ..

* * *

ولست أدعى اننى ثقة فى التاريخ والأدب وعلم القراءة . فأدعم نظريتى بشواهد التاريخ والتأليف والصحافة فى البلاد الحارة والبلاد الباردة . وانما معلوماتى السطحية واطلاعى السريع يؤيدان نظريتى . فمجموعتى المتواضعة من التحصيل ترجح خفة روح أقطاب البلاد الحارة ، ومؤلفات البلاد الحارة ، وصحافة البلاد الحارة — وبناء عليه يمكن ان نقول اننا خرجنا « بقاعدة » من قواعد البحث فى هذا الموضوع العجيب ..

فاذا ما خرجت من هذا النطاق — نطاق الخلقة ، والطبيعة — فخفة الدم: فن . ومران ..

«فن» يتطلب لماحية وحذقا وبراعة وسرعة خاطر ولباقة وحسن اختيار للظروف ولمختلف الأوضاع . فأنت لا تخاطب الأوساط كلها بلغة واحدة ، ولا المجتمعات كلها بلغة واحدة ، ولا النساء والرجال معا بلغة واحدة

فخفاف الدم من الأدباء يتزودون بالمادة . بالاطلاع الغزير . ثم يختارون فى مجالسهم ومنتدياتهم نوع الأدب المرفه اللطيف الخفيف الوقع على الأذن ، والنفس ، والذوق ، والقلب . والنثر والشعر — ومعينهما فياض — يسعفانهم « بالمختارات » الممتازة التى تناسب مجلس الرجال والنساء معا ، ولا بد هنا من ذاكرة قوية تعى ، ولا بد من لماحية تحسن الاختيار . ولا بد من بداهة جاهزة لتواجه المفاجئات ..

وخفاف الدم من العلماء يخضعون علمهم للنكتة والرواية الحلابة ، وسندهم علم واسع ، وعند ما يمتزج العلم بخفة الدم يسيطر المتحدث ويسود

وخفاف الدم من المصورين يرسمون فى الواقع خفة دمهم على أوراقهم ، ويبرزونها للجمهور متاعا للنظر وللروح ، ويندر جدا ان يكون « الكاريكاتورى » النابغة ثقيل الدم ، والا ما نبغ وبرز وتجلى ..

وخفاف الدم من الكتاب والصحفيين هم الذين تكتب أرواحهم لا أقلامهم . وفرق كبير بين كاتب السليقة وكاتب الصنعة . أى فرق كبير بين الكاتب المطبوع ، والكاتب المصنوع . الكاتب المطبوع هو الذى لا يتكلف ولا ينافق رأيه وطبعه واعتقاده وروحه .

هو الذى يتواضـــع ليرتفـــع فى نظر القراء. أما المتكلف العجرفة، والمنطق، فمغرور . وأغلب الظن انه ثقيل الدم، وان بلغ من الكفاية مبلغ النبوغ ..

وخفاف الدم من المحاضرين مثلهم مثل الكتاب والصحفيين . فالمحاضر اذا وفق لمخاطبة سامعيـه فى صالات المحاضرات ، وفى الراديو . فى شكل مناجاة وافضاء ، وصل الى قلوبهم ، فان حاول ان يرتفـع عنهـم سقط وتدحرج عند سفحهم

* * *

فاذا تركت هذه الناحية من البحث واتجهت لناحية الأحجام أدهشك ان « السمان » من مخلوقات الله قد عوضهم الله عن ثقل أوزانهم بخفـة دمائهم . وحكمة الله سبحانه وتعالى فى هذا ان « الثقيل الوزن » يشعر بالنقص الخلقى من هذه الناحية ، فيحاول جهده ان يخف روحا لا بدنا ، وبحكم التدريب يخف فعلا ويذوب سكرا وعسلا

ولهذا قلت ان خفة الروح ليست سليقة فقط ، وانما هى أيضا فن . وهى أيضا مران ..

والله سبحانه وتعالى يوزع نعمـة خفـة الدم على مخلوقاته بالعـدل والقسطـاس . فخفـاف الدم فى الارستوقراط والاغنياء قلة ! وفى الفقراء كثرة ! ..

وتتجلى حكمته سبحانه وتعالى فى ان خفـة الدم تذيع وتشيـع فى وسط « القبح » أكثر مما تذيع وتشيع فى وسط « الجمال » . فالجميل المغرور بجماله قانع به ، مزهو ، فهو لا يكمل نقصه فى ميدان خفة الدم . بعكس القبيح الذى يحس النقص فيسعى الى التعويض ..

ومن عجب ان خفة الدم وراثية ، وقـد استعرضت فى ذاكرتى أسرار بيوتات ، فكانت النتيجة ان الوراثة لها حكمها ، وان الدم الثقيل يورث ، والدم الخفيف يورث . ولو استطعت ان أذكـر الشواهـد لأبدت نظريتى بدليل واقعى لا يدفع ولا يرد ..

* * *

.. ولكنى أستطيع ان أمر بسرعة على بعض أقطابنا من « خفاف الدم » فأذكر :

١ ــ مصطفى النحاس باشـا :
خفيف الدم ، لأنه يبدو فى مناقشاته كطفل كبير . لا يتكلف ولا يتصنع بل تبدو داخليتـه نفسـه وقلبـه على لسانه . ويفضى اليك بما يفضى به الى كبار الساسـة . لا فرق عنـده بين المستمعـين . ثم لـه من حركـاته وسكناته وشكوكه واحتياطاته وتحفظاته مايستهويه السامع ويجتذبه . وتواضعه فضيلة تحببه الى الناس ..

٢ ــ مكرم عبيد باشا : خفيف الروح بلا شك . لأنه ذكى لماح حاضر البديهة . ومن النادر جدا ان يكون

بين الأذكياء والملماحين وحاضرى البديهة قال . لأن هذه المواهب تسعفهم . واذا أردت ان تستمتع بخفة دم مكرم فراقبه وهو يلاعب كلبه ويطعمه ! أو راقبه وهو يخاطب سيدة جميلة فيعلوه الارتباك ، ويبدو كطفل مبتدىء فى عالم الغزل ! أو راقبه وهو يتكلم فى التليفون مع شخص لا يحبه! أو راقبه وهو يرتدى ملابسه فكأنه غشيم أبجدى فى هذا الباب ! أو راقبه وهو يجامل شخصا لا يعرفه ، وتعقب حركاته واشاراته وعناده فى تمثيل هذا الدور الخطير ..

٣ ــ حافظ رمضان باشا : من زعماء خفة الدم . وسنده اطلاع غزير وسيادة فى الذهن الفتاق ، وصوت موسيقى يستهوى الألباب ، وخبرة ومران بالمجتمع قلما اجتمعا لرجل آخر ..

٤ ــ وصدقى باشا : خفيف الدم، وخفة دمه تنبعث من عينيه الزئبقيتين الناعستين ، ومن ابتسامة ضربت الرقم القياسى بسحرها ، ومن منطق هادىء متزن مهذب مؤدب ، ومن لذعات قارصات ، ونقدات داميات ، تتخلل أحاديثه . ومن خبرة ومران فى عالم الرجال والنساء معا هيأهما له تاريخ طويل عريض ..

٥ ــ وحسين سرى باشا : الذى استطاع أن يكذب الاجماع . وأن يبدو فى نهاية المرحلة خفيف الدم ، رغم الاعتقاد العام الذى سرى بين الذين لا يعرفونه ولم يدرسوه . خفيف الدم . لأنه يحتوى عصيرا من عصير التهكم اللطيف الذى يعتمد على القرائن والشواهد فى الحياة ..

٦ ــ وصالح حرب باشا والشيخ حسن البنا : خفيفا الدم بلا شك . فأنت لا تتردد فى ان تستلطف حماسة صالح باشا وعصبيته وطريقة كلامه وخطابه وايمانه ، وأنت لا تتردد فى أن تشعر « بسمبانى » الشيخ البنا عندما تنظر الى بريق عينيه ولحيته ..

ولا أريد ان أطوف على الباقين حتى لا يطول المقال ..

* * *

« خفة الدم » نعمة كبرى فتحت بيوتا ، وشقت الطريق لموظفين كثيرين ، وهيأت مستقبلا سعيدا لغير ذوى المؤهلات ، وأغدقت الثروات على المجردين الا من هذا السلاح ..

وعندى ان الزوجة الخفيفة الدم ، الرقيقة الحال ، أفضل بكثير من زوجة ثقيلة الدم ، ثقيلة الظل ، تورثك الهم والغم، وان أورثتك الثروة والجاه ..

وبعد ؟ فالبحث طريف ولكنه عريض

فكرى أباظة

« اليهود عامة ـ ويهود أوربا وأمريكا خاصة ـ هم أبناء الأقطار التى ينتمون اليها .. وهم بعيدون كل البعد عن « بنى اسرائيل » ذلك الشعب الذى جاء ذكره فى الكتب المقدسة »

ليس اليهود من بنى إسرائيل!

بقلم الدكتور محمد عوض محمد

الأستاذ بجامعة فؤاد الأول

يزعم الصهيونيون ان لهم حقا شرعيا فى أن ينزحوا الى فلسطين، وأن يتخذوا منها وطنا لهم ، وأن من الواجب ألا ينظر اليهم كأنهم قوم غرباء يهاجرون الى أرض غريبة ، بل انهم أصحاب الأرض وسكانها الأصليون ، يعودون الى ديارهم وأوطانهم ، بعد ان شردوا عنها وطردوا منها حقبة من الزمن

وهذه الدعوى العريضة هى الدعامة الكبرى ، التى تقوم عليها الدعاية الصهيونية ، ومن الغريب ان كثيرا من الناس قد انخدعوا بهذا الزعم ، وخيل اليهم ان يهود أوربا ، بل اليهود فى جميع الأقطار ، ينحدرون من شعب بنى اسرائيل الذى نزح الى فلسطين فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد . ولهذا قلما نجد من الكتاب من يتصدى لتفنيد هذا الزعم ، أو يحاول أن يثبت أنه ليس هنالك أدنى صلة بين يهود أوربا وبين بنى اسرائيل القدماء . بل يكتفى الناس فى الرد على الصهيونيين بأن يقولوا ان فلسطين لم تكن فى وقت من الأوقات ملكا خالصا لليهود ، وان السيادة اليهودية فى أيام داود وسليمان وخلفائهما لم تدم سوى فترة قصيرة من الزمن ، أما سيادة العرب فقد دامت أكثر من عشرين قرنا . وان بنى اسرائيل عند ما نزلوا فلسطين اغتصبوا السلطة من الكنعانيين ، وهم شعب عربى ، فهم لذلك دخلاء لا ينتمون الى بلاد الشام ، الى غير ذلك من الحجج المعروفة

●

وهذه حجج لها قوتها وخطرها . ولكنها تغفل الناحية الخطيرة فى الموضوع كله ، وهى ان الصهيونيين، وأكثرهم من يهود أوربا ، ليسوا من أهل فلسطين ، ولم ينحدروا من أصل

فلسطينى ، ولا يمتون الى بنى اسرائيل بأدنى صلة ، بل هم من أصل جرمانى أو سلافى أو بلقانى ، وأن القول بأن يهود العالم مشتقون من تلك الطائفة الصغيرة العدد ، زعم ظاهر البطلان، أثبت بطلانه عدد كبير من علماء الأجناس ، ومن بينهم بعض الباحثين من اليهود أنفسهم

وقد نجد بين الكتاب من يزعم ان اليهود يمثلون جنسا نقيا ، لم يدخله عنصر غريب منذ نزل فلسطين أو نزح عنها الى بلاد أخرى ، وانه مثال نادر للصفاء الجنسى الذى لم يتكدر بالامتزاج بعنصر آخر ، وان الزواج بين اليهود ظل مقصورا عليهم دون سواهم ، كما كانت ديانتهم خاصة بهم ، لم يحاولوا ان ينشروها بين غيرهم من الناس

●

وقد تصدى علماء الأجناس للرد على الزعم بأن اليهود جميعا عنصر نقى لم يختلط بشعوب أو عناصر أخرى. فأخذوا يدرسون الجماعات اليهودية المنتشرة فى جميع القارات ، ويحللون اشكالها وصورها ، لكى يتبينوا ما بينها من التشابه والانسجام الشكلى . فان قانون الوراثة يقضى بأن الفروع تتبع الأصل ، فاذا كان يهود العالم مشتقين من بنى اسرائيل ، فلا بد لهم ان يتشابهوا فى صورهم واشكالهم وصفاتهم الجنسية . فلم يلبث علماء الأجناس ان وصلوا الى نتيجتين خطيرتين ، الأولى : ان اليهود فى كل قطر يشبهون سكان ذلك القطر ، ولا يختلفون عنهم من الناحية الجنسية اختلافا جوهريا

والثانية : ان طوائف اليهود فى جميع أنحاء العالم يمثلون أجناسا وسلالات مختلفة ، لا تمت بصلة الى الأصل السامى الذى ينتمى اليه بنو اسرائيل القدماء . ففى بلاد الحبشة يهود يسمون الفلاشا ، وهم سمر الوجوه ذوو شعر مجعد ، وفى جنوب الهند يهود التامل لهم بشرة سوداء وتقاطيع هندية ، وفى لثوانيا يهود شقر عيونهم زرقاء ، ويهود ألمانيا جرمانيون فى صورهم وأشكالهم . وفى الصين يهود من المغول بشرتهم شاحبة صفراء وعيونهم ضيقة مائلة مثل سائر سكان الصين

من أجل ذلك اتفق علماء الاجناس على ان اليهود ينتمون الى سلالات عديدة متنوعة ، وان الدين اليهودى قد انتشر بين عدد عظيم من الشعوب . وأن من العبث ان يقال انه ظل مقصورا على بنى اسرائيل أو انه دين شعبى وليس دينا تبشيريا

●

ونحن — فى العالم العربى — نعلم على كل حال ان الزعم بأن الدين اليهودى كان مقصورا على بنى اسرائيل زعم ظاهر البطلان . فقد انتشرت اليهودية فى جهات مختلفة من الجزيرة

العربية ، وانتشرت فى القطر المصرى نفسه حتى كانت مدينة الاسكندرية فى زمن البطالسة نصف سكانها من أتباع الدين اليهودى . وانتشرت اليهودية فى بلاد اليمن حتى أصبحت مركزا من مراكز انتشارها . وفى القرآن الكريم اشارة صريحة الى هذا فى سورة النمل ، وفى الآيات الكريمة التى تروى قصة سبأ ، وقد جاء فى ختامها على لسان ملكتهم : « قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين »

والعلماء من اليهود لا ينكرون انه قد بذلت جهود جبارة فى نشر الدين اليهودى ، وقد ذكر الاستاذ ليوى Loewe ، أستاذ اللغة العبرية فى جامعة أكسفورد ، فى مقال له عن الدين اليهودى فى دائرة المعارف البريطانية : « ان اليهود قد نشطوا الى التبشير عند ما رأوا الوثنية قوية النفوذ منتشرة فى العالم ، والكتاب القدماء — من اليونان والرومان — يشهدون بقوة النشاط التبشيرى الذى قام به اليهود »

●

وجاء فى كتاب العالم اليهودى فريدرخ هرتس النمساوى ، عن الجنس والحضارة ، العبارة الآتية : « كثيرا ما اعتنقت اليهودية طوائف من اليونان والرومان وغيرهم من الشعوب . وهذا حدث بوجه خاص فى القرن الثانى والأول قبل الميلاد ، وفى العصور الوسطى والحديثة — رغم كل الصعوبات والعقبات — قد تحولت جماعات كثيرة الى الديانة اليهودية ، وعلى الأخص فى البلاد السلافية . وهذا هو السبب فى أن يهود روسيا وبولندة لا يختلفون فى صورهم وأشكالهم عن الجماعات السلافية . »

●

وفى العصور الوسطى — أثناء حكم الامبراطور شارلمان ، اعتنق شعب الخزر كله الدين اليهودى ، وهو شعب يعيش فى جنوب روسيا ، ولا يزال هذا الدين منتشرا بين أبنائه الى وقتنا هذا . والى جانب هذا التحول العظيم الى الدين اليهودى بوساطة شعوب بأكملها مثل شعب اليمن والخزر ، كانت هنالك من غير شك جماعات ينتشر بينها ذلك الدين بالتدريج ، دون أن يكون فى ذلك ما يلفت الأنظار ، هذا الى جانب العناصر الكثيرة التى دخلت فى اليهودية بطريق الزواج

من المسلم به — اذن — ان اليهود بذلوا جهودا عظيمة لنشر دينهم بين مختلف الأمم والأجناس ، وهذه الأمم اعتنقت الدين اليهودى وهى تعيش فى ديارها وأوطانها . وقد بدأ التبشير للدين اليهودى منذ القرن العاشر قبل الميلاد ، أى فى عهد داود وسليمان ، واستمر الى العصور

الوسطى . فليس من الاسراف فى شىء ان تقول : ان اليهود قضوا زهاء العشرين قرنا يعملون بجد ونشاط لنشر ديانتهم ، بين شعوب وأمم لا تمت الى بنى اسرائيل بأدنى صلة ، وليست لهم علاقة بفلسطين أو سكان فلسطين . وهؤلاء الدعاة الى الدين اليهودى لم يكونوا دائما من أهل فلسطين ، بل ممن اعتنقوا الدين اليهودى وتحمسوا له ، كما ان المسيحية لم تنتشر بوساطة سكان فلسطين وحدهم ، بل بوساطة من اعتنقوها من مختلف الأجناس والشعوب

●

فيكون من الخطأ المضلل ما يزعمه البعض من ان انتشار اليهود فى العالم كان نتيجة لتشتيتهم فى البلاد بسبب اضطهاد بعض قياصرة روما مثل طيطس وادريانوس ، فان الذى أراده هؤلاء الحكام هو مجرد كسر شوكة اليهود السياسية . ولم يترتب على هدم معبدهم واضطهادهم على يد الامبراطور ادريانوس سوى مهاجرة خمسين ألفا من اليهود . أما الكثرة العظمى من الشعب الاسرائيلى فقد ظلت مقيمة فى فلسطين . ومن قبل هؤلاء القياصرة بعدة قرون ، كان الدين اليهودى قد انتشر بين شعوب عديدة فى القارات الثلاثة، واعتنقته أمم متباعدة الاوطان، مثل سكان اليمن والحبشة ، وبلاد القوقاز وبلاد المغرب ، وشعوب مختلفة فى الدولة الرومانية ، وفى الاقطار المجاورة لها

ولا بد لنا هنا من التنبيه الى خطأ شائع، طالما وقع فيه الناس، خاصتهم وعامتهم، وهو خطأ لا يزال يرتكب الى وقتنا هذا : وهو ان الناس عند ما يتحدثون عن الشعوب والاجناس يخلطون بين السلالة وبين اللغة والدين ، وبين انتشار قوم من الأقوام وانتشار ثقافتهم أو ديانتهم . فان كل شعب من الشعوب يستطيع ان يعتنق أى دين من الأديان . وأن يتعلم أية لغة من اللغات . ولكن هذا لا يغير من جنسه أو سلالته . فاعتناق الدين البوذى لا يجعل المرء من أهل الهند ، واعتناق الاسلام بوساطة الفرس لم يجعلهم عربا من أصل عربى . لهذا كان من الواجب ان نفرق بين الاسرائيليين من سكان فلسطين الاصليين . وبين اليهود ــ وقد يطلق عليهم اسم الاسرائيليين تجاوزا ــ الذين اعتنقوا الدين اليهودى وهم فى ديارهم وأوطانهم ، ولم يكونوا فى يوم من الأيام من سكان فلسطين

●

وربما خطر للمرء ان يتساءل . ولكن ماذا حدث لبنى اسرائيل القدماء أنفسهم ، وأين تعيش البقية الباقية منهم اليوم ؟ وليس الرد على هذا السؤال بالأمر الصعب . فان البقية

الباقية من بنى اسرائيل قد اندمجت على مضى القرون بسائر سكان فلسطين . وربما كان خير من يمثلهم اليوم اليهود السامريون . الذين يعيشون وسط العرب وفى رعايتهم فى مدينة نابلس . وعلى كل حال لم يكن الاسرائيليون فى أى عصر من العصور سوى جزء من سكان فلسطين ، وقد امتزجوا بالكنعانيين وغيرهم من السلالات التى نزلت الى الأرض المقدسة ، وكانت الديانة السائدة هى اليهودية ، ثم سادت النصرانية بعد ذلك ، ثم الاسلام . ولقد كانت فلسطين دائما ميدانا لنشاط الشعوب العربية ، وموطنا من مواطن العروبة، كماتشهد بذلك الوثائق التاريخية المصرية القديمة، وقد دخلها بنو اسرائيل غزاة فاتحين فبسطوا نفوذهم على جزء منها ، ثم لم يلبثوا على مضى القرون ان تلاشوا واندمجوا فى سكانها .

●

من الواجب ــ اذن ــ على كل مفكر ان يفرق بين انتشار بنى اسرائيل وبين انتشار دينهم . وأن يذكر دائما ان انتشار الدين اليهودى قد خلق أجيالا وطوائف من اليهود لا تمت الى بنى اسرائيل بشىء ، سوى صلة العقيدة . وبعبارة أخرى : انانتشار اليهودية قد قضى على بنى اسرائيل كسلالة جنسية ممتازة . لاننا لو فرضنا جدلا ان الذين حملوا الدين اليهودى الى الاقطار المختلفة كانوا أحيانا من أصل فلسطينى ، فانهم لم يكونوا سوى قطرة فى بحر من شعوب وسلالات لا تربطها بالاسرائيليين رابطة جنسية أو سلالية . وفى هذا يقول بتار Pittard أستاذ علم الاجناس فى جامعة جنيفا :

« ان جميع اليهود بعيدون كل البعد عن الانتماء الى الجنس اليهودى القديم» ويقول أيضا : « ان اليهود يؤلفون جماعة دينية اجتماعية ، قوية جدا من غير شك ، شديدة التماسك ، ولكن العناصر التى تتألف منها متنوعة تنوعا عظيما » (١) ثم يقول فى مكان آخر من كتابه :

« ان اليهود عبارة عن طائفة دينية اجتماعية ، انضم اليهم فى جميع العصور أشخاص من شتى الاجناس، وهؤلاء المتهودون جاءوا من جميع الآفاق ، فمنهم الفلاشا سكان الحبشة، ومنهم الألمان ذوو السحنة الجرمانية، ومنهم التامل ــ اليهود السود فى الهند ــ ومنهم الخزر ــ والمفروض انهم من الجنس التركى ــ ! ومن المستحيل ان تتصور ان اليهود ذوى الشعر الأشقر أو الكستنائى،والعيون الصافية اللون ، الذين نلقاهم كثيرا

---

(١) راجع كتابه عن الأجناس والتاريخ (النسخة الفرنسية) صفحة ٤١٣ وما بعدها

فى أوربا الوسطى ، يمتون بصلة القرابة — قرابة الدم — الى أولئك الاسرائيليين القدماء ، الذين كانوا يعيشون بجوار نهر الأردن »

وبعد ان يذكر الأستاذ بتار ان عدد اليهود فى العالم لا يقل عن اثنى عشر مليونا ، يتساءل : أيمكن ان يكون هذا العدد الهائل قد توالد — مع الاضطهاد والمذابح — من أولئك الخمسين ألفا ، الذين شردوا فى عصر أوريانوس ؟ ثم يرد عن هذا السؤال بأن هنالك مجموعات كاملة قد تهودت وأضافت جموعها الضخمة وصفاتها الجديدة الى الفريق الاسرائيلى »

●

ويقول الأستاذ ريلى Ripley الأمريكى فى كتابه عن أجناس أوربا : « ان تسعة أعشار يهود العالم يختلفون عن سلالة أجدادهم اختلافا واسعا ليس لها معنى أنثروبولوجى . وصدق جنس نقى حديث خرافة . ولقد أصاب رينان فى تأكيده بأن كلمة يهودى ليس لها معنى أنثروبولوجى . وصدق الأستاذ لمبروزو فى ملاحظته بأن اليهود الحديثين هم أدنى الى الجنس الآرى منهم الى الجنس السامى »

ولنختم هذه المقتبسات بعبارة العالم اليهودى فريدرخ هرتس من كتابه عن الأجناس والحضارة ، حيث يقول : « لم يعد بالامكان أن يتمسك المرء بذلك الرأى ، الذى يمثل الآريين من جهة ، واليهود من جهة أخرى ، كجنسين مختلفين أشد الاختلاف ، فقد أثبت البحث الانثروبولوجى — بصورة لاتقبل الجدل — ما بين الاثنين من القرابة الشديدة ، وقد استطاع اليهود فى أثناء تاريخهم الطويل ان يمتصوا مقدارا كبيرا من الدماء الأجنبية . وهذه الحقيقة تفسر ما نراه فيهم من اختلاف الصور والاشكال ، ومشابهتهم للشعوب التى يعيشون بينها . وقد كان اعتناق الديانة اليهودية بوساطة اليونان والرومان والشعوب الاخرى أمرا كثير الحدوث ، وعلى الاخص فى القرن الاول والثانى قبل الميلاد . أما فى العصور الوسطى ، فعلى الرغم من جميع العقبات ، قد حدث مثل هذا التحول الى الديانة اليهودية ، وعلى الأخص فى البلاد السلافية . وهذا هو السبب فى أننا نرى اليهود الروس والبولونيين يشبهون السلاف شبها لا شك فيه . واليهود الألمان أقرب شبها بسائر الالمان منهم بأخوانهم فى الدين من أصل فلسطين »

●

ولعل من المفيد ان نذكر فى ختام هذا البحث ان يهود العالم لا يختلفون عن بنى اسرائيل القدماء من ناحية السلالة فقط ، بل من ناحية اللغة والثقافة أيضا . فيهود أوربا ينقسمون

الى قسمين : الأول يدعى « سفردم » وهم أقل من عشر يهود العالم ، وهم من أصل اسبانى أو من غرب أفريقية، وكثيرا ما تكون أسماؤهم اسبانية أو بربرية . وهم يسمون أنفسهم أحيانا بالاسبان ، وأحيانا « موريسكوس » Moriskos وهو لفظ مشتق من Moor وهى كلمة يطلقها الكتاب الاوربيون على طائفة من البربر سكان بلاد المغرب . وهؤلاء اليهود يشبهون الاسبان والبربر فى صورهم وأشكالهم على الرغم من أنهم طردوا من اسبانيا بعد أن زال عنها النفوذ العربى

أما القسم الثانى من اليهود ، ويسمون « أشكنازم » ويمثلون تسعة أعشار اليهود فى العالم، فان أوطانهم الاصلية هى أوربا الوسطى وأوربا الشرقية . ومنهم أكثر المهاجرين الى أمريكا ، وهم الدعامة الكبرى للصهيونية . وهؤلاء لغتهم لغة ألمانية تسمى Viadish ، وتكتب بحروف عبرية ، لأن الالمان اقتبسوا الدين اليهودى والكتابة العبرية معا ، اذ لم تكن لهم كتابة ، وقت اقتباسهم الدين اليهودى . وربما اتخذوا أسماء عبرانية أحيانا مثل كوهين أو ليفى ، ولكن الكثرة الساحقة منهم تحمل أسماء جرمانية أو سلافية . وقد أثبت علماء الاجناس ان الافراد الذين يحملون أسماء اسرائيلية قديمة لا يختلفون فى شكالهم وصورهم عن الجماعات التى يعيشون بينها

•

وصفوة القول ان اليهود عامة ــ ويهود أوربا وأمريكا خاصة ــ هم أبناء الاقطار التى ينتمون اليها . وأنهم بشهادة علماء الاجناس بعيدون كل البعد عن ان يكونوا من نسل ذلك الشعب القليل العدد الذى جاء ذكره فى الكتب المقدسة

وهكذا يكون العلم قد فند الدعاية الصهيونية وقوض أركانها ، اذ أثبت ان يهود أوربا من أصل أوربى صميم، وان القول بأن اليهود شعب لا وطن له حديث خرافة ، لأن اليهود ينتمون الى شعوب كثيرة ولهم أوطان عديدة، وان لم تكن فلسطين واحدا من تلك الأوطان . وليست الحركة الصهيونية ــ والحال هذه ــ سوى حركة يراد بها استعمار قطر عربى بوساطة جماعات من السلاف والجرمان، لايمتون ــ لا هم ولا أجدادهم ــ الى فلسطين بأدنى صلة . وهى حركة تمثل أفظع أنواع الاستعمار ، لأنها لا ترمى الى مجرد الحكم والسيطرة السياسية ، بل الى احتلال البلاد بوساطة المهاجرين الغرباء ، وتمكينهم من رقاب سكانها الشرعيين . ومثل هذا الظلم الشنيع ليس له نظير فى الميدان الاستعمارى كله ، على كثرة ما به من الفظائع

محمد عوض محمد

فتـــاة من ميجارا

للمثال الفرنسي بارياس

« ميجارا » مدينة اغريقية قديمة ، كانت خاضعة لملوك اثينا ، ثم استقلت بحكم نفسها ، وانشأت مستعمرات عديدة خارج البلاد اليونانية

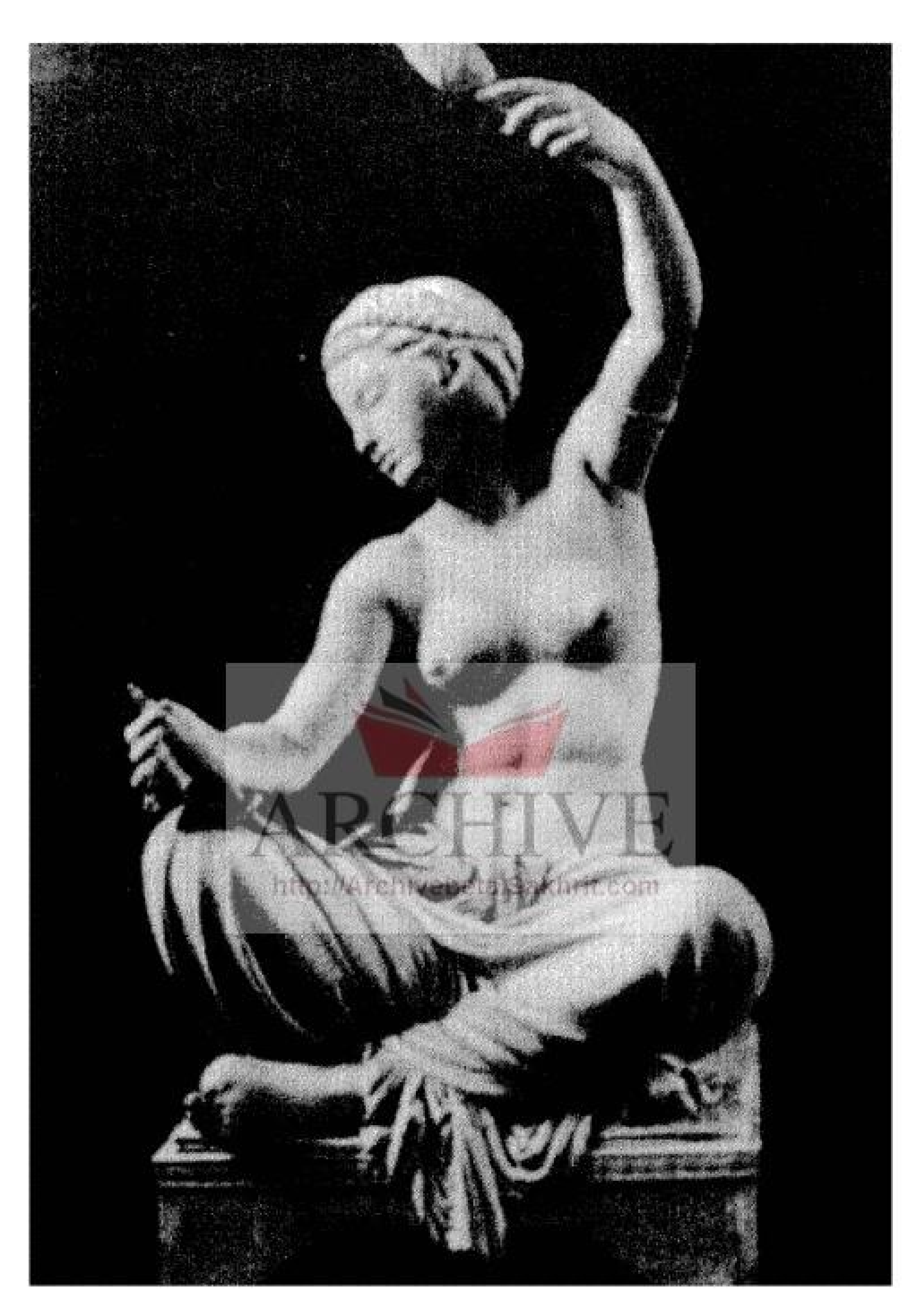
وكان سكان « ميجارا » الاغريق يمتازون بحب وطنهم ، ورغبتهم فى تعميم العلوم والفنون التى نبغوا فيهـا ، فكانوا يحملونها الى الشعوب المجـاورة ، وينشئون معاهد العلم ، ومدرسة « ميجارا » الفلسفية مشهورة فى تاريخ اليونان القديم

وكانت نسـاء ميجارا وبناتها يجارين الرجـال فى الدرس والتحصيل ، ويشاركنهم فى مناقشة الآراء الفلسفية والمبادىء العلمية ، دون أن يؤثر ذلك فى قيامهن بجميع واجباتهن نحو بيوتهن . وكانت الفتيات ، على الخصوص ، يمتزن بالأعمال اليـدوية وحياكة الأثواب ، فضربت الأمثال بفتيات تلك المدينـة الزاهرة

وفى سنة ١٨٧٠ ، عرض مثـال فرنسى شاب فى معرض الصـالون بباريس تمثالا سماه « فتاة من ميجـارا » فكان أبدع ما لفت الانظار فى ذلك المعرض ، ومنح صاحبه « لويس ارنست بارياس » الميدالية الأولى . وكان ذلك فاتحة حياة فنية حافلة بالمجد والشهرة للمثال الشاب

ينتمى بارياس الى أسرة فنية . فأخوه كان رساما مبدعا . وكان أكثر من واحد من أقاربه يمارسون الرسم أو النقد الفنى . وقد ولد فى باريس عام ١٨٤١ ، وترك طائفة من التماثيل يعد معظمها من التحف الفنية ، بينها « سبارتاكوس » وهو قائد ثورة العبيد على روما — و « الجنازة الاولى » وهو تمثال لآدم وحـواء يحملان جثة هابيل لمواراتها التراب — و « الدفاع عن باريس » وهو مشهد من حرب ١٨٧٠ بين فرنسا وألمانيا ، وغير ذلك كثير من تماثيل مشاهير الرجال فى فرنسا وغيرها

أما تمثال « فتاة من ميجارا » الذى نقدمه هنـا ، فهو دقيق الصنع ، ناطق التعبير ، يمثل فتاة ميجارية تغزل الصوف متربعة على مقعد ، وفيه من الابداع فى التفاصيل ما لا يمكن ادراكه الا بالنظر فى تقاطيع هذه التحفة الثمينة



فتاة من ميغارا : للمثال الفرنسي بارياس

يوسف فى مصـــر

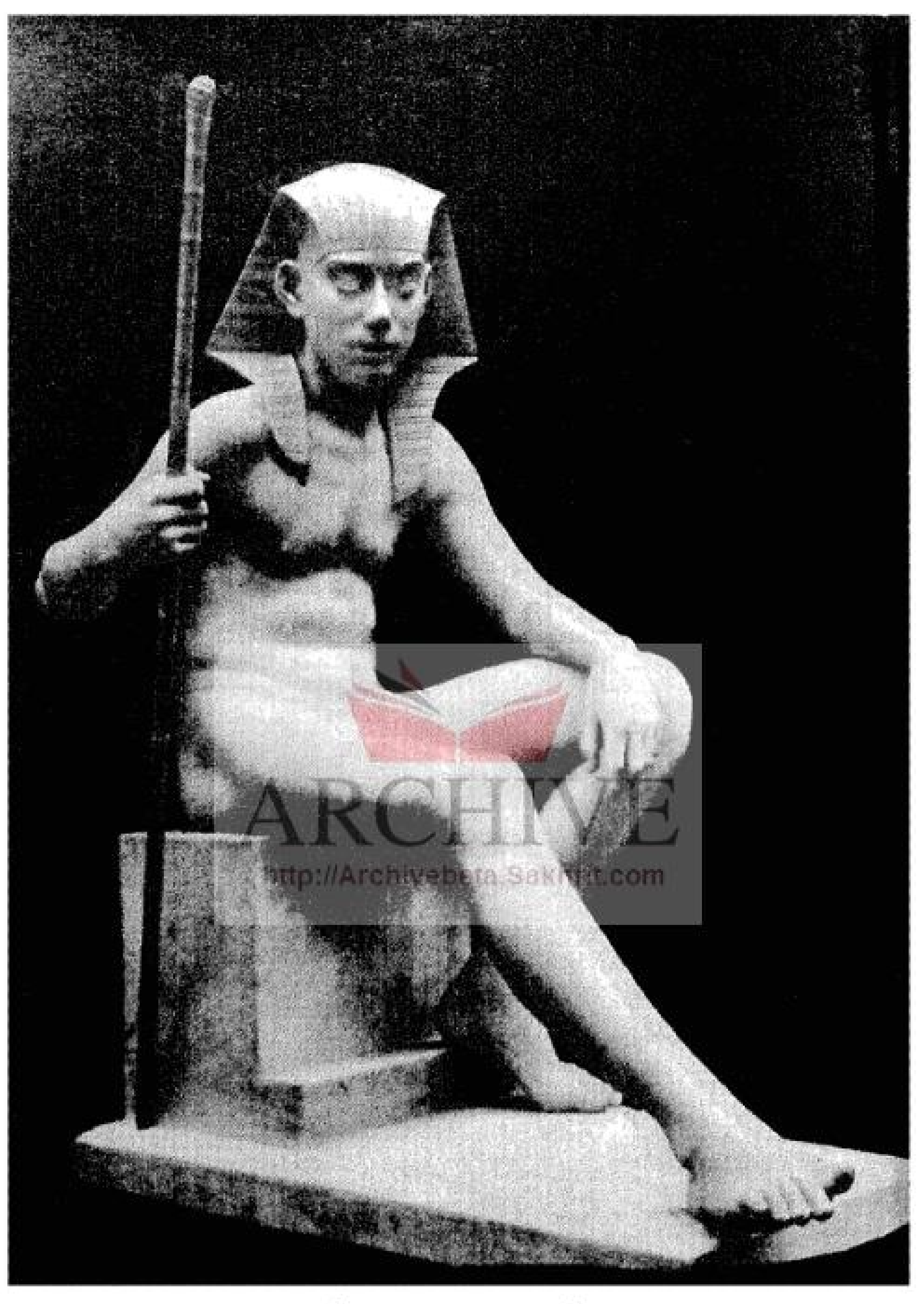
للمثال الفرنسى بيكيت

يعد المثـال الفرنسى « رود » من نوابغ المثـالين الذى عرفهم العالم قديمـا وحديثا . والمثال « جوست بيكيت » تلميذ ذلك النابغة العالمى بل أقرب تلاميذه اليه فى تطبيق القواعد التى أقام عليها « رود » فنه الجميل. وقد ولد بيكيت فى مدينة بيزانسون عام ١٨٢٩ ، ومات فى باريس عام ١٩٠٧ ، وظل الى آخر عمره الطويل يمارس فنه ويغدق نصائحه على المثالين الناشئين . وقد لفت الانظار الى نفسه فى معرض « الصالون الفرنسى » سنة ١٨٥٧ ، عند ما عرض تمثالا لاله من آلهة الاقدمين يلاعب فهدا . فان النقاد فى ذلك الوقت وجدوا فى الطريقة التى اتبعها بيكيت فى تخيل موضوعه وصنع تمثاله ، خروجا على المألوف . ثم عرض بيكيت تمثـالا « للقديس سباستيانوس » وهو من الذين استشهدوا فى سبيل الدين المسيحى فى فجر انتشاره . وكان ذلك التمثال ، الذى عرض بعد الأول بسنتين ، سببا فى بلوغ بيكيت أوج الشهرة ، ومنذ ذلك الوقت ، تتابعت تماثيله واحدا واحدا ، فخرجت كلها من بين أنامل المثال الساحرة ، آيات بينات من الفن البديع

والتمثال الذى نحن بصدده هو احـدى تلك الروائع التى تركها جوست بيكيت للأجيال المقبلة . وهو يمثل يوسف الصديق فى مصر ، كما تخيله المثال الفرنسى ، وقد جعله عاريا من الثياب ، ليس عليه غير غطاء الرأس المصرى القديم ، وبيده عصاه ، وقد جلس على حجر ، واتكأ عليها

وقد استوحى بيكيت فى صنع هذا التمثال الفن المصرى القديم ، والفن الحديث فى آن معا . وقد عاب عليه بعض النقاد ان جعل وجـه يوسف أقرب الى السحنة المصرية الفرعونية منه الى السحنة اليهودية السامية ، كما عابوا عليه أيضا عدم التناسق بين القدمين : اليمنى واليسرى . ولكن التمثال يعد فى مجموعة تماثيل بيكيت من أفضلها

ولسنا فى حاجة الى اعادة قصة يوسف عليه السلام ، وما حـدث له فى مصر بعد ان بيع فيها ، وكيف دخل فى خدمة فرعون وأصلح شؤون الدولة . فقصته معروفة من الكتب المقدسة



يوسف فى مصر : للمثال الفرنسى بيكيت

الطريق السلطانى .. وما وراءه!

بقلم الدكتور احمد زكى بك

هذا هو الصيف قد جاء أوسطه . وفى أوسط الصيف تتقاصر الأعمال وتفل المناشط ، ويرحل الناس عن المدن الى الريف أو الى شطئان البحار ، يستريحون من عناء ، ويستجمون من حركة ، فالظهور المتصلبة ترتخى ، والاعجاز القائمة تحط ، والأرجل تتمدد ، والرأس يستلقى على مساند المقاعد نهارا ، ووجهته السماء ، أو يغور فى لين الوسائد ليلا . على النسيم البارد ، فى ضوء القمر أو ظلال الشجر ، وعلى وشيش الأمواج أو خرير الماء . وينام طويلا ، ويغط طويلا ، ولا تعجله فى الصباح عاجلة .

كل شىء يهدأ الا الأمل ، وكل فكر يفتر الا فكر فى المستقبل .

فى الشتاء والخريف شغل العمل الانسان حتى عن نفسه . فلما نام العمل صيفا استيقظ الانسان

وهو يستيقظ لنفسه ، يحصى عليها ماضيها ، ويرسم لها مستقبلها ، وهو فى سبيل ذلك تتعاوره المخاوف حينا ، وتبسم له الآمال أحيانا

الى الواقفين على أعتاب الحيـــاة

وانك لواجد أحوج الناس الى احصاء ماض ، ورسم لمستقبل ، شابا فرغ من تعليمه العام ، وأخذ يتهيأ لتعليمه الخاص ، من جامعى أو مهنى أو غير ذلك

ان التعليم العام استعداد للحياة لا بد منه ، ولا حيلة لامرىء فيه ، وليس له فيه اختيار ، وما جاز ان يكون فيه خيار . ان التعليم العام يهيىء للحياة مهما كانت ، وكيف كانت ، وعلى أى شىء تفتحت ، وعلى ضيق تفتحت أو عن سعة ، وعلى غنى تفتحت أو فقر ، وعلى جاه تفتحت أو وضاعة حال . وهو حق لكل انسان ليبلغ المستوى الذى يستطيع منه ان يشرف على أدنى مشارف العيش ، ويتبين المسالك فيدرى أين يسير ، أو كيف يراد به ان يسير . وهو ليس بحق الفرد لنفسه ، بل هو واجب الفرد لمجتمعه ، فالذى لا يبلغ ذلك الحد الأدنى من الثقافة يسىء الى مجتمعه ، لأنه لا يستطيع السير فى الركاب . وعندئذ اما ان يتركه الركب فى صحراء

الحياة للاقدار ، واما ان يحمله الركب كما يحمل الحجر ، ثقيلا لا نفع فيه

●

ليس فى التعليم العام اذن خيار ولكن الخيار فى التعليم الذى يبدأ بعد ذلك

انالتعليم العام كالطريق السلطانى الواسع العريض ، ولكنه يوشك ان يكون له انتهاء . وعند الانتهاء يتفرع فروعا عدة،يقف عندها المتخير حيران، لايدرى أيها يسلك ، وأيها أهدى الى العيش الرخص والحياة الهانئة

وتتشابه هذه الطرقات المتفرعة عند آخر الطريق السلطانى فتحسبها واحدة ، وما هى بواحدة . كذلك يتشابه هذا الجمهور الغفير منالشباب عند بلوغه آخر الطريق السلطانى ، فتحسبه واحدا ، وما هو بواحد . فلكل شخص طريق يطلبه ، ولكل طريق شخص يطلبه . كذلك لكل شخص طريق لا يطلبه ، ولكل طريق شخص لا يطلبه . وسرالنجاح فى الحياة هو ذلك التوفيق بين طالب ومطلوب . وهو سر غامض ، غمض من أجله النجاح فى الحياة ، وعز

والواقف عند آخر الطريق السلطانى يتفرس فيما تفرع عنه من طرق،كثيرا مايختار طريقا منها لأنه يبهره ،وقد يبهره منهضوء، فاذا دخله أعماه الضياء . وقد يعجبه منه مانغطى أرضه من رمال فى صفرة الذهب، فاذا دخله لم يجد لنفسه خف الجمل فيجهده السير فيه حتى يقع . وقد يعجبه منه ملاسة أرضه ولمعتها ، فاذا دخله بنعل من مطاط وجد السير فيه زحلقة، فندم على دخوله حين لا ينفع الندم

ان الواقف على أبواب المراحل التعليمية الخاصة ، انما يقف منها على أعتاب الحياة ، وهو بتخطيه هذه الاعتاب ، وبولوجه هذه الابواب ، انما يختار لون العيش الذى يكون له فى سائر أيامه على هذه الأرض . لهذا كان موقفا من أحسم المواقف

●

ومن العبث ان يختار الطالب مهنة بالذات لأنها تحمل معها احترام الناس ، ومن العبث ان يختارها لأنها تملأ بيته « اقطا وسمنا » وتملأ جيبه ورقا وذهبا ، ومن العبث ان يختارها لأن أباه اختارها من قبله ، أو اختارها عم معجب به أو خال . من العبث ان يختار الطالب شيئا من ذلك اذا لم يكن توافق بين هذه المهنة وبين نفسه . وخير للطالب ان يطلب التل اذا تعذر الجبل واستحال . والقمر يطلبه كل الأطفال ولكن الرجال تعرف ما ينال ، وما لا ينال

فنفسك الحكم الأول فى كل ذلك

وأول ماتوائم من نفسك ذكاؤك العام الذى يجىء بعضه من التعليم وبعضه من الطبع . فليست المهن كلها تحتاج لقدر من الذكاء واحد . وقد

دللوا على ان أحوج المهن الى ذكاء عام هى مهنة التعليم والمحاماة والهندسة والصحافة، تليها مهنة الطب والقصص وصناعة المال والبنوك والكيمياء، تليها مهنة طب الاسنان والتمريض وتعليم الالعاب الرياضية والموسيقى، تليها مهنة التصوير الشمسي والكهربة والصيدلة، تليها مهنة البوليس والسمركى والطرزى، تليها مهنة النجارة والفلاحة والحلاقة

واذكر دائما ان الحلاق الناجح خير ألف مرة من الطبيب الخائب، وان النجاح فى ذاته متعة وهناءة وفرحة وسرور لا يغيض منبعه أبدا

ومن بعد الذكاء العام يأتى الذكاء المهنى وهو متنوع، والحديث فيه يطول ولكن بحسبنا ان نجمل هذا الذكاء فنقسمه الى ذكاء نظرى، وذكاء ميكانيكى، وذكاء اجتماعى

ومن الاخفاق الذى لا مرية فيه ان يطلب الرياضة أو الفلسفة شاب لا يحسن ادراك الأمور مجردة، ولا استبانة الحقائق غير مجسدة . ومن الخيبة التى لا شبهة فيها ان يطلب الميكانيكا رجل حلام أكثر تعلقه بالخيال

كذلك المهن التى تقضى بالدوران بين الناس لا ينفع فيها الا الشاب الذى عرف كيف يرى الناس من وراء جلودهم . شاب يستمع الى محدثه فيفطن من ظاهر حديثه الى ما بطن من خفاياه . شاب لايبالى ان يذكر محامد الرجال كثيرا وأن يذكر أخطاءهم قليلا أو لا يذكرها أبدا . شاب يرى الوجوه فيذكرها، ويسمع الاسماء فيحفظها، فاذا لقى رجلا ابتدره باسما، واذا لقى امرأة طأطأ لها رأسه، وأقبل وتهلل . شاب اذا قال النكتة أمتع، واذا سمعها استطابها واستمتع . شاب يعرف المجاملة ويعرف المداراة حتى تكاد ان تكون خداعا . شاب، على ما يقول المثل الأجنبى، يشرب فى بيته الخمر عبا، ولكنه فى الطريق وفى النادى، يعدد محاسن الماء القراح

ان وضع الشاب الصحيح فى المهنة الخاطئة، هو، على ما يقول المثل الأجنبى أيضا، كوضع الخابور المدور فى الخرق المربع، لا يكون للشاب منه استقرار، ولكن يكون منه القلق . وهو لا يشقى وحده بذلك، ولكن أسرته، وبيئته، وأمته تشقى به

أما بعد، فهذا هو الصيف، يفتر فيه كل شئ، ويهدأ كل شئ، الا قلبا يداعب الأمل، والا فكرا يرسم المستقبل، فلنفعل بمستقبلنا ما نفعل ببيوتنا : نرسم على الورق قبل ان نحفر فى الأرض، فاذا حفرنا حفرنا على ثقة، وحفرنا عميقا، وبنينا رفيعا سامقا، كالذى وصفه السموءل بقوله:

رسا أصله تحت الثرى وسما به
الى النجم فرع لا ينال طويل

أحمد زكي

الذكاء الاجتماعى

بقلم الدكتور أمير بقطر

هذا تعبير حديث ، يكاد يكون من مبتكرات القرن العشرين ، اذ قلما استعمله العلماء والكتاب قبل ذلك ، اللهم الا من حيث معناه . فالكياسة والذوق وما يرادفهما من الالفاظ ، تشمل — نوعا ما — معنى الذكاء الاجتماعى ، ولكنها لا تعبر عن المعنى الخاص الذى ينطوى عليه هذا التعبير . فالذكاء اذا اطلق ، قصد به تلك الشعلة الذهنية التى يتصف بها ذوو الافهام فيما يتصل بالمسائل المعنوية العقلية المجردة ، فى الرياضيات، والطبيعيات، والقانون ، والطب ، والسياسة ، والاقتصاد ، وسواها . اما الذكاء الاجتماعى ، فيقصد به تلك الميزة التى تجعل صاحبها مقبولا فى المجتمع ، محبوبا من الجماعة ، واسع الحيلة فى التعرف على الاوساط، مزودا بالصفات التى تؤهله الى ترحيب هذه الاوساط به والسعى اليه ، ومع وجود الصلة بين الذكاء الذهنى والذكاء الاجتماعى فى كثير من الاحايين، فقد يكون امرؤ موهوبا فى احدهما فقيرا جد الفقر فى الآخر .. وقد يكون الرجل أميا

> بحث نفسانى يكشف عن الطريق التى ينبغى أن يسلكها المرء كى يكون ناجحاً فى المجتمع

ومع ذلك يكون ذكيا بالغا حد الذكاء، ذهنيا أو اجتماعيا ، أو كليهما معا

•

أقام أحدهم حفلة ساهرة لعشرة من أصدقائه ، وكان يوسف بين هؤلاء العشرة، وهو رجل من علماء القانون، حاد الذكاء « الذهنى » حاضر البديهة، سريع النكتة ، ذلق اللسان ، وبالرغم من عدم معرفته لأكثر المدعوين فى الحفلة فقد كان أكثرهم حديثا ، واليك بعض ما قاله وقت العشاء :

« ان أبغض فنون البناء عندى الفن المصرى القديم ، ولا أدرى كيف يستسيغ رجل فى هذا العصر ذلك الفن فيشيد له بيتا على طرازه .. ما رأيت شابا مصريا تلقى دروسه فى جامعات انجلترا، حتى مقته، فهو يحلق شاربيه، ويدخن البيبة ، ويزج عباراته العربية بمفردات انجليزية بمناسبة وبغير مناسبة ،

أليس من الجنون ان ينفق رجل ألوفا من الجنيهات كلما زوج أحد بنيه ، أو احدى بناته ؟.. لم أر ثريا من أثرياء الحرب ، الا وكان الغباء بعينه مجسما»

وقد كاد رب الدار أثناء أحاديث يوسف هذه ان يقول : «أيتها الارض افتحى فاك،وابتلعينى » ، لأن صديقه « رأفت » ، الى جانبه ، كان قد أنفق نصف ثروته فى تشييد بيت على الطراز الفرعونى ، وصديقه « احمد » كان من خريجى جامعة لندن، وعديله « داود » زف كريمته منذ أيام فى حفلات وولائم، قلما كان لها فى البذخ والاسراف مثيل ، والجالس الى يمينه كان موظفا عنده بمرتب ضئيل فأصبح فى خلال سنوات الحرب من أصحاب الملايين . وكان هؤلاء جميعا لسوء الحظ من المدعوين الذين لم يسبق ليوسف عهد بهم . فهل يجرؤ أحد ممن سمع هذه القصة بعد ذلك أن يدعو « يوسف » فى مناسبة كهذه ؟ ان مثل يوسف مع حدة ذكائه العقلى ، تنقصه تلك الهبة الطبيعية التى نسميها الذكاء الاجتماعى . ومثل يوسف عادة مكروه من الافراد والجماعات على السواء

●

والى القارىء مثالا آخر ، اتضح فيه الغباء الاجتماعى خير وضوح :

دق جرس التليفون فى منزل اخصائى من علماء النفس ، فى ساعة يخلد فيها الناس عادة للراحة بعد عناء العمل .. « أنا شاب أريد استشارتك فى أمر عظيم الاهمية » فظن الرجل ان الشاب فى حالة اضطراب شديدة فلم يرفض طلبه ، وحضر الشاب على الفور . فهز يدى الطبيب النفسانى بعنف ، وقبض عليهما بحماسة، واستبقاهما طويلا بين يديه ، وكأنه صديق له قديم ، مع عدم معرفته به قبل ذلك . ثم فحص الغرفة جيدا وسحب كرسيا من كراسيها وجلس عليه ، وأخذ يطيل النظر الى الطبيب، ويقص قصته فى سرعة فائقة ، وفى كثير من الوثوق بالنفس : « منذ تخرجى فى احدى الكليات ــ وذلك منذ عامين ــ تقلبت فى أربع وظائف، وكدت أرفت من الرابعة ، لعداء بينى وبين زملائى ، وعدم رضا رؤسائى عنى ، مع شدة كفايتى واخلاصى للعمل ، وفى كل من الوظائف التى تقلدتها مثل هذا الدور بعينه ، وزادت الكراهية لى الى حد كنت أخل فيه على تقديم استقالتى . وكنت فى بادىء الأمر اعتقد ان التعصب وحده مسئول عن هذه الظاهرة، وان الذنب ليس ذنبى . ولكنى بعد اطلاعى على بعض المؤلفات، أدركت ان العيب فى، وليس فى زملائى، ولا فى الرؤساء . لذلك حضرت لاستشارتك لأرى اذا كان فى مقدورك الكشف عن هذا العيب »

●

ان تشخيص العيب فى هذا الشاب واضح ، فهل تخفى على القارىء بعد

هذا العرض الوجيز، الصفات التى تنفر زملاءه ورؤساءه منه ؟ لنحلل تصرفه كما رأيناه عند الطبيب :

١ – لم يراع مقتضى الحال والوقت الملائم

٢ – كان أنانيا، منصرفا الى نفسه، فقد كان يستطيع تأجيل الموعد ساعات أو أياما ، بعد ان صبر على عيوبه سنتين

٣ – تصنع الكياسة والذوق، ولكن سرعان ما ظهر ادعاؤه وخداعه فى تلك الفترة الطويلة التى قبض فيها على يدى الطبيب واستبقاهما فى يديه

٤ – منع الكلفة لأول وهلة بأن اختار الكرسى الذى راق له ، ونقله من مكانه، مما يدل على الصفاقة والجرأة

٥ – أهان الطبيب بغير تعمد فى احدى عباراته ، وكأنه أراد أن يقول له : « جئت لاختبرك فقد أطراك الغير، ولكنى لا أعلم اذا كنت تستطيع مساعدتى أم لا ؟ »

مثل هذا الشاب العنيق، الانانى، المقدام فيما لا يحسن الاقدام عليه ، لا يمكن ان يكتسب اصدقاء ، بل على النقيض من ذلك ينفرهم منه ، اذ ينقصه الذكاء الاجتماعى. ومما يؤسف له ان الكتب وحدها لا تكسب قارئها الذكاء، سواء أكان اجتماعيا أم ذهنيا، اذ أنه هبة من هبات الطبيعة

واذا كان لا بد للقارىء من نصائح يريد معرفتها فاليه بعضها :

اذا وجدت فى مجتمع ، فاستمع كثيرا وتحدث قليلا ، فالمحدث الماهر مستمع ماهر

– ادرس الناس وحركاتهم وأقوالهم واستجابات الغير لهم ، فدراسة الناس خير بكثير من دراسة الكتب

– لا تقم نفسك واعظا أو خطيبا أو مصلحا فى مجتمع دعيت اليه

– تجنب كل ما يمس أفراد الجماعة التى أنت واحد منها ، وكل ما يمس أصدقاءهم أو أقاربهم، أو يجرح كرامتهم

– يحسن ان تكون ملما بشخصيات من تحتك بهم ، واذا لم تتمكن من ذلك ، فكن حذرا فى حديثك ..

– احترم آراء الغير وان تصادمت آراؤهم مع آرائك

– شارك الجماعة فى الضحك اذا ما ضحكوا ، واطر زميلك اذا أحسن النكتة أو العبارة ، ولكن احذر المبالغة فى المدح

– لا تكن عشرتك مقصورة على من يشبهونك فى صفاتك ، ولكن حاول ان تندمج أحيانا مع من يغايرونك

– احتفظ بالسر اذا ما طلب اليك ذلك ، فافشاء الأسرار يفقد الثقة فيك

– ليكن المزاح دأبك اذا ما كان المجال ملائما للمزاح ، ولكن اعلم ان الكياسة أسمى وأفضل من المزاح

– وأخيرا .. واهم هذه النصائح كلها .. حاول ان تعطى أكثر مما تأخذ ، وأن تخدم أكثر مما تخدم

أمير بقطر



بقلم الاستاذ عز الدين فراج

نحن مدينون بفنجان القهوة الى شجرة البن ، تلك الشجرة الدائمة الاخضرار التى قد يمتد عمرها ثلاثين عاما أو أكثر

وتبدأ هذه الشجرة فى اعطاء باكورة أثمارها فى العام الخامس من عمرها ، وأكبر محصول لها يبدأ من العام الثامن

وتزهر شجرة البن أزهارا بيضاء جيلة تتحول فى وقت قصير الى ثمار خضراء ، تتحول بدورها الى اللون الأحمر الذى يعتريه السواد تدريجيا حتى يعم كل الثمرة . ومتى تم هذا التحول فى اللون وجب قطف الثمار، وترك ما لم يتم نضجها ، لان ثمار الشجرة الواحدة لا تنضج عادة فى وقت واحد

وأجود أنواع البن هو الذى روعى فيه ان لا تختلط الثمار الناضجة بغير الناضجة ، لان قليلا من الثمار التى لم يكمل نضجها كفيل بأن يفسد مذاق كمية كبيرة من البن الناضج . ولهذا سيبقى البن من المحاصيل التى تجنى بالأيدى لا بالآلات ، فالآلات لا تفرق بين الناضج وغير الناضج . ولا بين الأخضر والأسود من الثمار

ولكى يكون استمتاعك بهذا الشراب على أتم صورة يجب أن تحمص البن، وتطحن منه على قدر الحاجة ، أما أن تطحن الكثير ثم تتركه بعد طحنه مخزونا مدة طويلة فانه يؤدى الى فساد نكهته

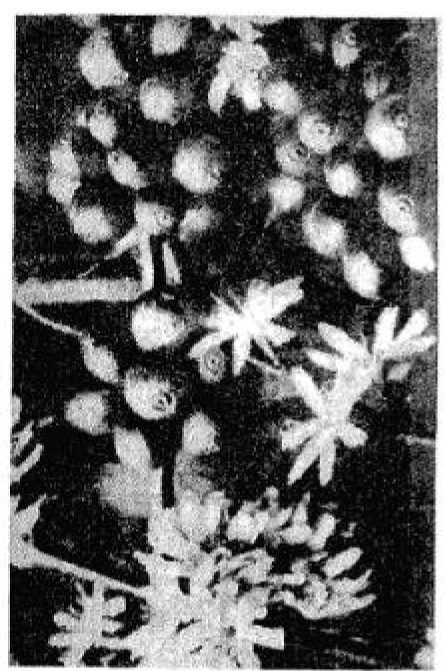
وقد يتساءل القارىء : أين نشأت عادة شرب القهوة ؟ فأقول له : انها نشأت فى شرقنا العربى وبلاد الحبشة، وظلت مقصورة على ذلك حتى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى، ثم وجدت القهوة سبيلها الى أوربا عن طريق الآستانة، ومنها الى ايطاليا . ويقال انها رؤيت لأول مرة فى البندقية عام ١٦٢٤ ، ثم رؤيت فى العام التالى فى روما . وفى عام ١٦٥٢ افتتح أول مقهى فى لندن ، وسرعان ما انتشرت المقاهى وأصبحت منتديات الطبقة الراقية ، يؤمها رجال السياسة والاجتماع والثقافة يتبادلون فيها الآراء والأفكار

وكانت المقاهى الانجليزية فى أول أمرها هى المقر الأول للأحزاب السياسية، فكانت هناك مقاه لايستطيع دخولها عضو من حزب الأحرار ،

وأخرى لا يستطيع دخولها عضو من حزب المحافظين . وهذه المقاهي الانجليزية هي الأصل الذي تفرعت منه نوادي لندن المشهورة التي نجدها اليوم مؤسسات اجتماعية وسياسية ثابتة الأركان

وبعد القهوة هدية العالم القديم الى العالم الجديد ، فأمريكا لم تعرف نبات البن حتى حوالي عام ١٧٢٠ ، فعندئذ حمل أحد الضباط الفرنسيين معه ثلاث شجيرات من البن وهو في طريقه الى جزر المارتنيك . وبينما هو على ظهر السفينة ، هبت عاصفة عاتية عاقتها عن المسير وحجزتها في عرض البحر بعض الوقت . ومنعتها من الوصول الى هدفها في الموعد المقرر . وقد تسبب عن هذا التأخير نقص الأغذية والماء عن حاجة ركابها ، فاضطروا الى تخفيض حصصهم من الماء العذب . فما كان من هذا الضابط في سبيل المحافظة على هذه الشجيرات الثمينة ، الا أن حرم نفسه حصته من هذا الماء ليروى بها الشجيرات . فوصل بها الى جزر المارتنيك فكانت النواة الأولى ، وأعجب بها الزراع وراحوا يتسابقون في جلب هذا الشجر من مواطنه والاكثار منه . فانتقلت مراكز انتاجه من العالم القديم الى العالم الجديد

وقد يدهش القراء من أن هذا النبات لا يزرع في مناطق الشرق



أزهار وثمار شجرة البن

الأوسط ، في حين أنه غزا العالم الجديد بهذه السرعة الفائقة . فأقول لهم ان هذا النبات لا ينمو الا اذا توفرت الظروف الملائمة لنموه ، وهو ينمو بنجاح في أي مكان في المنطقة الحارة بين المدارين بشرط توفر خواص معينة في التربة والحرارة والرطوبة ، وأصلح تربة لنموه هي التربة الغنية بعنصر البوتاسيوم ، ولذلك نجد أن زراعته قد ازدهرت على سفوح المنحدرات البركانية

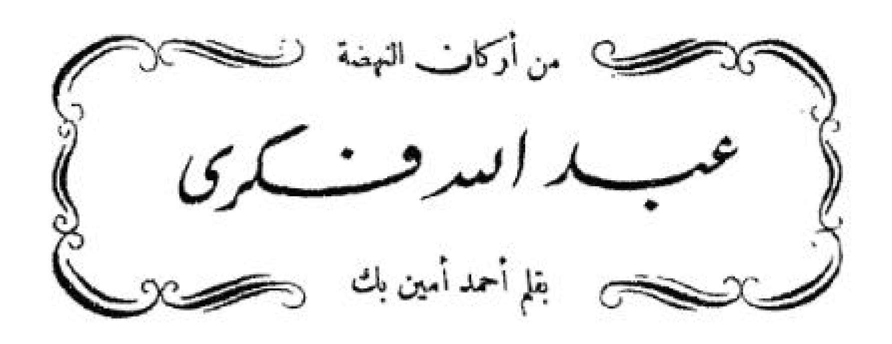
ومع أن هذا النبات ينمو في درجات من الحرارة مرتفعة ، فانه يجب وقايته من لفحة الشمس ، بأن يزرع في كنف نباتات أخرى تسبقه في النمو فتظلله وتحميه

آداب السلوك عند الغربيين ..

آداب الطريق	يتمسك بها الناس الى أبعد حد . الرجل يخلى المكان والطريق دائماً للسيدة ، أياً كان مركزه . والمرأة هى التى تبادر الرجل بالتحية . والرئيس هو الذى يبادر مرءوسه بها	يبدى الرجال احتراما زائداً للسيدات ، ويفسحون لهن الطريق ، ويتركون لهن أماكنهم فى المركبات العامة ، والرجل لا يرفع قبعته إلا لسيدة ، ويفعل هذا فى المصعد أما فى المكتب فلا
المصافحة	الرجال لا يتصافحون إلا عند التعارف . وقد تصافح السيدة الرجل ولكن ليس فى مقابلتهما الأولى	ليست شائعة
التعارف	يقول الانجليزى غالباً ليعرف شخصاً بآخر : « هل قابلتم فلاناً قبل اليوم ؟ » والرجل هو الذى يقدم الى السيدة والأصغر سناً الى الأكبر	يقول الأمريكى : « أستطيع أن أقدم لك فلانا . . » ولا فرق فى تقديم الرجل الى السيدة أو العكس
موائد الطعام	يكثرون من وضع الأزهار على المائدة . والأطباق يغيرونها مع ألوان الطعام . وفى أيام الآحاد يأكلون طعاماً بارداً لأن الخدم فى اجازة	فى الأيام العادية ، يتناولون الطعام على موائد متنقلة يوضع عليها الطعام كله مع الأطباق ، وتنقل من مكان الى آخر
 الخطبة والزواج	الخطبة لها صبغة عائلية بحتة . وعند الزواج يعلق المدعوون ، على سبيل الفكاهة ، بعض أدوات المطبخ أو الأحذية القديمة وراء مركبة العروسين عند ما تنطلق بهما الى حيث يقضيان شهر العسل	الخطبة لها صبغة عائلية ، يحتفل بالزواج الدينى بكثير من الأبهة . يلقى المدعوون على مركبة العروسين ملء قبضتهم من الأرز ، رمز الخير والبركة

مظاهر التربية والآداب والتهذيب تختلف باختلاف البلدان والأمم . وما يبدو حسناً فى أقصى
رب ، قد يبدو سيئاً فى أقصى الشرق . . وهذه على التقريب آداب السلوك ، اقتبسنا منها القليل
ائع . ومع هذا فاختلاط الأمم اليوم جعلها تشترك فى الكثير ، والرغبة فى التحرر ضيقت الفروق

يبالغون فى المظاهر ، الرئيس لسيدة ينتظران دائماً أن يبادرهما رون بالتحية . والرئيس يرد ية لمرؤوسه بكثير من مظاهر اضع	يظهرون احتراماً عظيماً لأبناء الطبقات الأرستقراطية ولرجال الجيش . ويحيون السيدة أو الآنسة بقولهم : « أيتها السيدة أو أيتها الآنسة الظريفة »	يكثرون من التأدب فى تحية السيدات ، فيقولون مثلا : « بارك الله امك التى ولدتك جميلة الى هـذا الحد ! » ولا ينسون ذكر الألقاب وهم يتخاطبون
صافحون باليد بحرارة	يصافحون بشىء من الجمود . الرجل لا يمد يده للسيدة ولا لرئيسه . واذا كان يضع قفازاً بيده فانه ينزعه	ينزع الشخص قفازه الأيمن ويمد يده . المصافحة شائعة جداً
فرنسا يكثرون من التعريف ، إيطاليا يكثرون من ذكر ب والصفات : الأستاذ . . العلم المشهور . . . الخ	لا يكثرون من تقديم السيدات واذا فعلوا فانهم يذكرون لقب الزوج : عقيلة الدكتور فلان . . عقيلة القاضى فلان . . الخ	يكثرون من التعريف . والرجل الذى يقدمونه الى آخر يقول : « أنا عند أقدام حضرتكم ! »
ة العائلة تغرف الطعام قبل الجميع	يكثرون من شرب الأنخاب على المائدة . ويرددون تمنياتهم بعضهم لبعض بعد كل كأس . ويدخنون كثيراً ، ولكن الضيف لا يدخن لفافاته بل لفافات مضيفه	لا تمتاز عادات الاسبانيين بشىء خاص . ولكن جميع الناس يمكنهم أن يقفوا فى الشارع أمام بائع الفاكهة ويأكلوا ما يشترونه منه
طبة لها صبغة عائلية تقدم الحلوى ، يحتفل بالزواج كنائس أو عند أسقف . والزواج المدنى فى شائع جداً	الخطيب الغنى يقدم لخطيبته خاتما من الحجارة الكريمة فى حفلة عائلية . ينقل الخاتم يوم الزواج من اليد اليمنى الى اليسرى	يقدم الخطيب سواراً بدل الخاتم . الزواج دينى فقط أما المدنى فلا يعترف به . يكثرون من إقامة المآدب والرقص والموسيقى



في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، كان يلمع في مصر أديبان كبيران: محمود سامي البارودي باشا حامل لواء الشعر ، وعبد الله فكري باشا حامل لواء النثر وفي المنزلة الثانية في الشعر

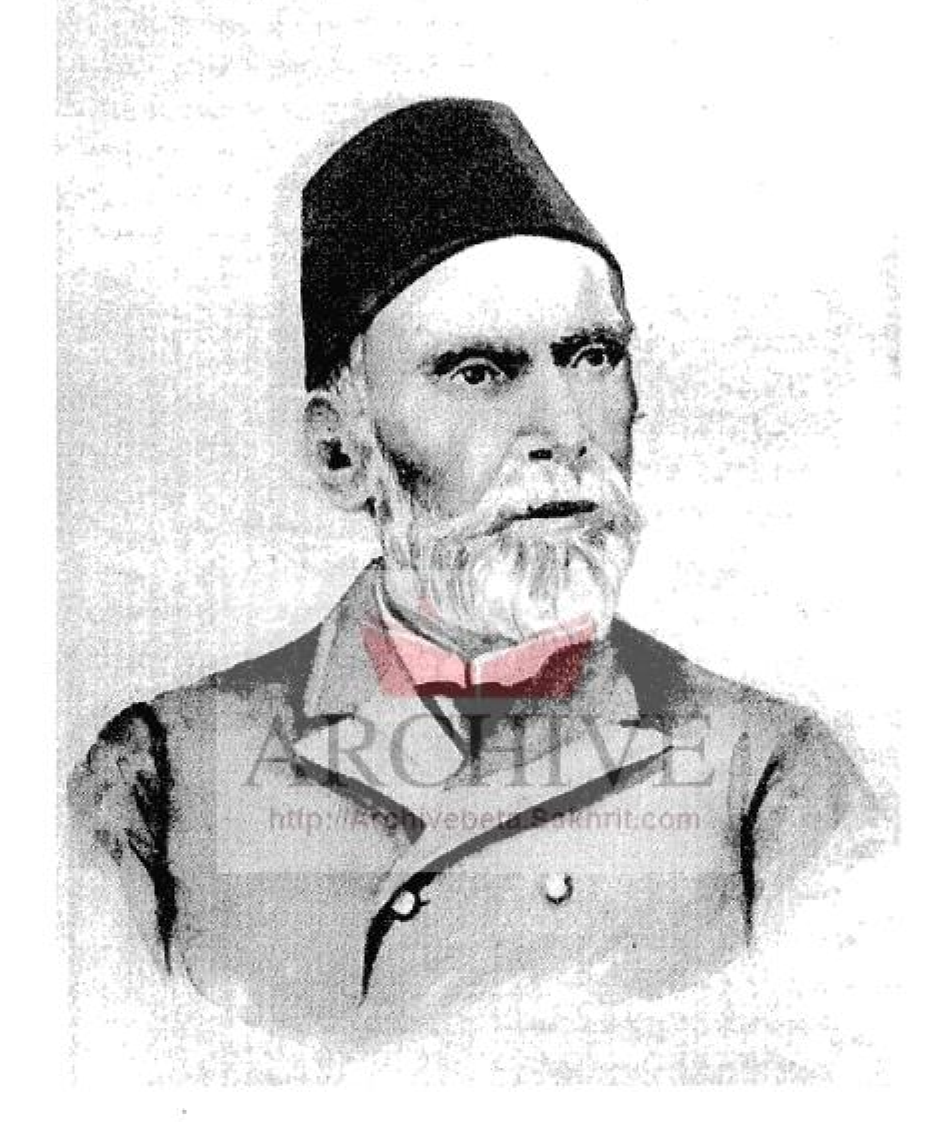
وكانا صديقين حميمين ، كلاهما صفي الآخر ، وموضع سره ، ومستودع شكواه ونجواه

يصف البارودي صديقه عبد الله فكري فيقول :

أخي وصديقي وابن ودي وصاحبي
وموضع سري حين يعتلج الصدر
هو الصاحب المشكور في الود سعيه
وما خير ود ليس يلحقه شكر
أمين على غيب الصديق اذا وهت
عهود أناس أو تطرقها فتر
فلا جهره سر ولا سر صدره
اذا امتحن الواشي ضمائره جهر
يدب على المعنى الخفي بفكرة
سواء لديها السهل في ذاك والوعر
له البلجة الغراء يسري شعاعها
اذا غاب أفق الفهم والتبس الامر
تزاحم أفواج الكلام بصدره
فلو غض من صوت لكان لها هدر
اذا اختمرت بالليل قمة رأسه
تفجر من أطراف لمتها الفجر

□

فأما البارودي فكان أدبه مقصورا على ما يقول من شعر فيما يعرض له من أحداث ، وأما فكري فكان أدبه شائعا في مناحي حياة الناس ، يكتب الخطابات الرسمية للخديو اسماعيل، والخطابات الخاصة لحرمه ، ويكتب رسائله الاخوانية لجمهرة كبيرة من أصدقائه في كل مناسبة ، ويضع الكتب لتلاميذ المدارس الابتدائية ، ويؤلف في موضوعات مختلفة ، وينقد العقلية الرجعية ، ويدعو الى التقدم ، ويملأ المجالس فكاهات ظريفة ، تتناقل عنه وتملأ جو مصر بهجة ، فلا يجهل فضله خاص ولا عام



عبد الله فكرى . . أحد الأبطال الذين قامت النهضة فى مصر على أكتافهم والذين كرسوا حياتهم لخدمة العلم والدين والأدب . سموه فى زمانه « بابن سهل » لسهولة أخلاقه ، وسهولة طبعه ، وسهولة فنه فى الشعر والنثر

وكان في مصر شابان ظريفان أديبان ، اجتهدا ان يلقبا كل شخصية ممتازة في مصر بلقب من أسماء الأدباء القدماء ، على أن يكون اللقب مناسبا تمام المناسبة له ، وملخصا هذه الشخصية ، فسميا البارودي «الشاب الظريف» ، لجماله ، وحسن طلعته، ورشاقة قده ، وحسن هيئته ، وسميا عبد الله فكري « ابن سهل »، لسهولة أخلاقه ، وسهولة طبعه ، وسهولة فنه في الشعر والنثر

وفي الحق أنه كان مؤدبا أدب الملوك ، عف اللسان ، ظريف المحضر ، نزيه اليد ، كريما ، سمحا . وكان الشيخ محمد عبده كثيرا مايترحم عليه عند ما يتمثل بقوله :

ولو شئت كانت لي زروع وأنعم
ومال به الآمال أقتادها قسرا
ولكنها نفس فدتك أبية
تعاف الدنايا أن تمر بها مرا

دين، ولكن دينه سمح سهل أيضا. فلا يطغى دينه على قضايا العلم يتكرها، ولا يرى حرجا من ايمان بدين به مع ايمان بعلم ، ولا غضاضة في دين مع رقة و ـ رف وفكاهة وتندر

▭

ولد عبد الله فكري من أب مصري، وام من بلاد المورة باليونان ، وكانت اليونان تابعة لتركيا زمنا طويلا ويتكلم كثير من أهلها اللغة التركية ، فكان عبد الله يجيد العربية لأبيه ، والتركية لأمه

وكان أبوه ، محمد افندي بليغ ، مهندسا كبيرا ، نشأ نشأة أزهرية ، ثم دخل المدارس المدنية وتعلم فيها الهندسة ، وكان مهندسا في الجيش فكان يسافر معه ، وهذا هو السبب في زواجه بهذه « المورية » أيام كان الجيش المصري يغزو مع العثمانيين اليونان ، وهذا هو السبب في أن عبد الله فكري ولد بمكة ، أيام كان أبوه في الحملة التي أرسلت الى الحجاز، ومات أبوه ـ وهو مفتش هندسة الجيزة والبحيرة ـ وتركه طفلا فكفله بعض أقربائه ، ونشئوه تنشئة أزهرية

▭

وظل يواصل دراسته بالأزهر ، حتى بعد أن عين مترجما في الحكومة يترجم من التركية الى العربية، والتحق بمعية سعيد باشا ، ثم بمعية اسماعيل باشا ، وسافر معه الى الآستانة ، ثم عينه اسماعيل مشرفا على تعليم أنجاله: توفيق وحسين وحسن

ثم انتقل الى المعارف وكيلا لديوان المكاتب الاهلية مع على باشا مبارك . ثم وكيلا للمعارف ، ثم ناظرا «وزيرا» هذه هي حياته الرسمية، أما حياته العامة فكانت أوسع مدى وأجل فائدة

لقد شاهد البلاد تغلي قبيل الثورة العرابية ، وصحب السيد جمال الدين

الأفغاني ، وتشرب من آرائه وتوثقت صلته به ، ثم حدثت الثورة العرابية، فحار في موقفه منها كما حار الشيخ محمد عبده، فعبد الله فكري معلم توفيق الخديو ومتصل به أشد اتصال ، وهذا يقتضيه البعد عن الثورة والثائرين ، وهو صديق حيم لمحمود سامي البارودي رئيس الوزارة الثورية ، وقد أشركه معه في الحكم ، ثم ان الثورة العرابية لها مايبررها من غضب على الأجانب، وتدخلهم في شؤون البلاد ، وغضب على الخديو توفيق، لاستسلامه للانجليز، وكل هذا يقتضيه المشاركة في أعمال الثورة ، أو على الأقل في تبريرها

لهذا حار ، ولهذا سار سيرا رزينا ، يسالم الثورة في حكمة ، ولا يشارك من يجاهرون بسب الخديو توفيق ولعنته ، فلما انجلت المعركة عن فشل الثورة ، كان طبيعيا ان يتهم بأنه من أعوان الثورة ــ وهذا حق ــ فيسجن ويحاكم ، ومن الطبيعي ــ أيضا ــ أن يسرع «توفيق» في العفو عنه وقبول اعتذاره ، لشدة صلته به وخدمته له ، ولأنه لم يكن عنيفا في ثورته ، اذ هو كما سماه الناس « ابن سهل » فلم يلبث ان عفا عنه ، وزاول عمله وعادت الثقة به ، وتاب بعد ذلك ان يشتغل بالسياسة كما اشتغل بها زميله « ابن جني » عبد الله النديم ، وقصر نفسه على الاصلاحات الداخلية ، كما فعل رئيسه علي باشا مبارك

كان أهم اصلاح قام به اصلاح التعليم ، فوجه عناية كبرى لاصلاح الكتاتيب ، وكانت على شكل بدائي من مخلفات القرون الوسطى ، لا يعنى فيها بنظافة ولا صحة ولا ثقافة ، بل كتل من الاطفال يمتزج فيها الصحيح بالمريض ، يجلسون على حصير بال . ويأكلون بأيديهم القذرة من وعاء واحد ، وعليهم رجل اسمه « سيدنا » لا ثقافة له الا انه يحفظ القرآن ــ فجد هو وصديقه علي باشا مبارك في اصلاح برامجها، وأماكنها، ومعلميها، وأساليب الدراسة فيها، فنقلاها بذلك خطوة جديدة

واتجه الى المدارس الابتدائية ، وكان معلمو اللغة العربية فيها مطبوعين بالطابع الأزهري القديم ، كل عمهم فهم نص في الكتاب ، وقد وصفهم عبد الله فكري فقال: «وقد مررت بالأمس، على أحدهم في الدرس ، يقرأ القطر لابن هشام ، ويلحن لحن العوام ، ومررت بآخر يدرس الكافي ، في علمي العروض والقوافي ، يقرر قوله:

قف على دارهم وابكين

بين أطلالها والدمن

فلا وربك ما أقام له وزنا ، ولا عرف له معنى ، مع سهولة مبناه وظهور معناه ، فحطمه حطم الهشيم، ومزقه تمزيق الأديم . فقلت سبحانك

اللهم : كأن الشاعر عناني بهذا الكلام، وعلم أني أقوم هذا المقام الخ » فجد في اصلاح هذه الحال باختيار جماعة من الازهر يثقفهم ثقافة خاصة مدنية ، ويعدهم للتعليم في المدارس الاميرية، وبتأليفه بنفسه الكتب الصالحة، وبوضعه للاناشيد ، وبحضوره الامتحانات ، وتوزيع المكافآت ؛ نهض بالمدارس نهضة صالحة في نواحيها المختلفة ، وله – اذ كان ناظرا للمعارف – خطبة قوية ، تبين منهجه في اصلاح سياسة التعليم ، وقد خطبها في مجلس النواب ، ونشرت في الوقائع المصرية ، في عدد ٢٨ مارس سنة ١٨٨٢ وهي تدل على مبلغ نشاطه في اصلاح التعليم وتوسيعه . سواء في الكتاتيب أو في المدارس

ذلك الى أنه كان اليد اليمنى لكل ناظر معارف ، يستشيره في أعماله ويعتمد عليه في رسم الخطط للتعليم ، وكان هو والشيخ محمد عبده أنفع عضوين عاملين في مجلس التعليم الأعلى

ثم كان القوة التنفيذية لما كان يضع على باشا مبارك من خطط اصلاحية ، فعلى مبارك وعبد الله فكرى يشتركان في وضع التصميم لكتب تعليم الهجاء والمطالعة ووضع خطط لمصر وقصة« علم الدين » الخ، وكانت اليد العاملة المنفذة في الحقيقة هي يد عبد الله فكرى ، وان نسبت هذه الكتب الى على باشا مبارك وحده

ولم يكن زمانه كزماننا ، فرجال الدين كانوا يتدخلون في كل نظرية علمية ، يجادلون فيها باسم الدين ، وكان لهم سلطان كبير ، وصوت مسموع ، فكم لقى عبد الله فكرى من عناء في سبيل تعليم ان الارض كروية لا مسطحة ، وأن السماء فضاء ، وظاهرة الكسوف والخسوف ، ولم ينجح حتى ساق الأدلة على ذلك من قول فخر الدين الرازى ، والغزالى ، والشهاب الخفاجى ، وأمثالهم

▭

وكانت له ناحية طريفة ، هي فكاهته الحلوة ، ونادرته الظريفة . فقد كان له جمع من الأصدقاء ، أمثال البارودي والشيخ على الليثى وعلى فهمى بك رفاعة والشيخ حسين المرصفى والشيخ عثمان مدوخ ، ائتلفوا على الاعجاب بالنكتة الرائعة ينشئونها ويروونها ، ويتضاحكون عليها في مجالسهم ، ويحررونها في مكاتباتهم ، وتشيع عنهم في الناس ، ويتناقلها أهل القاهرة فتكون مصدر فرح وبهجة ، وكان لعبد الله فكرى في ذلك قصب السبق

أهدى اليه صديقه على بك رفاعة «ديكا روميا» ، فكتب اليه كتابا ظريفا جاء فيه « حصل من الأنس – بما وصل من ديك الانس – ما يقصر عن بيانه « ديك الجن » . ولا أدرى لماذا اختلفت فيه الاحساب ، وتدافعته

النساب، فترى الناس فى مصر يسمونه روميا ، وفى بلاد الروم يسمونه مصريا ، والانجليز يسمونه هنديا — فان لم يأتنى بحقيقة حسبه ونسبه بالخبر اليقين ، لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين الخ»

وكتب الى الشيخ حسين المرصفى كتابا طويلا بدأه بالسلام ، ثم تلاعب بالكلام على السلام ، ثم اعتذر عن الكتابة فى الشوق اليه بسرعة قيام الوابور ، ثم استفتاه هل فى مثل هذه الحال يحسن ارسال الكتاب من غير شوق ، أو يذكر الشوق من غير ارسال الكتاب، وتساءل : فما الداعى الى كتابة الخطاب فى هذا الوقت الحرج وكان فى الزمان متسع ، فهذه هى المشكلة التى دار حولها — ولم يحلها — فى كلام طويل لطيف

وكتب للشيخ عثمان مدوخ كتابا طويلا عاميا بدأه بقوله « أنا راجل طول عمرى ، ما أحبش أقول الا الدوغرى » ثم أخذ يحلل كلمة الدوغرى ، وان أصلها تركى ، والترك يكتبونها بالطاء وينطقونها بالضاد ، فلم نكتبها نحن بالذال الخ» وأخيرا اعتذر له بأنه نسى الكلام الذى كان يريد ان يقوله له

▭

وعاش وهو يتمنى ان يكون له قطعة أرض قريبة من القاهرة، يستمتع فيها بالهواء العليل والمنظر الجميل، وينعم فيها بالهدوء ، ويخلد اليها طلبا للسكينة ، ويقول :

أرجو من الله أطيانا أعيش بها
فى أرض مصر على حال السلاطين
مازلت ماعشت لى فى الطين كل هوى
وانما خلق الانسان من طين

ثم نال بغيته ومنحته الحكومة قطعة من الارض بدل معاش ، ولم يكن له علم بالزراعة ، ولا يكاد يعرف فيها الفرق بين القمح والشعير ، فعكف على كتب الزراعة يطالعها ورجال الزراعة يستفسرهم ، ورأى من يحرثون الأرض ويزرعونها من لا يفهمهم ولا يفهمونه ، فشك فى انسانيتهم ، وحار فى أمرهم، واعترض على تعريف الانسان بأنه « حيوان ناطق » فهؤلاء حيوانات وناطقون ، ولكن ليسوا بناس ، وضج من هذا الوسط ، واستنجد ببعض أصحابه يوافونه فى غربته ، فقد كاد ينسى الناس ، وليساعدوه على « ازاحة هذه للشبهة القائمة ، ويعود معهم الى العاصمة »

▭

لم يعمر طويلا ، ومضى آخر عمره يشكو العلل ، وأخيرا مات بالسكتة عن سبعة وخمسين عاما هجرية ، وكان ذلك سنة ١٣٠٧ هـ (سنة ١٨٨٩ م) رحمه الله

احمد امين

اركب زمانك كما تركب البحر .. تحدوك غاية

وقتك أغلى ما فى الحياة !

فرضت الحرب الاخيرة على الانسانية قيودا ورقابات متعددة ، علمتنا دروسا لا يصح لنا ان ننساها فى أيام السلام ، لأن منها ما يجدى على الحياة فى كل عهد ، ويخدمنا فى كل زمان .

لقد طالبتنا الحرب بأن لا نسرف فى الأغذية مثلا ، واستوجبت ان نستخدم نظام البطاقات

فلماذا لا نراعى هذا النظام دائما فى خاصة حياتنا ، ونطبقه بحكمة على أوقات عملنا وفراغنا ؟

والحق ان هذا هو نظام الحياة الذى لا تستطيع السوق السوداء الفكاك من قيوده ، أو التحايل عليه . فلنتعلم كيف ننتفع بالوقت أقصى الانتفاع ، فلا نترك يوما يمضى دون ان يقربنا خطوة من هدف ننشده

وقد تختلف أهدافنا فى الحياة ، تبعا لاختلاف مواهبنا ولكننا لن نعدم أهدافا نجدها ، اذا نحن أردناها .. ان الزمن كالأوقيانوس ، يجرى حاملا على صفحته ملايين النفوس التى تتألف البشرية من آحادها . فلنستخدمه كما نستخدم الاوقيانوس . فان كل شئ لا يستخدم تنعدم جدواه . وانما تنتفع السفينة بأمواه البحر ، لأن ربانها يعرف أين يسير ، والى أية ناحية يتجه ، مستعينا بكل ما تيسر ابتداعه من « بوصلة » وسكان ، ومحركات ، وأشرعة . فهى جميعا تحت تصرفه ، لتحقيق أربته . وما مثل الحياة بلا أرب ، الا كمثل سفينة على صفحة اليم ، تتقاذفها الأمواج ، الى غير غاية ، تاركة آلاتها وأجهزتها معطلة لا تعمل ، عديمة النفع لا تجدى شيئا ، وقد تؤدى بها الامواج من أجل ذلك الى العطب والتدمير

> « فلننتفع بالستين أو السبعين عاما التى نحياها كل الانتفاع ، ولننتهز خلالها كل ما يعرض لنا من الفرص ... »

فلننظر الى الزمن ، كما ننظر الى البحر الخضم ، يحملنا الى البلد الذى نطلبه ، والمكان الذى نلتمسه ، وقد تنفسح أمامنا رقعته ، ولكنه على استطالته محدود ، فمن الخير لنا ان ننتفع بالستين أو السبعين عاما من العمر كل الانتفاع ، وننتهز خلالها كل ما يعرض لنا من الفرص ،

ان بداية كل يوم يطالعنا هي بداية فرصة واستهلال سانحة . فلننس حماقة الأمس . ولنلق جانبا أغلاطه . ولنتطلع الى الساعات القادمة لنفيد منها ، ونتفع بها . فلا نتقبل الليل الا ونحن شاعرون بأننا أمسينا أقرب الى هدفنا مما كنا في فجر يومنا

ولا نحسب علاجا أنجع في دفع الارق من الذهاب الى الفراش ونحن راضون عن أنفسنا ، شاعرون بأننا قد أدينا عملا حسنا في نهارنا . فان أكثر ماينتاب الناس من الأرق مرجعه الى عجزهم عن استخدام الزمن كما يجب ، وما الليالي التي نقطعها مسهدين الا خلوات الندامة على الماضي أو التطلع الى الغيب المجهول ، والغد المأمول ، ولكن ما أسرع الانتفاع بالزمن اذا نحن حشدنا له كل مافينا من قوى ومواهب وملكات ، وحصرنا همنا في اليوم الذي أمامنا ، فان السفينة لا تتقدم في سيرها الا حين تعلو ظهر الموجة ، وتغالب التيار واللجة . وهي لا تسير في بحر الماضي ، ولا تجري على صفحة أمواه المستقبل

ان كل يوم نعمل فيه ونسعى يتقدم بنا خطوة الى النجاح . ولا غناء لنا عن الدأب والكد ، ومن ورائه لابد لنا أيضا من عقل منظم يوجهنا ، وفكر مرتب يهدينا ، وكلما وضعنا أمامنا هدفا صادقا في الحياة نبتغيه ، كان هدفنا هو الحافز الى الرقابة على عقولنا والسيطرة على حركاتنا وتصرفاتنا .

وقديما قال الشاعر الانجليزي الكبير براونج « من كان له في هذه الدنيا هدف يسعى اليه ، استطاع الانتفاع بكل شيء يواتيه » ، ولرب قوم يحسبون أن أكبر العظماء أصابوا الشهرة والمجد بالحظ أو النفوذ . ولكن الامر ليس كذلك فان العظماء طالما كدوا وسهروا ، وطالما أقاموا الليل كادحين ، واستغلوا أوقاتهم بحكمة وانتفعوا بأيامهم دائبين . لان الزمن عندهم هو نسيج الحياة ذاتها . وأغلى شيء فيها ، ومن قبلنا قال شكسبير نادما على مافاته: «لقد أضعت الوقت ، وها هو ذا الوقت يضيعني » . وقديما قال الناس في مضرب الامثال : « ان الوقت كالسيف ، ان لم تقطعه قطعك » وما كذب الذين قالوا ولا وهموا ، بل كان قولهم نذيرا ، ان نفعت النذر ، فان الزمن لاينتظر أحدا منا ، ولا يتمهل له ، ولكنه يرمي بأمواجه على شواطيء الحياة والموت كمد البحر حين يندفع بلا انقطاع على الرمال

ان للزمن لمرونة خاصة لايكتشفها الا من يعرفون كيف ينتفعون به . وكلما سمعت قوما يشكون من أنهم لايجدون وقتا لهذا العمل أو ذاك ، فثق أنهم لايعرفون كيف ينتفعون بأوقاتهم ، لان الزمن طيع مستجيب لكل من يدبر أوقاته وينظم حياته

[عن مجلة « سيكولوجي »]

تلميذة فقيرة .. تأبى أن تكون كوكبا سينمائيا !

رسالة من هوليوود ، عن فتاة لم تبلغ العشرين ، ضربت مثلا عاليا للشباب . أن يؤسسوا لأنفسهم مستقبلا يبنونه على الدرس والكد ، لا على اغراءات للمجد كاذبة رائفة

فى كوخ صغير فقير المظهر ، يقوم عند مشارف هوليوود ، تعيش ملكة سابقة .. ملكة حملت التاج ، وارتقت العرش اسبوعين اثنين . ثم اعتزلت وأوت الى هذا الكوخ المزوى !

ولا غرابة فى هذا .. فشأنها شأن كل ملكة مثلها ، آتاها الله ملك الجمال ، لا ملك السلطان . فان ملكات الجمال لا يتربعن على العرش الا ريثما يتلقين تحيات الشعب وتهانئه . ثم يعتزلن العرش ويتركنه لسواهن ممن أوتين ملامح وأطرافا تقاس بالمقاييس الخالدة التى توارثها الانسان المهذب الراقى عن « فينوس » الهة الجمال

* * *

ولكن الغريب فى أمر هذه الملكة ، « نورما كريستوفر » التى ما تزال فتاة غريرة فى الثامنة عشرة من عمرها ، أنها أول واحدة استطاعت أن تنال من كبرياء هوليوود وغرورها ، وأن تدير ظهرها لكل ما فى هذه المدينة الساحرة من أضواء الشهرة وفتنة المال ، حين رفضت كل ما قدمته لها من عروض ومغريات ، لتجعل منها « كوكبا سينمائيا » يجرى اسمها على كل لسان ، ويتدفق تحت قدميها نهر من المال

فعند ما يكتب تاريخ هوليوود ، سوف يكتب فيه أن « نورما » كانت أول من مس كبرياءها . ففى كل عام يفد على هوليوود ألوف من الفتيات ، كلهن جميلات ومنهن فاتنات . فيطرقن أبواب قياصرة المدينة من مديرى شركاتها ومخرجيها ، يلتمسن منهم ان يتفضلوا باختبارهن ، ليبدين لهم مواهبهن . ولكن هذه الابواب تظل مغلقة دون ألوف من أولئك الفتيات .. فيعدن من حيث أتين خائبات

والآن تأتى بنت صغيرة ، ماتزال تلميذة فى المدرسة ، وهى من أسرة فقيرة محتاجة ، فتفتح لها هوليوود أبوابها ، ويتقدم اليها السادة القياصرة مرحبين ، ويتلطف لها المخرجون ويتظرفون ، فاذا بها تقول لهم جميعا : اشكركم .. ولكن ، لا ! .. ثم توليهم ظهرها وتعود الى الكوخ والمدرسة !



هذا حدث فى تاريخ هوليوود !

واذن فلاذهبن اليها لأراها واسمع قصتها . وتناولت دليل التليفون فلم أجد فى البيت الذى تسكنه تليفونا . . نعم ، ان البنت التى رفضت أن تكون كوكبا سينمائيا ، يتاح لها أن تسكن قصرا باذخا وتحيا بين اسماط اللؤلؤ وطنافس الحرير ، ليس فى بيتها تليفون . . مع أنه شيء مألوف فى بيت العامل الامريكى العادى !

وعرفت رقم تليفون قريب من بيت « نورما » ، فردت على أمها ، واتفقنا على موعد للزيارة

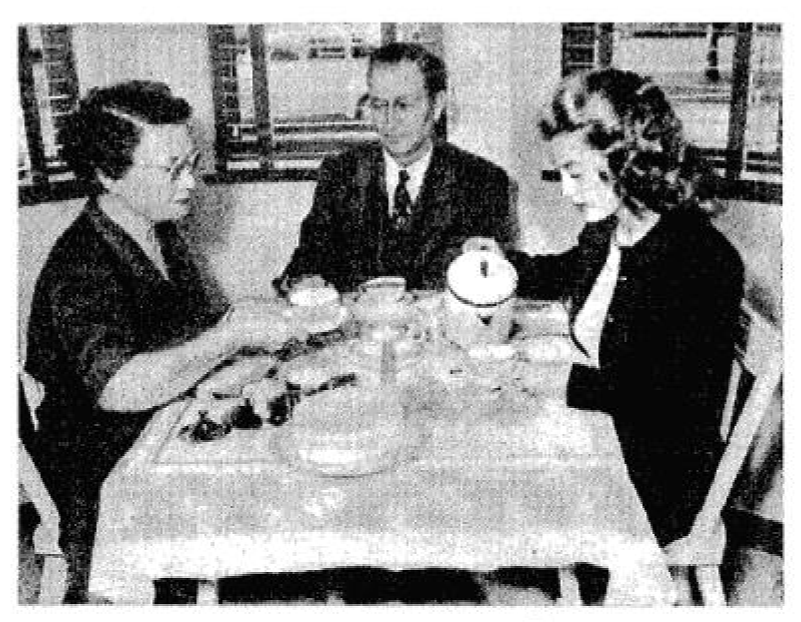
وبعد يومين كنت جالسا الى مائدة صغيرة فى مطبخ البيت ، وأمامى الفتاة التى نالت من كبرياء هوليوود ، ومست غرور قياصرتها الاشداء . وكانت عندئذ عائدة من مدرستها ، وفى يدها كتبها وكراساتها . وأردت أن أقول لها :

« نورما . ان مخرجى هوليوود على حق فيما رأوه . فقد خلقت لتكونى ممثلة سينمائية، فوجهك الجميل يفيض حياة ، وينبض تعبيرا . وهذا شعرك، ذهب متوهج صبغته يد الخالق لا يد الانسان . وعيناك لم أر مثلهما زرقة وصفاء . وقوامك المتسق قوام ممثلة

تتطلع الى المستقبل المؤسس على الدرس والكد بوجه باسم ونفس مطمئنة وقلب عامر بالثقة والايمان



هذه هي « نورما كريستوفر » أول ملكة للجمال نالت من كبرياء هوليوود وغرورها
وأدارت ظهرها لكل ما في هذه المدينة الساحرة من أضواء الشهرة وفتنة المال



إنها فقيرة ولكنها سعيدة .. ولذلك لن تضحي بما هي فيه،
في سبيل ما في هوليوود من شهرة زائفة ومال لا خير فيه

ممتازة .. فأنت ولدت لتكوني ملكة من ملكات هوليوود ».

أردت أن أقول هذا .. فإن من حقها على من يراها أن يقول لها هذه الكلمات ، ولكني قلت :

« لقد عرفت انك رفضت ما قدمته لك ستوديوهات هوليوود من العروض فأحدثت ضجة ولغطا في المدينة التي ظلت طول حياتها تتكبر وتتدلل على ألوف الفتيات والنساء . ولست أدرى لماذا رفضت ؟ فما من فتاة في الدنيا تضيع مثل هذه الفرصة الذهبية ! »

فقالت :

« لأني أريد أن أكون ممثلة ! فأنا أستطيع أن أمثل . ومازلت أدرس في المدرسة فن التمثيل .. وهوليوود لا تفهم معنى التمثيل ، بل هي تقتل مواهب الممثلين والممثلات ! »

كان رأيا غريبا وجريئا ، فلما أبديت دهشتي ، قالت : « أرجو ألا تكون موفدا من قبل احدى شركات هوليوود . فان كان الامر كذلك فليس لدي ما أحدثك به » . فأكدت لها أني صحفي لا صلة لي بالتمثيل ، وانما جئت اليها لان قصتها تدور الآن على ألسنة الناس في هوليوود ..

فلما اطمأنت الى استرسلت تقول :

« انني لا أثق في هوليوود ولا أسلم

لها أمرى . فاننى أشعر انها مدينة طائشة مجنونة . ففيها لا يتركون المرء حرا فيما يتعلق بحياته الخاصة ، بل يلاحقونه بالاكاذيب يفترونها ويشيعونها على سبيل الدعاية والترويج ، أو بغية الكيد والتشهير . وان هم ترفقوا به فلم يعرضوا لشؤونه الخاصة ، فان رجال السينما فيها قد مهروا فى قتل مواهب الممثلين والممثلات ، بوضعهم فى روايات لا يصلحون لها . فهذا ممثل يستطيع أن يستدر الدمع من عيون الناس ، ولكن الشركة تريد اخراج فيلم مضحك ، فليكلف هذا الممثل نفسه ما لا يستطيع ، وليمثل دورا يضحك به الناس ..

«وأما الطامة الكبرى فتقع على رأس الممثلة الجميلة . فانهم ينسون انها ممثلة ، ولا يذكرون الا أنها جميلة . واذن فليضح جمالها بفنها بدلا من أن يعززه ويبديه . فأسوأ الممثلات حظا فى هوليوود من أكثرهن جمالا . اذ ينظر المخرجون الى الممثلة الجميلة ، الى وجهها وساقيها ، ثم يقولون : جميلة يا عزيزتى .. فهيا لنظهرك فى الفيلم الاستعراضى الجديد ! وترحب الممثلة الجديدة بهذه الفرصة ، وتنسى أنها جاءت لتمثل ، لا لتعرض جمالها . فلا تلبث أن تختفى مواهبها ، كما أن جمالها لن يلبث طويلا حتى يذبل

« ان المخرجين اذا وجدوا ممثلة جميلة ، لم يكلفوا أنفسهم مشقة البحث عن مواهبها الفنية: أهى تصلح لأدوار المآسى الحزينة ، أم المهازل الضاحكة؟ أهى تليق لقصة غرامية من نسج الخيال، أم قصة تاريخية من واقع الحياة؟ لا . لا شىء من هذا .. فان لهم فى جمالها ما يغنيهم عن فنها، وهم يعلمون أن جمهرة الناس يقبلون على الجمال أكثر مما يقبلون على الفن ، فالمرأة الجميلة أعود عليهم بالربح من الممثلة الفنانة

« فعندما ذهبت الى هوليوود، كان كل ما فعلوه أن أخذوا مقاييس جسمى، فالصدر ٢٥ بوصة ، والخصر ٣٤ .. ثم قالوا : شىء بديع !

« ولكننى رددت عليهم: لا ياسادة، ليس يعنينى أن يكون هذا بديعا أو غير بديع .. لأننى لا أريد أن أعرض جمالى على الناس ، بل أريد أن «أمثل» وأثير الناس بتمثيلى . وقد عجبوا من كلامى ، وسخطوا على ! »

وجاءت أمها تعد طعام الغداء لزوجها . فذهبت بى « نورما » الى غرفة الجلوس . وهى غرفة صغيرة كسائر غرف البيت ، الذى يتألف من أربع غرف متواضعة الاثاث . وكأن « نورما » أدركت ما يجول بذهنى عندئذ ، فقالت :

« نعم، لسنا أغنياء.. ولكننا سعداء، ولن أضحى بما أنا فيه من رضى وسعادة فى سبيل ما فى هوليوود من شهرة زائفة ، ومال لا خير فيه .. »

وأخذت تقص على قصة أسرتها . فهى أصغر اخوة خمسة ، وقد ولدت فى مدينة اسمها « أرض الحب » فهكذا شاء القدر أن يكون اسم الارض التى تلقت هذه الملكة الفنانة . وقد أطلق عليها المهاجرون الأوائل هذا الاسم، لأنهم تنسموا فى أرجائها نسيم الحب

ثم رحلت الأسرة من هذه المدينة، وأقامت فى ولاية كليفورنيا عند مشارف هوليوود ، فنشأت « نورما » فى ظلال ستوديوهات السينما ، لا ترى الا أضواءها المتألقة، ولا تسمع الا الحديث عن ممثليها وممثلاتها ، ولا تلقى بنتا أو صبيا الا وقد تعلقت آمالهما بأن يكونا من كواكب السينما ونجومها . .

وكانت مسابقة الجمال التى يعقدها أهل كليفورنيا فى موسم الورد كل عام . وانتخبت « نورما » ملكة للجمال . فاذا بالكوخ النائى المنزوى مقصد الصحفيين والمصورين، واذا بها تتلقى الدعوات الى مآدب العشاء ، واذا بمعاهد التجميل ومعارض الأزياء تستقبلها مرحبة بها . ثم كان يوم التتويج ، يوم تستقل ملكة الجمال عربة معطاة بالورود ، وتجول بها فى أرجاء المدينة، وسط حشود من الناس يهتفون

ثم دعتها محطات الاذاعة . . فاكتشفت أمام الميكرفون أنها ذات صوت رقيق رنان . . صوت اذا أوتيته الممثلة البارعة ، كانت الفنانة الكاملة المثلى . وهى الى هذا تدرس الموسيقى والغناء ، وتجيد العزف على البيانو

كل ما فيها يؤهلها لأن تكون ملكة من ملكات هوليوود . ولكنها لا تريد . بل هى منصرفة الى دراسة التمثيل المسرحى ، حتى اذا أجادته ، وكونت لها اسما مسرحيا واضحا . . لم يكن عليها بأس من أن تذهب بعد هذا الى هوليوود ، لا لتعرض جمالها كما يريد مخرجوها وماليوها، بل لتبرز موهبتها الفنية فى التمثيل . .

ان « نورما » تريد ان تؤسس لنفسها مستقبلا ، ولكنها تريد ان تبنيه على الدراسة وعلى الموهبة الفنية . لا على الجمال اللامع الذى سرعان ما تذهب لمته ، وينطفىء ضياؤه

[مراسلنا الخاص فى هوليوود

الطموح

٥ المآرب اليسيرة لا تسمى طموحا ، ولكن الطموح هو الغايات الشاقة البعيدة . فناضل وأنت فى الظلمة ، وحارب وأنت ملق فوق الأرض ، ثم مت أشنع ميتة ، فانك لن تموت أبداً [بيتهمر]

لماذا برع المصريون فى فهم النكتة ؟ وما الفارق بينها وبين الفكاهة ؟ وما أثر البيئة فى تكوين هذه الملكة ؟

النكتة المصرية

بقلم الأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

النكتة مظهر فطنة ، والأغلب ان يكون مدارهـا على ظاهر السلوك ، ويندر أن يستطيع صاحبها التحليق فوق المظاهر ، أو الغوص الى الأغوار البعيدة ، وهى تضحكنا بما فيها من مقابلة بين أمرين أو حالين أو سلوكين ، مستورين ، أو مستور وباد ، أو بادين . مثال ذلك ما عزى الى صديقنا الأستاذ محمد خطاب بك من أنه قال لسيدة زعمت أن زوجها يهدى اليها فى كل عيد ميلاد لها مائة جنيه : «اذن أنت مليونيرة !» وكثيرا مايدور النكتة على تشابه الألفاظ فى الجرس واختلاف دلالاتها أو معانيها ، ومثل هذا الضرب لا سبيل الى نقله الى لغة أخرى ، لأنه يتعلق باللفظ لا بالمعنى أو الصورة . وفى النكتة معنى النقد ، بالسخرية والتهكم وما نسميه «القفش» كان للمرحوم امام العبد الشاعر الزجال صديق يقضى النهار فى النوم والليل فى السهر ، فقال امام على سبيل « القفش » لصديقه وتصوير حاله المقلوب ، انه رسم صورته عصر يوم بالقلم الرصاص على « طاولة » فى مقهى ، فلما غابت الشمس نهضت الصورة واقفة !

•

أما الفكاهة فشىء مختلف جدا ، لأنها تدور على المعانى والحقائق ، وتغوص على الجوهر ولا تتعلق بالصور العارضة ، وأنا أخالف من يذهبون الى أن هناك فكاهة لفظية وأخرى معنوية ، وعندى ان ما يسمى فكاهة لفظية أولى به ان يدخل فى باب النكتة ، وأخالف أيضا من يظن ان الفكاهة من شأنها ان تغرى بالضحك أو على الأقل بالابتسام ، وعندى ان الفكاهة قد تضحكك أو لا تضحكك ، فليس هذا بالذى له قيمة ، وهو راجع الى الاسلوب الذى يساق فيه المعنى ، وقد تجىء الفكاهة صارمة الجد ، بل أصرم من الجد نفسه . وسواء أحملتك أم لم تحملك على الضحك أو الابتسام وأدخلت أو لم تدخل على نفسك

السرور ، فانها لا بد ان تغريك بالتأمل والتفكر ، والنظر والتدبر . وسأسوق مثالا واحدا له نظائر كثيرة : قصيدة للشاعر الانجليزى توماس هاردى اسمها على ما أذكر « وفد الأرض » . وفيها يتخيل الشاعر ان وفدا من الكرة الأرضية صعد الى السماء ، واستأذن فدخل على «الرب» ، وشكا اليه سوء حال الجنس الانسانى ، وما يلاقى من الحروب والأوبئة والطواعين والظلم والقسوة الى آخر ذلك ، فأخذ الرب يتفكر ويحاول ان يتذكر ، ويقول كمن يحدث نفسه : الأرض ؟ الجنس الانسانى ؟ انى أتذكر انى قبل ملايين من السنين خلقت شيئا كهذا فى جملة ما خلقت من ملايين الكواكب والنجوم ، فهل هذه الأرض لا تزال موجودة ؟

وهنا ينبغى أن أقول : ان الشاعر مسيحى صحيح الايمان بدينه ، وليس بملحد كما قد يسبق الى وهم القارىء . وقصيدته هذه تنتهى بما يشهد له بصحة العقيدة وعمق الايمان ، وهو لا يريد ان يقول ان الله — سبحانه — نسى الناس وكرتهم الأرضية ، وانما يريد أن يصور ضآلة هذه الكرة ، التى يتوهم الأكثرون انها مركز الدائرة وقطب الرحى فى هذا الكون المهول الذى لا يعرف له أول أو آخر . وهوان شأن الانسان المغرور المتفخ الأوداج . وقد تبتسم حين تقرأ قول الشاعر على لسان الرب فيما يتخيل : ألا تزال هذه الأرض موجودة ؟ ولكن الابتسام يغيض حين تدرك المعنى المقصود ، وتفطن الى ما يطن به هذا المزح ، فتروح تفكر فى هذا الانسان الضعيف المغرر ، وهوان شأنه وشأن أرضه ، وطموحه المضحك على الرغم من جلاله ، وتوهمه انه شىء له قيمة ، وسعيه ودؤوبه ، وتعثره وتخليطه ، وتوفيقه مرة واخفاقه مرات ، وحيرته حيال الأقدار الراصدة له فى حيث سلك الى آخر هذا ، ودأب توماس هاردى ووكده ، فى شعره ورواياته ، ان يضع الانسان فى كفة ، والاقدار فى كفة أخرى ، والقدر غالب ، ولكن هاردى لا يسخر من الانسان ، بل يعطف عليه ويرثى له . بغير كلام يعرب به عن العطف والمرثية ، لأن قلبه كبير ، وأفقه واسع ، على خلاف أناتول فرانس، معاصره، فانه مر وعر

●

ويخيل الى ، ان النكتة المصرية بنت عوامل ثلاثة على وجه الخصوص :

أولها : ما اشتهر به المصريون من أقدم العصور من الذكاء الفطرى وحدة الفؤاد ، وحضور البديهة وسرعة الخاطر ، وليس هذا مدحا ، وانما هو تقرير حقيقة ، وقد يخفى هذا الذكاء من جراء الأمراض الوبيلة التى تستنفد الحيوية وتترك من يعانيها أشبه بالبله أو الاغبياء، ولكن هذه الامراض،

على شدة فتكها بالأبدان وامتصاصها لحيويتها ، لم تستطع ان تحجب فطنتهم الطبيعية ، فلا تزال ألسنتهم ، على الرغم منها ، تجرى بالنكتة اللاذعة والسخرية المرة

وثانيها : ما هم مفطورون عليه من الجلد المدهش ، والقدرة على التشدد والصبر والاحتمال . ومن أعون الأشياء على الجلد ان تستطيع ان تهون الامر على نفسك بنكتة ساخرة ، وان تهون أمر من منه بلاؤك ومصابك بأن تركيه بالهزل ، وان ترسم له صوره تغرى بالضحك منه ، والاستخفاف به ، وبذلك تدرك غرضين : تخفف وقع ما تكابد ، وتشرح صدرك . والضحك مدد قوى للنفس ، ونجدة في ساعة المحنة ، ومن وسعه ان يضحك وهو يتوجع ، فقد وسعه ان يستل الابرة الواخزة ، وينزع السهم الواقع — والغرض الثاني انك تشعر بأنك أخذت ثأرك وشفيت نفسك ، وانتقمت من ظالمك أو خصمك بتحقيره وتصغير شأنه واضحاك الناس منه . بل هناك غرض ثالث تدركه بالنكتة ، هو ان من تطلقها عليه يكون قد أخفق ، لانك اذا استطعت ان تقابل عنته وجوره أو لؤمه بضحكة ساخرة ، فكيف يمكن ان يقال انه قد نالك بمساءة ؟ أو ان ما توهمه مساءة قد بلغ حيث يريد ؟

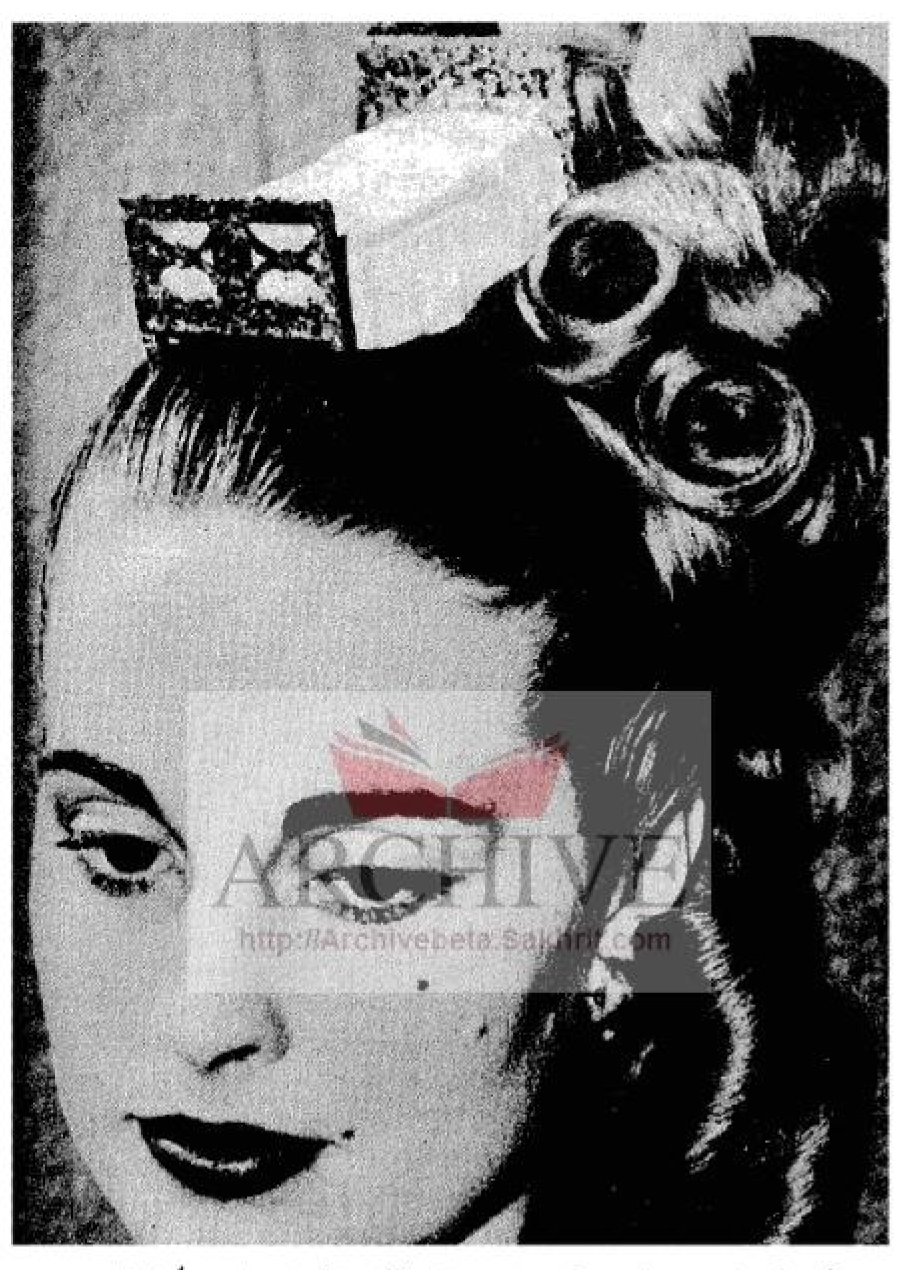
وثالثها : ان المصري عاش في ظل حكم استبدادى غاشم آلافا من السنين، والعسف يورث النفوس مرارة . ولا يبيت الناس منه الا على حذر وتقية . واذ كان المصريون لم يستطيعوا في هذه الاذهار الطويلة ان يغيروا الحال يعيرا نحو ما استقر في أعماق نفوسهم، فقد كان ملجؤهم التحرز واضمار سوء الظن ، واطلاق اللسان . وألفوا ان يدعوا حكامهم وولاة أمورهم يفعلون ما يشاءون ، على أن يقولوا هم فيه ما يشاءون . ولست أعرف أمة أخرى — وقد أكون مخطئا — تبسط ألسنتها في رجالها ورؤسائها وحكامها ، كما يبسطها المصريون ، أو تحرص على حرية « الاغتياب » مثل حرصهم . وأحسب ان « الحاج » براون لم يخطىء حين استخلص في كتابه « بونابرت في مصر » من تاريخ الجبرتي ان من أسباب ثورة المصريين مرتين على الجيش الفرنسى الذى دخل مصر بقيادة نابليون ، ما فرضته قيادة هذا الجيش على المصريين من قيود على حرية الكلام ، أو على الأصح حرية « الاغتياب »

ولعل هذه العوامل التى ذكرتها هى التى جعلت المصرى أميل — في الأغلب والأعم — الى النكتة منه الى الفكاهة بالمعنى الصحيح، وأقدر عليها . على أنى قد أكون مخطئا في تصورى أو تصويرى . ومن ذا الذى لا يخطىء ؟ ولكنى أظن انى على صواب

ابرهيم عبد القادر المازنى



هذا « الحذاء » .. تسريحة أو قبعة مبتكرة أطلق عليها اسم « سندريللا » إشارة الى بطلة القصة الخرافية المعروفة بهـذا الاسم ، وهى الفتاة اليتيمة التى فقدت « فردة » حذائها فى حفلة عامة . . فعثر عليها أمير فاتن ظل يبحث عن صاحبتها حتى وجدها . . وتزوج منها ! فهل تبحث عارضة هذا الزى عن أميرها الفاتن ؟



أقبعة أم فراش ؟ .. ليست هذه « التسريحة » آخر ما تمخضت عنه أزياء الصيف الحالى ، بل لعلها البداية ! . . وهى تسريحة مبتكرة ابتدعها خيال « الفريد باجانو » إخصائى تصفيف الشعر بهوليوود ، وقد سماها « تسريحة عنبر » اشارة الى بطلة قصة « عنبر الى الأبد » وهى القصة التى وضعتها « كاتلين نوريس » فلاقت رواجاً هائلا



أهى قبعة أم سلة بيض ؟ الجواب عند صاحبتها أو عارضتها التى حرصت على أن تلون كل بيضة من بيض قبعتها بلون زاه من الألوان الرئيسية ، كما يصنع الناس عادة ببيض شم النسيم ، وقد رسمت على طرف كل بيضة حدقة عين . . أفهل قصدت بهذا أن تكون لها خمس عيون من الخلف ترى بها ما يجرى وراء ظهرها . . أم ماذا ؟



وهذه « قبعة » أخرى تعرضها ابنة وزير الزراعة الأمريكى « كانتون أندرسون » ، ويرى فى وسطها نموذج مصغر لمسلة واشنطون تحيط به مجموعة من أزهار الكريز الصناعية . . وقد صنعت هذه القبعة لها عند انتخابها « ملكة أزهار الكريز » لعام ١٩٤٧ . . فما أكثر « الملكات » فى أمريكا ! الملكات بلا عروش ولا تيجان !



... أما هنا فقد مضت فترة حضانة البيض فأفرخ وخرج من كل بيضة كتكوت صغير ظريف.. ويرى أحد الكتاكيت وقد تطاول فوق حافة القبعة محاولا أن يختلس نظرة الى صاحبته ويمتع عينيه بجمالها.. فهل يلومه أحد ؟ أما زميله الكتكوت الآخر فيظهر أنه يفضل امتاع بطنه على امتاع عينيه ، فقد انحنى على بعض البذور يلتقطها فى غفلة من زميله ...

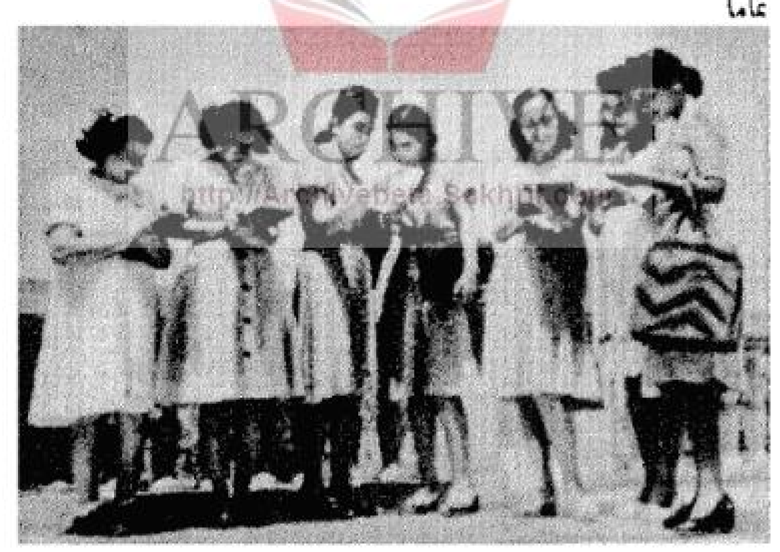
فتيات الجامعة يبدين رأيهن :

زينة المرأة ـ التعليم المختلط ـ الجمع بين الزواج والوظيفة

٣١٨ طالبة تجيب عن أسئلة « الهلال »

أربعة أسئلة . . رأينا أن نوجهها الى طالبات جامعة فؤاد الأول ، لنقف على رأيهن فى الزينة ، والتعليم الجامعى المختلط ، والجمع بين الزواج والوظيفة ، ولم تكد الاجابات تصل الى أيدينا حتى تبينا أن الرأى العام بعيد جداً عن تعرف الاتجاه الحقيقى لفتيات الجيل الجديد . .

حدث أن اطلع نفر من كبار رجال الجامعة على بطاقات الاستفتاء فقال بعضهم على الفور : إننا نجيب عليها مقدماً ، ولن تخرج إجابات فتياتنا عن إجاباتنا ، ثم أمسك أحدهم بالقلم ودون إجاباته فوافقه الجميع عليها . . وفرغنا من الاستفتاء ، وأعددنا النتيجة ، فاذا بها عكس ما توقعه الأساتذة تماما



بعض طالبات الجامعة يملأن بطاقات الاستفتاء فى تفكير واهتمام

[هذه صورة إحدى قسائم الاستفتاء وبها الأسئلة الأربعة التي وجهناها إلى الجامعيات . وقد كتبنا مجموع عدد الردود بالأرقام في الخانة المخصصة للاجابة ، ومنها تتبين النتيجة النهائية للاستفتاء]

استفتاء الطالبات الجامعة

تريد مجلة « الهلال » أن تقف على رأى طالبات جامعة فؤاد الأول فيما يلي :

السؤال	الاجابة	
	نعم	لا
١ ـ هل تعضدين فكرة انشاء جامعة خاصة للفتيات ؟	١٢٢	١٩٦
٢ ـ هل توافقين على تحريم الزينة على الطالبات ؟	٢٣٦	٨٢
٣ ـ هل سرتك ـ بوجه عام ـ معاملة زملائك الطلبة ؟	١٦٥	١٥٣
٤ ـ هل من رأيك الجمع بين الزواج والعمل بعد التخرج ؟	١٢٧	١٩١

وقد حاولنا ان نظفر من الطالبات بتعليلات منطقية لاجاباتهن ، فكان طلبنا محرجا لكثيرات منهن

غير أن طالبة واحدة أضافت الى كل جواب تعليقا طريفا ، قد يصور ما يختلج في نفوس زميلاتها ، واليك اجاباتها :

السؤال الأول : لا ينبغي أن تنشأ جامعة خاصة للطالبات ، لأن أخلاقهن (ولعلها تعنى سلوك الطالبات) تتحسن بالاختلاط مع الطلبة في المعامل وقاعات المحاضرات .. ثم لماذا يريدون الفصل بيننا في مرحلة التعليم؟ اننا نلتقى بهم (أى بالطلبة) في جميع الأماكن ، وخير الأمكنة ماسادها جلال العلم ورهبته

السؤال الثاني : أما عن زينة الطالبات فهي غير مستحبة ، فما الداعي مثلا لفتاة ـ ولكن من الطبيعي مثلي ـ أن تستيقظ في الساعة السادسة صباحا لتضرب وجهها ستين لونا ؟ الى أين هي ذاهبة ؟

السؤال الثالث : معاملة بعض الطلبة ـ وأظنها الاغلبية ـ معاملة طيبة .. ولا شك عندى في ان ذلك يتوقف على أخلاق الفتاة أولا وآخرا . أما من الوجهة العملية ، ومسألة التعاون بيننا ، فالحق انهم لا يضنون على الطالبات بشيء من معلوماتهم ـ ان كانت لديهم معلومات !

السؤال الرابع : اذا تزوجت

المتعلمة لم يكن لها بد من ترك العمل، فاذا اضطرتها الظروف الى العمل فلا داعي لزواجها ..

وقد لاحظنا ان الطالبات لا يكدن يلقين نظرة على الأسئلة ، حتى يضعن الأجوبة .. كأن هذه الأسئلة كانت تدور بأذهانهن قبل أن تدور في أذهاننا ، وقد حاولت طالبة ان تملي على زميلاتها رأيها في ضرورة انشاء جامعة للفتيات، فحاولنا ان نستوضحها السبب ، فدارت المناقشة التالية :

— طبعا نريد جامعة خاصة بنا

— ولكن .. جامعة خاصة تتكلف كثيرا .. فهل ننشيء كلية طب كاملة من أجل ثلاثين طالبة ؟

— ولم لا ؟ لو كانت هذه الجامعة للذكور وحدهم لما ترددتم .. كل شيء لكم وحدكم أيها الرجال .. متى تفهمون أننا نستحق مثلما تستحقون .. ؟

ولاحظنا تعادل عدد الفتيات اللائي لا يرضين عن سلوك الطلبة ، مع عدد الراضيات عن هذا السلوك — تقريبا — فأردنا استيضاح ذلك ، فحصلنا على الملاحظات التالية :

— ان الطلبة لا يحترموننا الاحترام الواجب ..

— انهم ينسون أنهم رجال وأننا نساء ، وأن لنا الأولوية عليهم في كل شيء — من باب اللياقة ..

— انهم يلتفتون الينا أكثر من اللازم ..

— انهم يهملوننا اهمالا ظاهرا ..

وقد عجز منطقنا عن التوفيق بين وجوه النظر المختلفة ، ولذلك نترك الامر للطلبة أنفسهم .. فهم المتهمون

بيني و بينك !

خرج الحجاج يوماً للصيد وانفرد عن حاشيته في الصحراء ، فلقيه رجل وهو لا يعرف أنه الأمير ، فقال الحجاج : أيها الأعرابي كيف أميركم ؟

قال : ظلوم غشوم

قال : فلم لا شكوتموه الى عبد الملك ؟

قال : أظلم وأغشم

وبعد قليل لحقت بالحجاج حاشيته . فعرف الأعرابي أنه الحجاج فقال :

— يا حجاج .. السر الذي بيني وبينك أحب أن يكون مكتوماً

فضحك الحجاج منه وأعجبته بديهته

ليلى

صورة من حياتهن ترسمها السيدة بنت الشاطىء

لم يكن ينقصها سوى شيء واحد هو فى حياتها كل شيء . .

لقد أمضت طفولتها وصباها وفجر شبابها فى بيت كله نساء . . مات أبوها وتركها طفلة مع أخوات لها خمس ، ومع أم كهلة تقطعت الأسباب بينها وبين أسرتها منذ بعيد . ولم يكن لهؤلاء الولايا عم ولا خال ، ولا كان لهن من الغنى الظاهر أو الجاه الموروث ، ما يشترين به العم والخال. ومن ثم أغلقت الأم عليهن بابها ، وراحت تدبر حاجاتهن المادية فى بطولة صابرة ، مستعينة بقطعة من مال موقوف ، آلت اليها من ذى قرابة بعيدة . فلما كبرت البنيات وكثرت حاجاتهن ، كانت قد هيأت الكبريات منهن للمشاركة فى الكفاح الناصب ، والجهاد المفروض

وكانت صاحبتى هذه ، كبرى هؤلاء البنات ، فحملت العبء قبلهن ، وأحست بمحنة الحرمان احساسا أقسى وأعنف . وهى لا تذكر أنها شكت الجوع يوما، أو باتت ليلة على الطوى، غير انها لم تزل تذكر فى رجفة موجعة تلك الوحشة الكئيبة التى كانت تظلل صدر حياتها مع أمها وأخواتها . كن يمضين أياما وليالى ذوات عدد، لايطرق بابهن طارق ، ولا يلم بهن زائر . وياما أكثر ما خيل اليهن أن مابينهن وبين العالم قد انقطع ! . . كن يعشن فى عوامة متهالكة ، لا يصلها بالشط الا معبر واه واهن ، يريد فى كل حين أن يتداعى . وكانت حياتهن جميعا تهتز فى كف الزمان ، كما تهتز العوامة على سطح الماء، وكلما أوشكت أن تهوى الى قاع اليم ، وقفت الأم ومن أدرك من بناتها يكافحن ويقاومن، ويسندن بظهورهن الضعيفة وأناملهن الحرعة ، تلك الحياة القلقة العائمة

●

ولم تع ذاكرتها صورة رجل أطل على هذا الجمع من النسوة ، فتصدق بكلمة مشجعة أو نظرة مواسية. كلا ، ولا سجلت أذنها صوت رجل قوى رحيم ، يسألهن ان كن فى حاجة الى عون أو سند ، وانما هى أيام متعبات

متشابهات، وليال طويلات موحشات، ونساء ونساء ..

وكان الحديث عن الرجل، سلاتهن الواحدة في تلك الوحشة الجاثمة، يستعن بها على كدح النهار وسهر الليالي، وينفسن بها عن الحرمان الأليم الذي يكابدنه دون الناس! على أنهن ما لبثن أن كففن عن ذكر الرجل، فقد جن حرمان البنت الكبرى، وتمزقت أعصابها، ومسها طائف من خبال، فهي تتلوى في ألم مجنون كلما سمعت اسم الرجل، أو لمحت شخصه من بعيد. وأدركها الاعياء فتخلفت عن ركب المكافحات في سبيل العيش، وارتمت تنظر في حسرة الى أفواج الرجال العائدين الى بيوتهم ونسوتهم، قبل أن يجن الليل وينتشر الظلام

وعبثا حاولت أمها أن تنقذها أو تردها الى قطيعها، فقد شردت منه ولزمت كوة في العوامة، ترصد موكب الرجال كل مساء، وترنو الى ما يحملون معهم الى بيوتهم من فاكهة أو طعام، فاذا غيبتهم عنها الأبواب، تبعتهم بخيالها حينا في استغراق ذاهل، ثم آبت تصرخ من الألم والحرمان، وتنشج نشيجا عنيفا يهز كيانها كله، حتى ينقذها البكاء ..

ولبثت على الأيام تبكى وتبكى، حتى كل بصرها، وعشيت عيناها من طول البكاء!

من ذلك الحين، أمسكت الأم وبناتها عن حديث الرجل. وسكن على ظمأ وانكسار! ولم يبق لهن بعد هذا ما يؤنس وحشتهن في حياتهن المتأرجحة على ثبج اليم، فكن يقضين نهارهن وشطر ليلهن، عاملات ناصبات، ساعيات في سبيل الرزق، حتى اذا أوغل الليل، غشيهن صمت موحش، وطاف بهن طائف من الحسرة والأسى، وتاهت نظراتهن الكسيرة في غيابات الليل المرهوب ..

●

ثم حدث ما يشبه المعجزة ..

وأذنت السماء أن ترفع اللعنة عن عن بيت الولايا ..

وبدا كأن الحرمان نفسه قد تعب من مشهد هؤلاء المحرومات في ذلتهن الموجعة وصمتهن الحزين، وأن الشقاء قد مل صحبتهن ..

حملت الأم كبرى بناتها الى طبيب تسأله أن يمسك عليها تلك البقية الضئيلة من النور، فقد أوشكت أن تمسى عمياء. فلبس الطبيب منظاره، وراح يحدق في البصر المتعب، الذي نسج عليه الهم والضنى سحابة ربداء

وثبتت عينا الأم على شفتيه، وانتظرت حكم القدر ..

قال الطبيب في جود: أبذل جهدي ..

فترنحت الأم يأسا واعياء، على حين ظلت الفتاة الشابة على صمتها واطراقها!

ثم قامتا تلتمسان الباب، فتقدم



« إذا أوغل الليل ، غشيهن صمت موحش ، وطاف بهن طائف من الحسرة والأسى »

اليهما رجل كهل من أقرباء الطبيب ، يعينهما على أمرهما ، وخرج بهما الى الطريق ، يسند بيمناه نصف ميتة ، ويقود بيسراه نصف عمياء!

وأوصلهما الى معبر العوامة ، وهم بالرحيل

قالتا : هلا شرفتنا فشربت القهوة؟

فلبى الدعوة ..

وآن لهؤلاء الولايا أن يرين رجلا!

ورأته نسوة أخريات من نوافذ أخرى ، وسجلت أعينهن الراصدة مظهره ومرآه ، ثم تلاقين فى بعض بيوت الحى على شبه موعد ، يتناقلن نبأ هذا الحدث الجديد !

وتتابعت الأيام ، وهذه الأعين الراصدة ترقبه من نوافذها ، فى غدواته وروحاته ، والأم وبناتها فى شغل به عنها ، لا يلقين اليها بالا ..

وهل فى الدنيا جميعها ما يعنيهن ، وهذا « رجل » قد دخل عالمهن الموحش المتداعى ، فبعث فيه شيئا من قوة ، وكثيرا من عزاء؟!

وأى حديث فى الدنيا يصل الى آذانهن، وهى تنصت مبهورة الى صوت « الرجل » يتردد فى أنحاء العوامة ، فينقلهن الى عالم جديد لم يعرفنه من قبل، ولا رنت اليه أبصارهن ؟

●

من هو ؟ من قومه وذووه ؟ ما عمله وما ظروفه ؟ أسئلة لم تعن الأم بالبحث عن جواب لها ، فحسبها أن ترى فتاتها الأولى التى أرهقتها

اللعنة، تثوب اليها وقد زايلها خبالها، وارتد شعاع من النور الى عينيها المظلمتين ..

كانت تراه مدخل البيت وفى يده شىء من فاكهة أو طعام ، فيشرق وجهها بابتسامة راضية ، وتنقل بين دوز الحى نظرات ندية بدمع رفيق !

وتأملها الرجل، ففتنه هذا الشباب الناضر ، بعد أن خلاه اليبس والذبول والجفاف، وخلبته هذه الدموع الهنيئة التى تتألق فى عينيها الضيقتين ،كأنها لآلىء لامعة ، تلوح من شقوق المحار . ولذ له أن يرقب انفعالها وهى تستقبله مشوقة مرتجفة ، كما تستقبل النور والنعمة والنجاة

ولم يكن فى حاجة الى شىء من الجهد لينالها . زفها اليه حرمانها الأول، ومحنتها المرهقة ، فسعت اليه راضية شاكرة ، ومن حولها أمها وأخواتها، ضارعات مبتهلات

وردد الليل الساجى زغاريد الفرح، وتلألأت على صفحة النيل أضواء العرس ، وتراقصت العوامة المتداعية، فى نشوة وغبطة

وتلاقت نسوة الحى فى بعض دورهن على شبه موعد ، يتناقلن قصة الزواج الجديد ، ويروين ما كان ، ويتنبأن بما يكون !

●

يا فرحة لم تتم ! خطفها غراب الموت وطار !

هذه عروس الأمس تعود من المقابر ، مثقلة بحمل لم يكمل شهره الخامس ، ومن حولها ولاياها ــ أمها وأخواتها ــ نادبات معولات ، فقد رحل عنهن «الرجل» الواحد الذى ساقته اليهن السماء !

مات .. وظهرت له من بعد موته زوجتان أخريان ، وبنون وبنات ، ينكرون العروس الشابة ، ويستعدون القضاء عليها ، وعلى جنينها ، وعلى المريض الذى مات

وعرفت الولايا لونا جديدا من النضال ، وطال ترددهن على المحاكم الشرعية والمجالس الحسبية ، يثبتن شرعية الزواج ، ويدافعن عن أبوة الأب الميت ، للجنين الذى لم يولد بعد ..

ثم .. رويدا رويدا ، عاد الصمت الكئيب يخيم على العوامة ، وأغلق بابها على النسوة السبع ، وعلى ثامنة : طفلة يتيمة ينكرها أهلها ، وان اعترفت بها المحاكم ، وقيدتها سجلات المواليد

●

تسع سنوات مضت ، والأرملة الشابة ترقب مدخل العوامة ، لعلها ترى على الباب رجلا ، وتصغى الى هزات المعبر ، لعلها تميز فيها خطوات رجل يسعى اليها

تسع سنوات مضت، ساعة فساعة، ويوما فى اثر يوم ، وعاما بعد عام ، وهى تطل بعينيها المتعبتين على عالم

الوحشة والحرمان ، وتجاهد مستميتة لكى تنجو من المحنة الماحقة التى كادت تدمر حياتها . لولا أن لاح لها على البعد سراب ، فحسبته ــ لكلال بصرها ــ ماء !

كانت تتردد كثيرا على الطبيب ، اذ أعياها أن تنال ايراد الميراث الضئيل الذى ورثته هي وطفلتها . ولم يكن لها سبيل الى أهل الميت ، فتوسلت بقريبه هذا الطبيب ، ووكلته عنها فى الأمر كله . ولقد وجدت من عطفه واهتمامه ، ومن وعوده وعهوده ، ما ربطها اليه وأدناها منه

وخايلها الأمل فى أن يتزوجها ، فاندفعت فى طريقه شبه عمياء ، ودفعت أفدح ثمن : فقد رجمها أعداؤها وأثاروا حولها الريب والشبهات ، وسعى اليها الساعون يسألونها أن تقطع ما بينها وبين الطبيب ، انقاذا لسمعتها ، وحرصا على مستقبلها ، لكنها أبت أن تصغى ، وأى مستقبل لها بعد أن قال أعداؤها فيها ما قالوا ؟ لقد وعدها « هو » أن يتزوجها ، وانها لترضى بالهون والذل ، لتجد فى النهاية رجلا !

وظلمها الناس فوصموها بالتبذل ، ورموها بالسوء . وما كانت متبذلة ، ولا هي امرأة سوء ، وانما لاذت بالطبيب حين تيدتها اليه الأقاويل والشائعات ، وتعلقت به كارهة راضية ، مجبرة مختارة ، اذ كانت فى يده وحده نجاتها

وتوسلت اليه بكل شيء ليفى ، فماطل وسوف ، وشكا واعتذر : هناك زوجته « الغنية » سوف تتركه لو تزوج ، وما يستطيع أن يقيم حياته دون جنيهاتها الاربعين كل شهر !

وهناك بنتاه ــ وهما فى سن الزواج ــ سوف يزهد فيهما الخطاب ، لوعلموا بفصال بينهما وبين الأم الغنية

أما تستطيع الأرملة أن تنتظر عاما آخر ، لعل فتاتيه تتزوجان ؟

قالت : « أنتظر . . » وهل كانت تستطيع ألا تفعل ؟!

ومضى عام وعام . . وعام .

ثم جاء الزمن بحل لم يكن فى الحساب !

ماتت زوجة الطبيب ، فهل من بأس عليه لو تزوج صاحبته ؟

أجل هناك بأس ! فقد أوصته الفقيدة « الكريمة » وهي على فراش موتها ، أن يتزوج أى النساء شاء ، الا « هذه » !

وقد فعل ، تزوج أخرى ، وخلى « هذه » تتساءل فى يأس وذعر : هل فى الناس من يرضى بها بعد الذى ذاع عنها وشاع ؟

●

لكن واحدا من الناس رضى بها .

رجل شيخ ، قطع ستين عاما من رحلة الحياة ، فى ظروف شاقة منهكة ، وأحيل الى المعاش فانزوى فى بيته جامدا ، قد انصرفت زوجته « الحاجة

فى شيخوختها الى العبادة ورعاية الأبناء والأحفاد ، وتركته يقطع هذه المرحلة الموحشة من حياته ، وحيدا ، محروما

ورأى الأرملة الشابة عند شقيقة له .. فاندفع نحوها يلتمس عندها أن تؤنس ما بقى له من أيام حياته . ولم يكلفه الأمر عناء : زفها اليه حرمانها الأول والثانى ، وساقتها له قلة الرجال وعثرة النصيب ..

من هو ؟ من أبناؤه ؟ ما ثروته وما غده ؟ أسئلة لم تقف الأرملة لتبحث عن جواب لها ، فحسبها أنها وجدت رجلا !

●

ويا فرحة لم تتم ! خطفها غراب البين وطار ..

لقد ثار الأبناء على أبيهم الشيخ ، واتهموه بالسفه والجنون ، وأسرفوا فى تعذيبه ، وألحوا فى مطاردته ، وسمموا كأس عيشه الجديد ، فتداعى كيانه المتعب الهزيل تحت لطماتهم ، ولم ينجه منهم سوى الموت

وترنح معبر العوامة تحت وطء أقدام البنين ، وقد جاءوا يطالبون بملابس الميت وساعته الذهبية وأزرار قميصه !

ثم رويدا رويدا .. سكنت الضجة ، وعاد الصمت الموحش يخيم على العوامة وأغلق بابها على الولايا الاوليات ، وعلى تاسعة : طفلة يتيمة أخرى ينكرها اخوتها ، ولا تعترف الحكومة بحق لها فى المعاش !

وتلاقت نسوة الحى فى بعض دورهن على شبه موعد ، يتناقلن حديث الأرملة التى أفنت رجلين ، وأكلت زوجين ، وورثت شخصين !

ونطقت ألسنتهن بحكم القدر .

حسبها ، فما لها فى الرجال بعد هذين نصيب !

ثم خلينها ، وفى حسابهن أن قصتها قد انتهت ، وأن الزمن قد نفض يديه منها ، فلن يكون من أمرها جديد

ولكن حدث ما ليس فى هذا الحساب ، وتمخضت الليالى عن عجيبة لم تخطر لاحداهن على بال .

●

سألتنى زميلة لى :

أسمعت ؟ قلت : ماذا ؟ قالت : فلانة قد تزوجت ـ أو كادت ـ من ضابط أجنبى ، حملته موجة الحرب من موطنه فى جنوب افريقيا ، حتى رست به على شط النيل فى أقصى الشمال !

قلت فى ارتياب : كذلك أنتن ! ما يفرغ لكن حديث عن حب هذه أو زواج تلك ، من الزميلات والجارات !

فلم تجادل ، بل مدت يدها الى التليفون ونادت صاحبتنا تقول لها : هذه واحدة تكذب أذنيها وتستريب بأخبارنا ، فاروى لها أنت قصتك ، فما أراها تصدق الراويات منا

وسمعت صوتها ـ أجل صوتها

بنبراته المميزة ونغمته الخاصة ـ يسألنى لم لا أصدق وقد أرهقها الانتظار ، وينفض رجالنا أيديهم منها ، فما يرضى واحد أن يتزوجها وقد عرف عنها أنها خنافة الرجال ؟

قلت : ودينك ؟ وقومك ؟

فأجابت على الفور : أما الدين فلا بأس على وعليه ! شهر صاحبى اسلامه ، فهو اليوم « أمين المهدى » وأما قومى فأى حق لهم فى ، وما فيهم من يعصمنى من العمى أو الجنون ؟

قلت : وابنتاك ؟

قالت : أما الأولى فقد فرغ همها أو كاد ، وعما قريب تتم دراستها وتجد عملا . وأما الثانية فتأتى معى الى جنوب افريقيا ، وما أحسب أن أحدا من أهلها يعنيه أين تذهب !

فهزتنى الرحمة على الطفلتين ، وعلى أمهما ، ثم عدت أسأل : وكيف عرفت صاحبك ؟

أجابت فى ابتسامة وادعة :

لقيته صدفة فى نادى الجزيرة ، وكان وحيدا وكنت كذلك ، ثم كان حديث ، فتفاهم ، فخطبة ، وان هى الا أيام معدودات ، يستكمل فيها الاجراءات الشكلية ، وينال تصديق القيادة العليا ، ثم ينتهى الأمر ..

●

ولقيتها بعد ذلك بعام فأنكرتها .. كانت تخطو على « كوبرى أبى العلاء » خطوات حذرة تخشى العثار ، فلما دنوت منها صعدت فى بصرها المتعب ، ورفعت الى وجها رسم عليه الزمان خطوط الهم ، والقهر ، والشجن

قالت وعلى شفتيها ابتسامة هزيلة : أراك تنكريننى ؟ فتجاهلت كلمتها ومضيت أسأل : أين ٠٠١ وأين ٠٠٢

فهزت رأسها وقالت وهى تضحك باكية :

مضى .. وطار !

ثم أطرقت واجمة ، فهممت بالابتعاد عنها ، لكنها أمسكتنى وقالت وهى تشرق بدمعها :

هلا سمعت القصة ؟ كنا نتهيأ للزواج ، ولم يبق الا أن ننتظر خاتما من الماس بعث يطلبه بالطائرة من جنوب افريقيا ، لكنه دعى فجأة للاشتراك فى حملة جوية على جزيرة مالطة ، فعاد منها جريحا نصف أعمى . ولما سعيت اليه فى مستشفى المعادى ، مد الى يده مصافحا مودعا ، وكان ذلك آخر عهدى به ..

●

لم أجد ما أقوله ، واستأنفت هى سيرها وأنا لا أقوى على متابعة النظر اليها ، فلاذت عيناى بالسماء ، وتركتها تغيب عنى فى الخضم ، بخطواتها المتعثرة ، وبصرها الكليل ..

بنت الشاطىء
(من الأمناء)

عالم أمريكي يدلل بتجاربه على أن [illegible]
روحا [illegible] طاقة ثالثة [illegible]

آن للعلم أن يكشف الروح !

منذ ثلاثين سنة كان الدكتور جون . . . راين — وهو يرأس الآن المعمل السيكلوجى بجامعه ديوك الامريكية — يطلب علم اللاهوت . ولكنه هجر هذا العلم واتجه الى دراسة علم النفس

وظل هذه السنين الثلاثين يدرس علم النفس ويقوم بتجاربه ، فاذا بهذه الدراسة تنتهى به الى الاقتناع بأن للانسان روحا ! فكيف كان ذلك ؟

لما شك الدكتور راين فى وجود الروح ، لم يتجه فى دراسته الجديدة الى البحث عنها ، كما فعل كثير من الفلاسفة فأصبحوا اما ملاحدة لايؤمنون الا بما تلمسه أيديهم وتراه أعينهم ، أو متصوفة يؤمنون ايمانا عاطفيا لايقوم على المنطق والادراك

لم يفعل الدكتور راين هذا ، بل درس وبحث فرعا من فروع علم النفس ، انتهى به الى النظرية التى سماها « الادراك فوق الحسى » "Extra-sensory Perception" وقد بناها على تجارب استمرت خمس عشرة سنة أجراها ملايين المرات على النرد وورق اللعب (الكوتشينه) فأثبتت هذه التجارب أن هناك أناسا يستطيعون أن يتنبأوا بأوراق اللعب وهى فى أيدى الآخرين ، وأن يؤثروا فى النرد حين القائه فيقع على الوجه الذى يريدون

فمن التجارب التى أقام عليها الدكتور راين نظريته تجربة قامت بها احدى السيدات، اذ ألقت ست قطع من النرد ٩٠٤ ١٥٨ مرات، وكانت فى كل مرة ترغب رغبة شديدة فى أن يظهر وجه معين من الوجوه الستة ، فتتحقق رغبتها ، رغم ما اتخذ من احتياطات لكيلا يكون ليدها تأثير على النرد

وكرر الدكتور راين مثل هذه التجربة آلاف المرات ، فكانت النتيجة فى كل تجربة تجاوز « قانون المصادفة »

وهكذا وجد نفسه أمام أمر لا يمكن تعليله تعليلا علميا . فالعلم يقول ان الانسان مكون من عدد معين من الخلايا المختلفة المكونة من مواد كيماوية منسقة تنسيقا معينا ، وهو يؤدى وظائفه وفق تغيرات كهربائية وكيماوية خاصة تجرى داخل الجسم . حتى تفكيره ما هو الا نتيجة هذه التغيرات العضوية التى تحدث فى الجسم . والفرق بين

عملية التفكير في الانسان والعملية التى تؤديها الآلة التى تجمع الاعداد ، هو فرق فى « الاداة » أو فى « الوسيلة » فآلة الاعداد تستخدم عجلة معينة تخرج لهـا الارقام المطلوبة ، أما الـدماغ الانســانى فيستخدم تغيرات عضـوية وكيماوية تخرج له الافكار المطلوبة. فالعلم يرى أن الانسان لا يمكن أن يفرض فكره أو ارادته على ما هو خارج الجسم من الجمادات . فمهما اتجـه تفكير الانسان الى اظهار وجه معين من النرد الذى يلقيه ، فانه لا يجد وسيلة الى فرض هذه الفكرة على قطعة النرد التى لا تحس شيئا ، خصوصا اذا روعى فى القائها الا تتأثر باليد التى تلقيها. ولكن اذا سـقط النرد بحيث يظهر الوجه الذى نريده ، فلا بد أن تكون هناك صلة بين الانسان وهذا الجماد، وهـذه الصلة هى التى تجعله يتحرك وفق رغبة ملقيه وتفكيره.

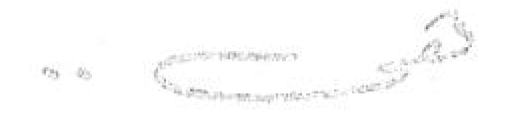
وهذه الخاصية ليست متوافرة فى كل شخص ، فاذا أدى الشخص هذه التجربة ساخرا منها ، موقنا بأنه لا يستطيع أن يوجه النرد بفكره كما يريد ، فانها تسفر عن نتيجة فاشلة . أما اذا ركـز الشخص تفـكيره فى التجربة، وأداها مؤمنا بأنه من المحتمل وقوع ما يريد ، فان النرد لا يلبث أن يستجيب لفكره ويتمشى ورغبته

أما التجربة الاخرى التى أجراها الدكتور راين آلاف المرات، وهى تجربة التنبؤ بأوراق اللعب ، فهى أنه كان يأتى بمجموعة منها عددها خمس وعشرون ورقة ، كل خمس منها من نوع واحد ثم يطلب من شخص ما أن يذكر له الورقة التى يسحبها من وراء ستار أو فى غرفة مجاورة . و«قانون المصادفة» فى هذه الحالة يقرر أن هذا الشخص يجب أن يصيب — فى المتوسط — فى خمس ورقات ويخـطىء فى العشرين الاخرى . ولكن تجاربه أسفرت عما يخالف قانون المصادفة كل المخالفة ، فان بعض طلابه كان يصيب فى خمس عشرة ورقة ، وبعضهم كان يصيب فى أكثر من هذا ، ومنهم من كان يصيب فى تعيين الورقات جميعا !

ومثل هذه الظواهر لا سبيل الى تعليلها بالعلم الذى نعرفه . وليست هى من قبيل « قراءة الافكار » التى تتم بين شخصين يرى أحدهما الآخر أو بينهما صلة من الصلات . اذ ان هذه صلة من نوع جديد ، صلة بين الانسان والجماد . ان هذا الكشف — كما يقول الدكتور راين — يجب أن يحثنا عـلى أن نبحث الدين بحثا سيكلوجيا ، سيؤدى بنا الى أن نتبين ان ما سماه الدين « روحا » هو طاقة موجودة فى الانسان فعلا ، وأنه قد آن للعلماء أن يكشفوا عنها لا فى بطون الكتب المقدسة بل بتجاربهم وفى معاملهم

[عن مجلة « ماجازين دايجست »]

[قرأ الشاعر ندوة الهلال بعدد مارس ، وقد جرت حواراً بين السيدة أمينة السعيد وفكري أباظة بك حول الزواج والعزوبة . . وقد أوحى نقاشهما إلى الشاعر بهذه الأبيات . . فأهداها لفكري بك مفاكهة وللسيدة أمينة السعيد مناصرة]



هيَ واللهِ على حـ ـقٍّ ، وبالمجدِ جديرَه
أُمتي تُصبحُ في مِصـ ـرَ، وفي الشرقِ «وزيرَه» ؟
حطِّموا القيدَ ، فليستْ أيُّها الناسُ خطيرَه
لم تَدعْ في العلمِ بابًا وهيَ أمٌّ مستنيرَه
وهيَ بالطِّبِّ وبالفنِّ وبالشِّعرِ بصيرَه
وهيَ في الدُّنيا ملاكٌ وهيَ في البيتِ أميرَه

***

هيَ واللهِ على حـ ـقٍّ ، وبالمجدِ قمينَه
قادتِ الدُّنيا إلى النو رِ ، وما كانتْ ضَنينَه
ودَعتْها ، وهيَ في الدَّ عوةِ للسِّلمِ أمينَه
ليستِ المرأةُ لو تدرُو نَ في الأرضِ رَهينَه
هي أمُّ الشَّعبِ ترعَى بينَ شطَّيْهِ شؤونَه
وهيَ تحمي حينَ يدعو هَا إلى الحربِ حصونَه

كيفَ تحيا ، وهيَ في مصـ ـر ، وفي الشرْق سجينه ؟
إنَّ دينَ اللهِ سَمْحٌ فاقرءوا .. يا قومُ .. دينه

***

هي ، والله علَى حـ ـقٍ ، فلا تبكِ المصيرا
أيقظتْ في مصر بالوَ حْيِ وبالفنِّ الشعورا
وبنتْ « للنهضةِ الكبْرَ ى » وللفكرِ القصورا
ليستَ « الزَّوْجيةُ » السمـ ـحاء ذُلاً وسعيرا
فتدبَّرْ ... أيُّها « الكا تبُ » في الدنيا الأمورا
أنتَ ، إنْ شئتَ ملأْ تَ الرَّوضَ « أزهاراً » ونُورا
لا تجادلْ « يا أبا الكتا بِ » في الأمر كثيرا
عِشْتَ للحقِ وللرأ ي .. وليّاً ونصيرا

صابر علي رمضان



صور وصفية لشخصيات لامعة :

طه حسين ..

بقلم محمود تيمور بك

أسرة طيبة ، تحيا حياة الريف الصميم ، فى قرية من القرى الصميمة ، بين ذريتها طفل كسائر الأطفال ، يظل الى السنة الرابعة من عمره يتنفس فى جو الريف ، ويعيش فى منزل زاخر بأهله ، فى رعاية أب هو العائل السيد

ولم تكن حياة هذا الطفل مظنة لتعقيد ، فماضيها وحاضرها ومستقبلها واضح لا يحتاج الى كبير تفكير

خطة فى الحياة مقررة ، ومنهج فى الدراسة مرسوم ..

ليس عليه الا ان يسير فى طريقه كأسلافه ، وكمن يعاصرونه وكمن يلونه

فقيه يتولى تحفيظ الطفل آى القرآن ، ويرسخ فى أعماق قلبه جذور الايمان . انه طفل كبقية الأطفال ، وان كان متميزا بتوقد ذكاء ، ورهافة حس ، ولطف شعور

ولكن لن يكون لهذا التميز أثر فى حياة الطفل ، وفى نظام عيشه الرتيب المقرر الذى ينتظره فى مستأنف العمر

أقصى الأمانى فى نفسه ، وفى أنفس أهله وذويه ، أن يكون من متقدمى الطلاب فى « الأزهر » المعمور ، فيؤهله ذلك لأن يكون شيخا نابها ، من أئمة الدين ، وفقهاء الفتوى ، وعلماء الأحكام ، يخب فى جبته الفضفاضة ، وتتوج رأسه عمامة كبيرة ، تكفل له أبهة ومهابة ، فاذا الناس يلثمون يده أفواجا ، يستمدون منها طيب البركات

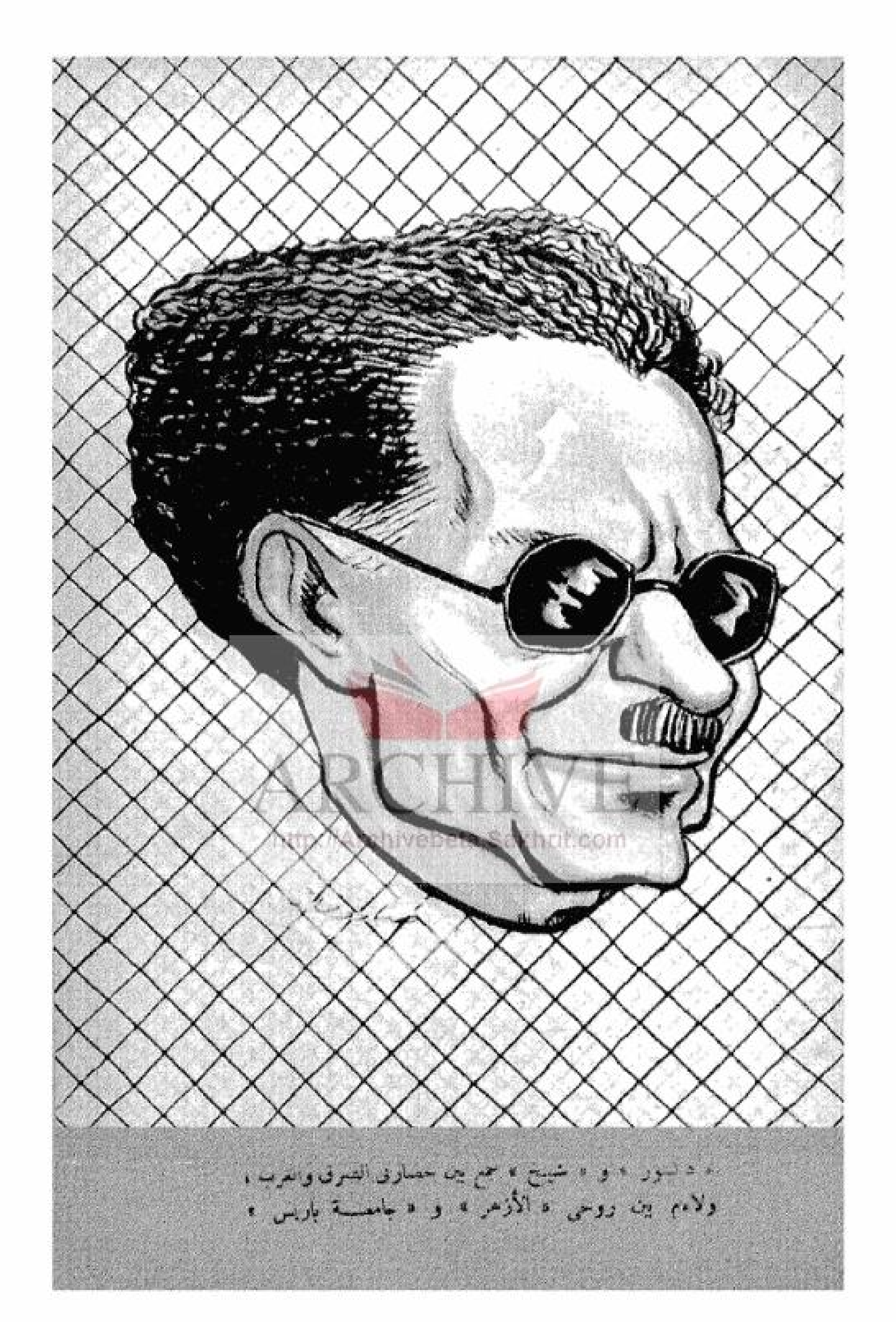
•

ولكن حدث أمر ذو بال ، كارثة من كوارث الدهر ، وضربة من ضربات القدر التى يصيب بها الناس ، دون ان يدركوا لها كنها

فقد الصبى بصره ، فكان فى هذا الحدث فصل الخطاب فى الغيب المستور

انه حدث ليس بالجديد ولا بالغريب ، فلطالما أصاب كثيرا من الناس ، دون أن يغير من مجرى حياتهم أى تغيير

وقد كان فى حسبان الأسرة أنه لم يغير من نفسية الصبى شيئا ، ولن يكون له فى مجرى حياته أثر ..



«دكتور» و«شيخ» جمع بين حضارتي الشرق والغرب،
ولاءم بين روحي «الأزهر» و«جامعة باريس».

أكان المنم وقفا على ذوى الأبصار؟ أو ليس « الأزهر » يضم فى رحابه جماة من نوابغ المكفوفين ، لم يحل فقد البصر بينهم وبين ما يشتهون من جاه العلم ، ومنصب الدين ؟

اذن فليمض الصبى فى طريقه ..

خطة فى الحياة مقررة ، ومنهج فى الدراسة مرسوم . ولكن :

تقفون والفلك المحرك دائر
وتقدرون فتضحك الأقدار

●

أقبل الصبى على حياته ، وانطلق قدما يوطد العزم على ان يبلغ الغاية المقررة ، ويسترق المنهج المرسوم ..

هكذا قرر بعقله ومنطقه ، بيد ان قوة أخرى كانت تعمل فى الخفاء ، تعمل جاهدة مختزنة وقودها لميقات يوم معلوم .. تعمل دون أن يدرى الصبى من أمرها أى شئ .

كان عقله السافر يقول :

ليس لنا فى الحياة الا الاستسلام ، سلبنى القدر شيئا عزيزا ، ولكن ماذا يستطيع مخلوق مسير أن يجابه القدر ، وأن يعاند مشيئته ؟

الا أن عقله الباطن كان لا يأبه لهذه الفلسفة القائمة على أصول منطقية مستقرة ، فجعل يضطرب ويضطرم ، متنكرا لتلك الأقدار . محاولا ان يطلق جاحم ثورته للتغلب والانتصار

ولم يكن لهذا العقل الباطن تدبير معين ، فقصارى جهده أن ينطلق ، وأن يدفع عنه ذلك الوقر الذى يثقله، وانه ليعد عدته ، ويتخذ أهبته ، ويرتصد للفرصة السانحة فيما يستقبل من الأيام ..

وعلى الرغم مما كان يلقاه الصبى من حدب وعطف ورعاية ، لم يكن بالفتى الضحوك ، طلق المحيا ، مرح النفس ..

أكان يضيق بهذا الحدب والعطف والرعاية ، اذ يرى تلك المنح مثارا لشجونه ، ويعدها علائم مواساة واشفاق ؟!

احتبس الصبى فى داره ، بل فى زاوية قصية من هذه الدار ، يقضى الساعات ، ساهم النفس ، مهموم الفؤاد .. فلم تكن حياة الدار بما يعتلج فيها من ضجة وصخب تبعث فيه أى اقبال ، فاستقل فى مملكته الصغيرة التى صورها فى خياله ، وسورها لنفسه ، لتكون له معقلا ، يكفل له صفاء التفكير والمناجاة ..

ساعات وحدة طوال ، لا يعمرها الا التأمل العميق .. فكان ذلك وقودا حاميا يذكى ذكاءه ، ويشق لخياله رحائب الأفق . فتوهجت قريحته ، وصفا ذهنه ، وتسامت مخيلته ..

كان نضج عقله يسبق نضج جسمه ، فتجلت مخايل رجولته ، وهو فى طور اليفاعة فتى السن

●

وآن للصبى أن يدخل «الأزهر» يجاور ..

واستقبل بواكير الشباب ، فانقاد بادئ بدء للنظم السائدة ، ولكن هذه النظم في الدرس والتلقين لم ترق فتى كانت الثورة تتخلق بين جنبيه، ويوشك شررها أن يتطاير ..

ان سدنة « الأزهر » يومئذ كانوا يريدون الطالب برميلا خاليا يملأونه بما تيسر من زاد متحجر متوارث ، حتى اذا امتلأ أحكموا سده ، ثم ألقوا البرميل يتدحرج على مدرجة الطريق، قائلين له :

فلتذهب على بركة الله !

الا ان طالبنا الثائر لم يكن يرضى لنفسه أن يكون ذلك البرميل المنشود

فهو يرى في بردته انسانا ، وهبه الله عقلا حيا يجادل به ويناقش ، لا يقبل قضية دون تمحيص واستكناه

ومن ثم راح يسأل ، ويلح في السؤال ، ويروع مسئوليه بما لا عهد لهم به من جرأة وتمرد على المألوف ..

فضاق به السدنة المحافظون، ولكنه ما برح يجأر بسؤاله ، حتى أيقظ من حوله طائفة من رفقائه ، تجمعوا اليه، واشتركوا معه ، يسألون ويتمردون

وما لبث طالبنا الثائر أن أصبح زعيم المتسخطين الذين يريدهم «الازهر» على ان يكونوا براميل تتدحرج على مدرجة الطريق .

وكان بديهيا أن تنتهى المعركة بخروج الطالب الثائر ، يلتمس الهواء في أفق جديد !

●

بدأ الفتى حقبة من حياته ، حقبة حرية وانطلاق .. بيد أنه أحس كأنما قد ألقى بنفسه في بيداء شاسعة الأكناف، يعصف فيها هوج الرياح، لا يدرى ماذا يكون مصيره في معركتها الدائرة . فأذكى من عزيمته ، وألهب من همته ، وخاض الغمار في حمية وحماس

في تلك الفترة كان هناك رجل يعمل في ميدان حر ، لانشاء جيل جديد ، وبث روح أخرى غير الروح السائدة في ذلك العصر ..

كان ذلك الرجل هو « لطفى السيد » . وكان ميدانه صفحات « الجريدة » ودارها ..

تصادف ذلك الميدان هوى في فؤاد طالبنا الثائر ، وما هى الا ان اندفع صوبه ، فكان فيه طليعة الفتيان !

وعرف طريقه الى « الجامعة » الناشئة ، الى ذلك المنهل الصافى ، يستكمل فيه ريه من علم وعرفان ..

وكانت حقا مرحلة انتقال جليلة الشأن في حياة الفتى الثائر ..

لقد أقبل يتلقى علوم العصر ومعارفه على مناهج مستحدثة ، وأساليب لاعهد بها لمعهده القديم .. فتجلت نشطته ، وتفتقت موهبته ، وأحس بالظمأ

المجدد الى طلب المزيد مما بين يديه من بحث ودرس

فضاقت « الجامعة » الناشئة عن تطلعه وطموحه

●

ولم تعد « مصر » تغنيه عما يريد

فالى كعبة العلم فى « فرنسا » ..

الى « جامعة باريس » !

هنالك آفاق فساح من حرية التفكير . وكنوز لا تنفد من المعارف والعلوم ، وأمواج دفاقة من البحث والتحقيق والتنوير

فانبرى الشاب الطموح يعب ويتزود

وكان ذلك مرحلة انتقال أخرى فى التوجيه ، وخطوة واسعة فى سبيل التكمل ..

●

والى هذه الحقبة يمكن القول بأن الحظ لم يخلف ذلك الشاب الموهوب، على الرغم مما حاق به من ملابسات

ولكن هذا الحظ يواتيه متألقا سخيا ، اذ يهيىء له اليوم صاحبة كريمة ، ليست فرنسية بمولدها ونشأتها وحسب، ولكنها فرنسية مثالية بثقافتها وفكرها وادراكها لمهمة الشريك فى حياة طلاعة نزاعة الى بطولة التجديد والبناء !.

●

ومن ثم كملت للشاب أدواته ، واستقرت به الحال . وتوضح لعينيه فى مستقبل العيش ..

فآب الى وطنه ، يزاول العمل ، ويواصل الجهاد ..

واضطلع بمهمته التى ادخر لها نشاطه ، وجند مواهبه ، مهمة النداء بثورة فى الميدان الأدبى ، والتبشير بمناهج حديثة فى البحث والدرس ، والعمل على رسم أسس جديدة يشاد عليها « مستقبل الثقافة فى مصر »

أستاذ فى « الجامعة » يذكى فى نفوس الطلاب شعلة التفكير ، وهو حينا يلقى ضوء على جوانب من الأدب العربى ، وحينا يشرع نهجا للنقد الأدبى ، وحينا يدنى الى قراء العربية زادا من ثقافة « يونان » ، وحينا يجلى لهم طرائف من نماذج الأدب الفرنسى ، وحينا يسرد قصته فى « أيامه » ، فاذا به يطرف العربية بفن أخاذ من القصص الرفيع لا يجاريه فى روعته قلم ، وهو ، الى ذلك ، وغير ذلك كله ، روح سارية، وثابة، نفاذة الأثر فى البيئة العلمية، والادبية تدفع الاساتذة والطلاب ، وتوجه القادة ومن بيدهم زمام الامور، الى دعم الثقافة وتوسيع آفاقها ، واصلاح خططها ، لتساير ركب الأمم فى طريق التحضر

●

« طه حسين » مزاج قوى بين حضارتين متغايرتين : حضارة الشرق وحضارة الغرب ، وعصارة طيبة من

معهدين مختلفين : « الأزهر » و« جامعة باريس »

وان أصوله ما برحت راسخة فى حضارة « الأزهر » تستخلص منها عناصر غذاء لا غناء عنها ، ولكن فروعه تسامقت فينانة فى حضارة الغرب وثقافته ، تتنسم منها الهواء ، وتستمد النور

وربما تبدو — أول وهلة — غرابة الجمع بين معهدين وحضارتين اختلفا كل اختلاف ، ولكن المتمعن المدقق يرى ان ليس الجمع بينهما بالمتعذر العسير ، فليساهما على طرفى نقيض ..

انهما ليرجعان الى نبع واحد ، هو نبع المعرفة الانسانية فى أصولها الأولى ، والخلاف بينهما هو أن كلا منهما يتميز بما ليس فى الآخر ..

هما عنصران أساسيان لشخصية الشرقى الذى يريد أن يصطحب أمجاده التليدة ، وميراثه العظيم ، دون أن يعوقه ذلك عن مسايرة الركب الانسانى فى طريقه الى الامام ..

واذا كان « طه حسين ! » قد جمع فى شخصه بين الشيخ و « الدكتور » فقصارى ما فعل أنه لاءم بين نشاطين من ضروب النشاط الذهنى للانسان ، وكان بهذه الملاءمة نموذجا مثاليا للأديب الشرقى المعاصر

وحسبنا ، لكى تتجلى مزية هذه الملاءمة ، أن تتمثل « طه » أزهريا استأثرت به أزهريته ، أو جامعيا لم يغز من الثقافة العربية فى عمارها المنظم بنصيب ..

فان الأزهرى أو الجامعى وحده قد يكون له أثره وخطره ، ولكنه لن يكون تلك الشخصية المثالية المكتملة التى نسميها « طه حسين »

●

ولعل واسطة العقد فى شخصية أديبنا هى أسلوبه ..

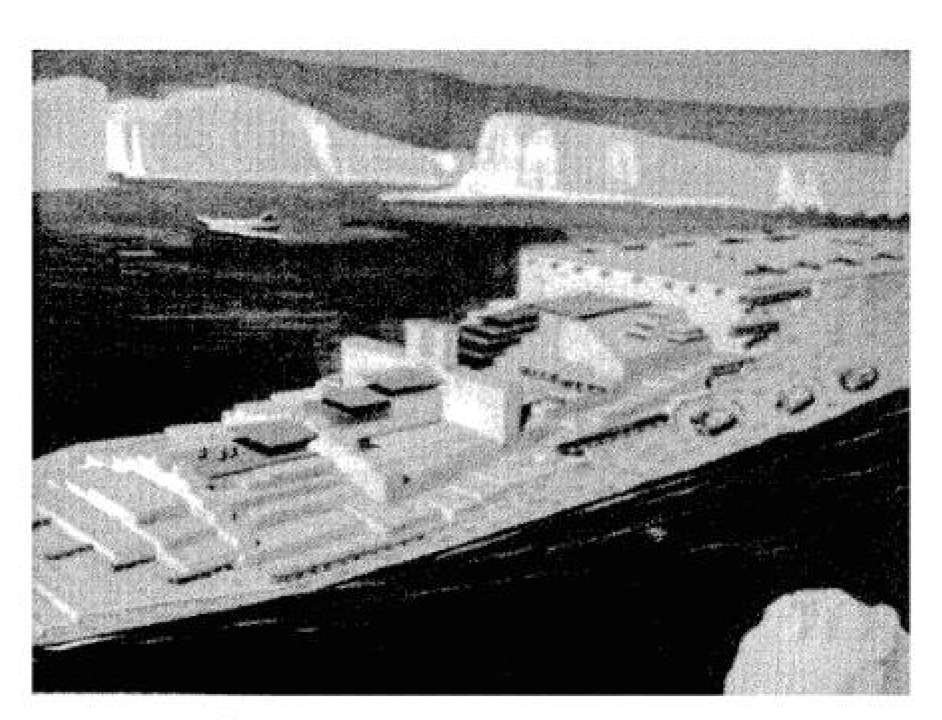
ذلك الأسلوب الذى يفرد به صاحبه ، وعز على من استهواهم أن يحاكوه

ولست الآن بصدد العرض لمزايا هذا الأسلوب وخصائصه ، وحسبى أن أشير الى أنه أسلوب طريف ، راع الناس بجدته ومنحاه فى التعبير والتأثير ، ولا أدل على ذلك من قيام الجدل حوله بين الأشياع والنقاد .. وما كان لأسلوب جديد مبتكر ألا يقوم حوله جدل ونقاش ..

ولكن الذى لا جدال فيه ، أننا حين نشيد باللغة العربية ، وقد زهت فى هذا العصر يطالعنا فيما يطالعنا على الفور أسلوب « طه حسين » ..

فلا مرية فى أن البيان العربى قد بلغ الآن من الازدهار مبلغا عظيما ، لا يقل عما بلغه فى أزهى العصور السوالف . ولا مرية كذلك فى أن نعد أسلوب « طه حسين » مظهرا رائعا من مظاهر ذلك الازدهار .

محمود تيمور



تصميم للمطار الطافى . . وضعته إدارة البحوث العلمية بالجيش الأمريكى إبان الحرب

مشروع لم يتحقق

مطار من الثلج

فى أثناء الحرب الكبرى الأخيرة كانت جميع الدول ترعى المكتشفات والمخترعات بعناية كبيرة ، راجية أن يؤدى البحث ولو فى بعضها الى التوفيق الذى يقرر فى النهاية تحقيق اختراع ربما يكون فيه النصر

ومن هذه المخترعات اختراع لم يكمل ، هو انشاء مطار من الثلج ، أو بالأحرى من الثلج والخشب والحديد ، اتفقت الحكومتان الانجليزية والامريكية على السير فيه الى نهايته . وكان الهدف الذى يصبو اليه مخترعوه أن يجعلوا منه « طافية ثلجية » كتلك الطافيات الطبيعية التى تطفو فى الجزء الشمالى من المحيط الاطلنطى . وكان المقدر أن يبلغ وزنها مليونى طن ، أما مهمتها فهى أن تكون مطارا ومأوى للطائرات معا ، ولا تحمل من الأسلحة سوى تلك المدافع التى تقاوم الطائرات المغيرة . أما ابعادها المقدرة فكانت ألفى قدم

طولا ، وثلاثمائة قدم عرضا ومائتي قدم عمقا ، وقدرت التكاليف وقتئذ بنحو ١٨ مليون جنيه

وقد أنفق على هذا المطار الطـاف نحو ستة ملايين من الجنيهات ، ثم أوقف العمل فيه بهزيمة المانيا . وقد كانت كندا موطن الاختراع والشروع فى تحقيقه . واستغرق التفكير والعمل نحو سنتين . ولولا هزيمة المانيا لاستمر العمل فيه الى النهاية . وعندئذ كانت هذه الطافية التى ركبت على هوامشها المحركات ستخرج من كندا الى المانيا وتضرب المدن الألمانية ، أى أنها تطلق ما عليها من الطائرات فتغير على موانىء المانيا فى بحر البلطيق والبحر الشمالى

ولهذه الطافية هيكل من الفولاذ يربط أجزاءها . ويبنى المطار الداخل فيها بالثلج ونشارة الخشب ، تضغط فتكون اسفنجية القوام خفيفة الوزن ، ثم يغطى كل هذا البناء بالثلج . فاذا حطت الطـائرات انزلقت الى جوف الطافية . وهو يتسع لثلاثمائة طائرة . ويحفظ البنزين الذى يدير المحركات التى تثبت على حافات الطافية فى أسفلها فى مواضع متعددة متفرقة حتى لا تصل اليه القنابل من الطائرات المغيرة

وكان المأمول من هـذه الطافيـة أنها تستطيع أن تنتقل من مكان الى آخر وتحمل طائراتها معها . وهى أكبر جـدا من البـوارج حامـلات الطائرات . ثم هى لأنها مصنوعة من الثلج ونشارة الخشب المضغوطة ، تنفذ منها القنابل الى أسفل كما لو كانت قد سقطت فى الماء فلا تنفجر . واذا حدث خرق أو انفجار أمكن اصلاحه بسرعة لأن فى الطافية جهازا لصنع الثلج لا يختلف عن الأجهزة التى تصنع لنا الثلج فى المدن . واذا اشتدت الشمس وأذابت الثلج فان هذه الأجهزة تطلق بالأنابيب التى تتخلل الطافية وتحيط بها ما يصنع لها الثلج من جديد

وكان فى النية ان تهيأ الطافيـه بالمـؤن والذخـائر ، وأن يكـون بها نحو ٣٥٠٠ بحار وطيار ، بغرف مؤثثة بجميـع حاجات الراحـة بل الرفاهية ، ومنها التدفئة . وليس هذا غريبا لأن الخشب المصنوع من النشارة سيتخلله الهـواء الذى يعزل الحرارة فيمكن أن تكون جدران الغرفة من الخارج تحت الصفر ولكن من داخلها لا تقل عن ٢٥ أو ٣٠ بالمقياس المئوى

وقد كان الجمع بين الثلج وهـذا الخشب الاسفنجى من التوفيقات الطيبة فقد وجـد أن الثلج يبطىء فى ذوبه عنـد ما يختلط به ، لأن فى هـذا الخشب فجوات عازلة . كذلك الثلج عندئذ يلين ولا ينقصف لاحتوائه على الخشب . فاذا ضربته قنبلة تمزق ولم يتناثر كما يفعل الثلج العادى ، فهذا ينقصف كالزجاج ويتناثر

[عن مجلة « لايف »]

مسابقة الهلال..

لتخليد وحدة وادي النيل

كان جميلا من دار الهلال ان تبادر بتسجيل الشعور المتدفق في شمال الوادى وجنوبه لتحقيق وحدة وادى النيل ، فتدعو المثالين الى الاشتراك في مسابقة لصنع تمثال يرمز الى تلك الوحدة

•

تقدم الى هذه المسابقة عدد وافر من المثالين ، وقد استرعى الانظار ان مجموعة التماثيل التى تقدموا بها تعد من المنتجات القيمة من الوجهة الفنية ، مما يدل على ان مثالينا في مجموعهم قد بلغوا درجة من الكمال أكثر من أية فئة أخرى من الفنانين في مصر . ولعل ذلك راجع الى ما يجرى في عروقهم من فن مجيد ، وجد في هذه المناسبة الجليلة سبيلا للظهور ، فحرك أنامل المثالين المتسابقين بتلك القوة وذلك الجلال اللذين اختص بهما أجدادهم الفراعنة

ويلاحظ في كل التماثيل التى عرضت قوة التعبير وظهور الفكرة . وقد كان أشدها وضوحا وأظهرها ابتكارا التمثال الذى تقدم به المثال فتحى محمود ، وقد أشار الى وحدة وادى النيل بملكين ممسكين بالقرآن

أعلنا في هلال ابريل الماضى عن مسابقة كبرى بين الفنانين المصريين والسودانيين لصنع تمثال يسجل الحركة الاجماعية المباركة التى برزت أخيراً لتحقيق وحدة الوادى . . وقد اجتمعت لجنة التحكيم يوم ٦ يونيو وقررت منح ٢٧٥ جنيهاً جوائز للفائزين . . وفيما يلى يحدثنا احمد راسم بك أحد أعضاء لجنة التحكيم عن ملاحظاته وآرائه في المسابقة .

الكريم ، ولعمرى انه أشد رابطة تجمع بين شطرى الوادى ، ولم ينس الى جانب الصلة الدينية ما لهذه الدنيا من اعتبارات فجعل أحد الملكين بملامح مصرية والآخر بملامح سودانية وقد ظهر التاج مشرقا يرعى هذه الوحدة المقدسة

ويذكر القراء مما نشرته الصحف والمجلات عن هذه المسابقة ان الاجماع كان تاما على ان التمثال الذى تقدم به فتحى محمود ، هو لا ريب أحسن المعروضات جميعها . وان كان لم يفز بالجائزة الأولى فذلك لأن تمثاله كان يزيد في ارتفاعه عن الارتفاع المشروط



الدكتور أحمد بك زكى رئيس تحرير الهلال يسلم الجوائز للفائزين .. ويرى فى الصورة وهو يهنىء الأستاذ وديع يس الفائز بالجائزة الأولى وقدرها ١٥٠ جنيهاً ، وعن يمينه الأستاذ احمد عبد السلام الفائز بالجائزة الثانية وقدرها ٥٠ جنيهاً ، وعن يساره الأستاذ فتحى محمود صاحب التمثال الذى قررت لجنة التحكيم بالاجماع فوزه بالجائزة الأولى لو لم يزد ارتفاعه عن الارتفاع المقرر

للمسابقة . ورغم هذه المخالفة لم يسع لجنة التحكيم الا ان تقرر له مكافأة قيمة اقرارا بفنه الرائع

وانى لأجدها فرصة سانحة لأذكر ان موضوع المسابقة من المواضيع التى لها روعتها ولا تعالج الا بشىء من العظمة والجلال ، وهذه كان يجب ان يترك للفنان التعبير عنها بالنسب التى يراها ولا تحد حريته بشرط كشرط الارتفاع ، ونرى فتحى قد ضحى به مرضاة لفنه

وحبذا لو فعلت هيئاتنا الثقافية ما فعلته دار الهلال ، فتقيم المسابقات الفنية لما يعرض لنا من مناسبات ، فتوجد بذلك لفنانينا مجالا للابتكار والمنافسة مما يجلى عن مواهبهم . ويدعونى الى هذا الرجاء ان مسابقة مختار السنوية التى أسستها وترأسها السيدة الجليلة هدى هانم شعراوى أسدت ، باعتراف الجميع ، الى فن النحت يدا كريمة ، وكانت من أكبر البواعث على انتعاش هذا الفن

أحمد راسم



تمثال الأستاذ وديع بنى الذى فاز بالجائزة الأولى



تمثال الأستاذ أحمد عبد السلام الذى فاز بالجائزة الثانية



تمثال الأستاذ فتحى محمود الذى قررت له لجنة التحكيم مكافأة خاصة

لماذا لم ينجح تجارنا ؟

بقلم عبد الله فكرى اباظة بك

> طلبنا من عبد الله أباظة بك وكيل وزارة التجارة والصناعة أن يحدثنا عن أسباب فشل الكثيرين من تجارنا ، فوافانا بالمقال التالى . .

التجارة هبة واستعداد ومران ، كما أنها من كبائر الفنون التى تتطلب مواهب خاصة ودراسة ويقظة، وحسابا دقيقا وبعد نظر وتعمقا فى علم النفس ، واستقامة وصبرا ومثابرة واعتدالا فى الانفاق وحسن تقدير

ولقد كان المصريون الى عهد ليس بالبعيد ، لا يشتغلون بالتجارة ولا يلقون اليها بالا ، اكتفاء بالزراعة ، مع ما فيها من رزق ضيق متواضع ، ورغبة فى وظائف الحكومة، وتكالبا على مرتباتها المحدودة، لأنها مورد رزق مؤكد سهل المنال، فظل المصريون بذلك دهرا طويلا بين فلاحين متواضعى الدخل، وبين موظفى حكومة محدودى الموارد

وكان غير المصريين من بلاد الشرق والغرب يزحفون على الأسواق المصرية فيحتلونها ، ويؤسسون فيها معسكراتهم ، ويقيمون منشآتهم ، ويستولون على مرافق البلاد الاقتصادية وتجارتها الداخلية والخارجية ، يساعدهم فى هذا ما نعموا به من امتيازات وحمايات — ولم يكن نصيب المصريين من كل هذا غير الفتات الذى يتناوله صغار التجار القطريين الذين لم يجدوا فى ميدان الزراعة مجالا ، ولا فى وظائف الحكومة مكانا ، فلم يسعهم ليعيشوا الا ان يتاجروا على هامش التجار الوافدين من غير المصريين، وكان الاشتغال بالتجارة فى ذلك الحين — بل الى عهد قريب — لا يتمشى مع مستوى خدمة « الميرى » بل كان التجار طائفة من عامة الناس لا ينزلها الرأى العام من نفسه منزلة الموظفين ولا حتى المزارعين

فهل كان يرجى التوفيق لطائفة لا سلاح لها من التعليم والمران أو التوجيه والارشاد ، فى حياتها التى تتطلب نضالا ومنافسة وسعة ادراك واحكام ادارة ورسم سياسة ؟ اذن فلا عجب ان كان الفشل مصير الكثرة

الغالية منهم، وأما من نجح نجاحا جزئيا فمرجع نجاحه النسبي الى الصدفة المحضة والحظ السعيد وتوفيق الله ، وهو الذي يرزق من يشاء بغير حساب

وفي كل طائفة من الطوائف فلتات وعبقريات لا تعتبر قاعدة ولا قياسا

▭

ولست أذكر من بين الأسماء المصرية في ميدان التجارة في عهدها الماضي، أي منذ نصف قرن مضى، من تألق نجمه وحسنت سمعته ، اللهم الا نفرا كانوا يعدون على أصابع اليد الواحدة ، قد وفقوا في أعمالهم توفيقا نسبيا وما كادت أسماؤهم تلمع حتى خبت وذهبت ريحهم ، لأن نجاحهم بني على غير أساس من العلم والدرس والتنظيم التجاري السليم ، وخدعتهم الدنيا ببريق اقبالها المؤقت ، فأسرفوا في الانفاق ، وأمعنوا في المظاهر ، فتورطوا في الديون ، فعصفت بهم العاصفة بين عشية وضحاها ، وتلاشت ثروتهم، فاختفت أسماؤهم من الميدان، كما اختفت الألقاب التي كان يضفيها عليهم أولو الأمر تشجيعا لهم ولغيرهم، فلم يبق من هذه البيوت التجارية المصرية بيت قائم

استمرت الحال كذلك حتى سنة ١٩٢٠ ، حين افتتح بنك مصر وبدأ عهدا جديدا في المحيط المصري الذي نبهت ثورة سنة ١٩١٩ أفكاره وأيقظت شعوره ، ولفتت أنظاره ، لمبدأ جديد، وعقيدة راسخة جارفة ، هي ان «مصر للمصريين» وان الاستقلال السياسي لا قيمة له دون سند من الاستقلال الاقتصادي ، وان الجهاد في ميدان المال فيه كل معاني الشرف والوطنية، كالجهاد في ميدان السياسة طلبا للحرية والاستقلال

ولقد استند هذا التطور الفكري الى أساس من التعليم التجاري الذي بدأ بالبلاد في سنة ١٩١٢ ، فما وافت سنة ١٩٢٠ عقب الثورة المصرية حتى وجد بنك مصر طائفة قليلة من الشباب المتعلم تعليما اقتصاديا وتجاريا، فجعلها نواة لأعماله ، فعملت وجاهدت بقيادة طلعت حرب وارشاده ، حتى سدت الفراغ الذي طال وجوده . وكان الالتحاق بخدمة بنك مصر خلال سنواته الأولى ، يعتبر نوعا من التضحية الوطنية ، لتشكك العقول في مستقبل ذلك المولود الجديد

▭

وكافح بنك مصر ومؤسسوه وموظفوه حتى توطدت على الأيام أركانه وصار له عملاء من رجال الأعمال المصريين ، شجعهم فشجعوه، وساندهم فأيدوه ، وشد أزرهم فالتفوا حوله ، فنجح منهم فريق صمدوا في الميدان ، لأنهم تميزوا بصدقهم ، وتنظيم عملهم ، والوفاء بعهودهم ، واستخدم هؤلاء فريقا من الشباب

الجديد ، لقيد حساباتهم وضبط اداراتهم ، فكان ذلك مبعثا لزيادة الثقة فيهم والاقبال على معاملتهم

وكانت هذه النهضة الاقتصادية في العاصمة بالذات تسايرها حركة فردية مباركة في الاسكندرية ، محورها ومصدرها المرحوم أمين يحيى باشا الذي برز بين الأجانب بالتعاون معهم ومحاكاتهم ، فأصاب في هذا توفيقا كبيرا لازمه طول حياته ، ثم ورثه عنه نجله سعادة على يحيى باشا ، فزاده الله توفيقا وبارك له في عمله بما عرف عنه من جد ونشاط وشرف والمام بشؤون التجارة علما وعملا

▭

ثم اتسع نشاط بنك مصر وامتدت آفاقه وتعددت فروعه وتفرعت منشآته ، فتوطدت فيه ثقة المصريين وغير المصريين وحل احترام الأجانب اياه محل الاستهانة والاغفال ، فأخذوا يحسبون للمصريين حسابا ، اذ أصبحوا أمامهم رؤوسا بعد ان كانوا في عيونهم أذنابا .

ولا مراء في ان وجود بنك مصر كان الحجر الأول في بناء الاقتصاد القومي ، حيث استندت اليه ظهور المصريين العاملين في الميادين التجارية والصناعية فأنسوا به لأن خطته في معاملتهم أصبحت خطة الارشاد والتشجيع والرحمة ، والتيسير عند الشدة ، وهذه عوامل لها أهميتها البالغة ، في توفيق أصحاب الاعمال ، وحمايتهم من غدر تقلبات الأسواق ، فلم يصبح التجار والمقاولون والصناع المصريون يتامى كما كانوا في الماضي لايجدون نصيرا ولا معينا اذا ما انتابتهم شدة ، ولم تبق أعمالهم عرضة للأهواء وتحكم المصارف الأجنبية والمرابين فيهم ، وانتهاز الفرصة لابتزاز أموالهم فيتعرضون للفشل والافلاس ، لاهون الأسباب ، بل اعتدلت المقاييس وتغيرت المعاملة ، حتى في المصارف الأجنبية نفسها ، بمجرد ظهور بنك مصر في الميدان

▭

ومما لا شك فيه أن ما تلا تأسيس بنك مصر من خطوات كتعديل الرسوم الجمركية في سنة ١٩٣٠ ، ووضعها على أسس حماية الاقتصاد القومي والصناعة الأهلية وظهور روح جديدة لتمصير مرافق البلاد ، قد كان له بالغ الاثر في التطور الفكري بين صفوف المصريين المثقفين تنبهت أذهانهم للميدان الاقتصادي ، فأولوه عنايتهم واتجاههم وتقديرهم ، فدخلته طائفة من المتعلمين وأبناء الأسر ، بل بدأ الكثيرون من موظفي الحكومة المسئولين يفضلون الاشتغال بالأعمال الحرة التي تدر عليهم ما لا يجدونه في الحكومة من جزاء

وبذلك دخلت الاعمال التجارية والمالية بمصر في عهد جديد ، وبدأت تنظم نفسها كسائر المهن الفنية الحديثة .

بل قد بدأ فيها التخصص الذى ساير التقدم العصرى فى العالم ، فلم تعد التجارة ارتجالا ، كما كانت فى سالف العصر والأوان ، حين كان يحترفها عامة الناس بغير سلاح من العلم والالمام بالاحوال العالمية واللغات الحية الضرورية لمخاطبة شتى أنحاء الأرض ، من الصين الى الهند الى أمريكا أو جنوب أفريقيا . وهى ليست خطفا ولا احتيالا ، ولكنها يجب أن تؤسس على الصدق والذمة والشرف والأمانة والوفاء بالعهود ، فما للكذوب فيها الا حياة قصيرة ونجاح قريب الزوال

□

والتجارة الناجحة تتطلب التنظيم الادارى الدقيق ، والتسجيل الحسابى الواضح المنجز ، فما الحسابات الحديثة للتاجر الا مرآة السيدة الأنيقة فى كل صباح ، أو البوصلة التى تنير الطريق لربان السفينة فى البحر المتلاطم ، وهيهات ان ينجح مشروع لا يبنى على التصميم والتنظيم والحساب ، فمتى أقيم فلا حياة له دون اشراف دائم ورقابة يقظة وموالاة ، مع الصبر والمثابرة ، فما التاجر فى السوق الا كالقائد فى الميدان قد يخونه الحظ وهو فى أوج انتصاره ، اذا غفلت عينه عن احكام الخطط وتنفيذها فى أوقاتها ، فكل تهاون قد يقلب النصر خذلانا والربح خسرانا

- ان التجارة كنز تتضاءل ازاءه سائر المهن ، اذا حسنت ادارتها ، وتحلى القائمون بها بصفات عالية ، من الأخلاق والنظام والثبات والمثابرة ، ووضعوا أعمالهم على أسس حديثة من التدبير والاحكام ، وكلما أعطاهم الله من فضله شكروه ، وقدروا نعمته ، فلم يتكبروا ولم يسرفوا ، ولم يستهينوا بالكثرة ، حتى يبارك الله لهم فى مالهم ويكتب لهم النجاح والنصر المبين

عبد الله فكرى أباظة

ٌ قيل لحكيم : ما أفضل مايرزقه المرء ؟ قال : علم . قيل : فان لم يكن ؟ قال : عقل . قيل : فان لم يكن ؟ قال : صدق اللسان . قيل : فان حرمه ؟ قال : سكوت طويل . قيل : فان لم يكن ؟
قال : موت عاجل يريح العباد منه والبلاد [ابن المقفع]

ٌ لا يؤمننك شر الجاهل قرابة ولا جوار ولا إلف ، فانه إن قاربك عاداك وإن جاورك آذاك . والعاقل حقيق بأن يهرب منه هربه من النار المخوفة والثعبان الهائل [ابن المقفع]

الثقة بالنفس ، وقوة الارادة ، ورباطة الجأش ، صفات تجعل صاحبها أهلا لارتقاء أرفع مدارج الحياة . وقد اجتمعت هذه الصفات ، مضافا اليها الجمال وسحر البيان ، في امرأة كانت جارية ، فجعلت منها ملكة . ولكن الغيرة بعثت سمومها في صدر « شجرة الدر » فتحولت الفضائل الى نقائص ، فاطاحت بعرشها ، فغرقت في غمرة من الدماء !

شجرة الدر وضاربة الرمل

بقلم الاستاذ حبيب جاماتى

– وبعد ، ماذا ترين خلف الحجب يا مرجانة ؟

– أرى أيضا أشياء كثيرة ياشجرة الدر ، واقرأ في صحائف الغيب وقائع تمتزج فيها الوضوح بالغموض، والخير بالشر، والنور الوهاج بالظلام الدامس ! أرى واقرأ ما يدعو الى الفرح والحبور ، وأرى أيضا واقرأ ما يحمل على الغم والكمد :

– رددى على مسامعى ما ترين يا مرجانة ! تكلمى ولا تخفى عنى شيئا . فشجرة الدر ترحب بالبشير ولا تخشى النذير !

كانت المرأتان جالستين على حصير، داخل قاعة يضطرب فيها ضوء سراج ضئيل ، وقد بسطت احداهما على الارض منديلا فرشت عليه رمالا حمراء، وجعلت تقلب بين أناملها كومة من الكعاب والحصى ، وهى عدة المنجمات وارثات الغيب

انهما اسيرتان في تلك القاعة ذات الجدران الضخمة ، التى تطل نافذتها الصغيرة على فناء تحيط به أسوار مرتفعة، وتمتد وراءه الجبال والوديان . تلك هى قلعة « الكرك » الواقعة عبر نهر الاردن ، والتى يسلط صاحبها الناصر داود على البقاع المجاورة

واستأنفت المنجمة استطلاع ماخفى من حوادث المستقبل، مستعينة برمالها وكعابها وحصاها ، طالبة النجدة بين حين وحين من النجوم المتلألئة فى في الفضاء ، خلال قضبان النافذة الضيقة :

– أرى محفة مغطاة بالدمقس والارجوان .. أهى مقعد وثير ؟ أهى عرش رفيع ؟ لست أدرى ! وأراك

يا شجرة الدر جالسة عليها متشحة طيلسانا براقا ! وأرى رجلا جالسا معك جنبا الى جنب .. وأرى الرجل يختفى فتبقين وحدكعلى ذلك العرش . ثم يجلس معك عليه رجل آخر فى ريعان الشباب .. ثم يختفى وتبقين وحدك مرة ثانية .. ثم يجىء رجل ثالث فيجلس ويختفى مثل سابقيه ، ويتركك وحدك للمرة الثالثة .. ثم تهبط غمامة سوداء ، فتجلل العرش وتخفيه عن الانظار .. ثم ..

ـ ثم ماذا يا مرجانة ؟ ثم ماذا ؟

ـ ثم يتدفق سيل احمر يجرف العرش ويبعثر حطامه !

ـ أهو سيل من الدم يا مرجانة ؟

ـ قد يكون كذلك يا شجرة الدر! ولكن المنجمين قد يخطئون ، فلا تدعى للروع منفذا الى صدرك

ـ لا اخفى عنك يا مرجانة اننى بعيدة المطامع ، واسعة الآمال ، أوثر الحيطة على التراخى ، اننى انظر الى المستقبل باطمئنان ، لأننى واثقة من تحقيق مطامعى وبلوغ آمالى . ولكنى أعد للمفاجئات عدتها ، كيلا تأخذنى على غرة منى

ـ أرجو ان يصدق حدسى ، وان تطابق الحوادث ما ينبىء به الغيب ، وهو انك ستجلسين على العرش ثلاث مرات وحدك ، وثلاث مرات مع شريك !

ـ وولدى ؟ ولدى يا مرجانة ؟ ألا ينبئك الغيب بما ينتظره فى الغد ؟

ـ ولدك يا أم خليل ؟ .. لا أرى له أثرا فى صحائف القدر .. ولكنه لا يزال طفلا فى الثالثة من العمر .. فالوقت لم يحن بعد للاهتمام بأمره

ـ ونجم الدين أبو خليل ، سيدى وسيدك ؟ ..

* * *

دخل على المرأتين فى تلك اللحظة رجل طويل القامة ، ممتلىء الجسم ، قوى البنية ، فى نحو الخامسة والثلاثين من العمر ، وقد ارتسمت على وجهه امارات الغبطة والارتياح . فنهضت شجرةالدر ورفيقتها، ووقفتاخاشعتين، فقال الرجل :

تتحدثان عنى ؟

وأجابت شجرة الدر :

ـ كانت مرجانة تقرأ لى ما سطر لنا فى صفحة القدر يا أبا خليل !

فضحك الرجل وقال مداعبا :

ـ أمثا زلت تلاحقين المنجمين والمنجمات ، وتؤمنين بلغة الكعاب على الرمال ؟

ثم التفت الى مرجانة سائلا :

ـ وماذا تقولين لى أيتها العرافة الماهرة ؟

فأجابت مرجانة بصوت متهدج منبعث من اعماق الصدر :

ـ لا تهزأ بى وبامثالى أيها المولى ولا تحكم قبل أن تكذب الحوادث نبوءات المنجمين ! قلت ان شجرة

الدر ستجلس علی العرش مع ثلاثة ملوك ، وستكون أنت واحدا منهم ، ولكنك لن تنعم طويلا بالجاه والسلطان؛ وأری أسرتك تتخبط فی أمواج من الدماء :

ـ كفی عن هذا يا وجه البوم ، ودعينا نستقبل الحوادث كما تجیء بها الايام، فالله وحده عليم بما قدر للانسان من خير وشر ! اما أنا ، فانني أحمل اليكما الآن خبرا سارا ، وهو ان الناصر داود قد عقد معی صلحا وحالفنی علی شروط طيبة . ونحن سائرون بعد أيام الی مصر ان شاء الله !

فرددت المرأتان وقد ارتسم الفرح علی محياهما :

ـ ان شاء الله !

* * *

مات الملك الكامل ، ابن الملك العادل ، ابن السلطان صلاح الدين الايوبی فی سنة ٦٣٥ هجرية، الموافقة لسنة ١٢٣٨ للميلاد ، فاستولی علی عرش مصر ابنه الأصغر ، سيف الدين ابو بكر، الملقب بالملك العادل الثانی، وقام ابنه الاكبر نجم الدين المعروف بالملك الصالح ، وكان نائب ابيه فی حلب ، يطالب بالملك لانه أحق به من أخيه ، وزحف علی رأس قوة صغيرة نحو الجنوب ، فاعترضه فی الطريق صاحب « الكرك » الناصر داود ، وأوقعه فی كمين ، فتشتت رجال نجم الدين ، وبقی هو أسيرا فی قبضة الناصر مع لفيف من الرجال والنساء. وأراد صاحب «الكرك» ان يساوم علی الغنيمة فيتفق مع أحدهما علی حساب الآخر ، وانتهی الأمر بان عقد الآسر محالفة مع الأسير ، علی أن يطلق سراح نجم الدين لينتزع عرش مصر من أخيه، ويقطع الناصر ولاية الشام

ذلك هو الخبر السار الذی حمله الأسير الی جاريته شجرة الدر التی وقعت معه فی أسر صاحب الكرك ، وهی أم ولده خليل . وكان قد أهمل زوجته « العالمة » بسببها ، وفتن بجمالها وذكائها ومعرفتها الواسعة، فتزوجها فيما بعد . وكانت تلك المرأة الجريئة ترسم الخطط لابعاد كل نفوذ عن الرجل الذی استولت علی لبه ، وكانت تناديه « يا أبا خليل » بالرغم من ان ابنه الاكبر من زوجته كان يدعی « غياث الدين توران شاه »

اما « مرجانة » فهی جارية أخری اشتراها نجم الدين فی حلب ، وكانت هی وشجرة الدر تعتقدان انهما من بلدة واحدة ، فی جبال القوقاز ، حيث أخذهما النخاسون طفلتين صغيرتين وباعوهما الی الامراء والحكام فی أرض الشام... وكانت مرجانة تهيم بحب سيدها نجم الدين، وتتفانی فی خدمته، وتغار من شجرة الدر وسلطانها عليه، ولكنها كظمت غيظها ، وآثرت التقرب من المرأة المختارة والتزلف اليها ، علی ان تستغل نفوذها ، وتنتقم منها

اذا ما سنحت الفرصة للانتقام.

وأحبتها شجرة الدر لانها كانت تؤمن بقراءة الغيب و« ضرب » الرمل واستطلاع الفلك، وهي فنون درستها مرجانة على رجل من الفرس الاسماعيليين عند ما كانت ملكا لاحد امرائهم فى جبال اللاذقية ، وعرفت المنجمة كيف تستخدم علمها لبلوغ مآربها ، فانقادت شجرة الدر لنصائحها وصدقت كل نبوءاتها وحرصت على صداقتها .

وعند ما رحل نجم الدين عن حلب قاصدا الى مصر ، أخذ معه صفيته شجرة الدر ، التى طلبت اليه ان يصطحب مرجانة أيضا فأجابها الى طلبها . وهكذا قضت المرأتان سبعة شهور اسيرتين مع سيدهما فى قلعة الكرك ، ثم وصلتا معه الى مصر بعد أن فك الناصر داود أسره

* * *

خلع الملك الصالح نجم الدين أخاه الملك العادل سيف الدين ، وزج به فى السجن حيث بعث اليه بمن قتله خنقا ، فى عام ٦٣٧ للهجرة . واستقل بملك مصر فأحسن التصرف وأصلح الأحوال ، واصبحت شجرة الدر سيدة القصر ، وصاحبة الكلمة المسموعة فى كل كبيرة وصغيرة من شؤون الدولة . ولكنها فقدت وحيدها صبيا . والملك الصالح هو منشيء فرقة المماليك البحرية الذين كانوا عماد عرشه . والذين شيد لهم القصور فى جزيرة الروضة بالنيل

وقالت مرجانة لرفيقتها السابقة فى الأسر :

ـ ها قد جلست على العرش مع الملك الصالح بعد ان أصبحت زوجته، فتحققت المرحلة الاولى من نبوءة الكرك، فماذا أعددت للمنجمة من عطاء ؟

فأجابت شجرة الدر :

ـ عقدا من اللؤلؤ يا مرجانة ، وقبقابا من خشب الصندل المموه بالذهب ؛ ولكن ما تنبأت به بكلمات غامضة عن ولدى قد تحقق أيضا ويا للأسف ، فقد مات خليل ، ولن يجلس على العرش بعد أبيه !

ـ عليك يامولاتى ان تنجبى للملك الصالح « خليلا » آخر !

ـ وابنه البكر ، غياث الدين توارنشاه ؟

ـ قد تزيحه الاقدار من طريقك ، كما ازاحت أمه وجعلتها مهملة فى أركان القصر !

ـ ليستجب الله دعاءك يا مرجانة

* * *

لكن الله لم يستجب دعاء السوء هذا . فقد مات الملك الصالح نجم الدين بعد مرض عضال عانى منه الأمرين ، فى عام ٦٤٧ للهجرة ، الموافق لعام ١٢٤٩ للميلاد ، تاركا ولدا وحيدا هو غياث الدين توارنشاه، الملقب فيما بعد بالملك المعظم . وكانت وفاة الملك الصالح صدمة قوية ، لانها حدثت فى اثناء المعارك التى نشبت بين


وقالت المنجمة : « أرى
رجلا جالساً معك
جنباً الى جنب »

المصريين والصليبيين بقيادة ملك فرنسا لويس التاسع ، الذى نزل فى دمياط فى الخامس من شهر يونيو سنة ١٢٤٩ ، وجعل يتأهب للزحف على القاهرة بطريق المنصورة ، وذلك قبل ان توافى المنية الملك فى هذه المدينة بخمسة شهور

أخفت شجرة الدر خبر وفاة نجم الدين عن الجيش والشعب ، وواصلت تصريف أمور الدولة بمفردها ، مستعينة برهط من الاخصاء والمقربين ، وبعثت فى طلب غياث الدين توارانشاه ، وكان حينذاك فى أرض الشام نائبا عن أبيه ، واستغرق سفر الأمير ، خليفة الملك الراحل ، ثلاثة شهور حافظت فيها شجرة الدر على السر الرهيب ، وتمكنت من احراز انتصارات باهرة على الافرنج ، فأوقفت زحفهم ومزقت كتائبهم ، وكانت تصدر الأوامر والمراسيم مذيلة بخاتم الملك الصالح مدعية انه مريض يلازم الفراش !

وقالت مرجانة لرفيقتها السابقة فى الأسر :

ــ ها قد اختفى الرجل الاول وجلست وحدك على العرش ، فتحققت المرحلة الثانية من نبوءة الكرك . فماذا أعددت للمنجمة من عطاء ؟

فأجابت شجرة الدر :

ــ سوارا من الذهب المرصع بالجواهر الكريمة يا مرجانة ، وقبقابا من خشب الصندل المموه بالذهب . ولكن هذه المرحلة الثانية محزنة مؤلمة. فقد مات الرجل الوحيد الذى أحببته وأحبنى فى هذا العالم !

ــ الرجال كثيرون يا مولاتى ، وأى رجل منهم يستطيع ان يقاوم سحر هذا الوجه الفتان ، وسهام هاتين العينين ؟ ولكن توارانشاه فى الطريق ، فهل يصل الى مصر ؟

فانتفضت شجرة الدر وقالت :

ــ اسكتى ! اسكتى يا مرجانة ! انه لخاطر فظيع يخطر لى الآن ! . . .

* * *

وصل الملك المعظم غياث الدين توارانشاه الى المنصورة ، فاعادت اليه شجرة الدر مقاليد الحكم ، وأعلن خبر وفاة أبيه الملك الصالح والمناداة بنفسه ملكا على مصر والشام . وبعد ذلك اليوم باسبوعين ، حلت بالافرنج كارثة المنصورة ، فسحق جيشهم سحقا ، ووقع الملك لويس التاسع أسيرا فى أيدى المصريين ، وهلكت زهرة الصليبيين فى تلك المعركة الرائعة . غير ان الملك المعظم أساء التصرف مع زوجة أبيه ، ومع الامراء الذين حافظوا على العرش فى غيبته ، فتآمر لفيف منهم على قتله ، ونفذوا قرارهم بقيادة بيبرس البندقدارى الذى كان أول من ضرب الملك بالسيف فقطع يده . وقد حاول توارانشاه الفرار فأدركه القتلة فى وسط النيل وأجهزوا عليه ، وألقيت جثته فى العراء ثلاثة أيام ولا يعرف أحد أين دفنت . وكان ذلك فى شهر محرم سنة ٦٤٨

هجرية ، بعد خمسة أسابيع من مبايعة توارانشاه بالملك

وبموت الملك المعظم ، انقرضت أسرة الايوبيين في مصر . وتشاور الامراء فيما بينهم ، ثم ألقوا بمقاليد الحكم الى شجرة الدر ، فكانت أول ملكة جلست على العرش وحدها في تاريخ الاسلام!

وقالت مرجانة لرفيقتها السابقة في الأسر :

ـ ها قد جلس رجل آخر على العرش بجانبك ، ثم اختفى وعدت الى الجلوس على العرش وحدك مرة ثانية . فتحققت مرحلتان أخريان من نبوءة الكرك . فماذا أعددت للمنجمة من عطاء ؟

ـ ثوبين مزركشين ، وقبقابين من خشب الصندل المموه بالذهب

* * *

لم يقابل اعتلاء امرأة عرش مصر بالرضى والقبول من الناس ، في مختلف انحاء العالم الاسلامي ، وارسل الخليفة المستعصم بالله العباسي يقول : « ويل لبلد تحكمه امرأة ! اذا كانت مصر قد أقفرت من الرجال فأخبرونا لكي نرسل اليكم رجلا ! »

وأدركت شجرة الدر بثاقب نظرها ، وحسن تقديرها ، ان الأمور لن تستتب لها ما دامت محرومة من سند رجل يشاطرها السلطان ، ويأخذ مكانه بالقرب من مكانها على العرش ، فتزوجت الأمير عز الدين أيبك التركماني ، فشاركها الحكم باسم « الملك المعز » وحاول ارضاء الفئة الباقية على ولائها للأسرة الأيوبية ، فجاء بالأمير الصغير « موسى » من سلالة الملك العادل ، ونصبه معه ملكا باسم الملك الأشرف ، ولكنه تخلص منه بعد وقت قصير فبعث اليه من قتله في السجن ، وشتت شمل المماليك الصالحية أنصار الأيوبيين ، وصفا له ولشجرة الدر الجو ، فراح الزوجان يوطدان عرشهما في الديار المصرية

وقالت مرجانة لرفيقتها السابقة في الأسر :

ـ ها قد أصبحت زوجة سعيدة ووجدت الرجل اللائق بك وبالعرش معا . فتحققت المرحلة الخامسة من نبوءة الكرك . فماذا أعددت للمنجمة من عطاء ؟

ـ قرطين من الألماس ، وقبقابا من خشب الصندل المموه بالذهب !

* * *

لم يدم الصفاء بين الزوج والزوجة ، فان شجرة الدر لم تكن المرأة التي تخضع لرجل ، وترضى بالحياة الخاملة في خدرها ، ولم يكن الملك المعز بالرجل الذي يطأطىء الهام لامرأة ، ويستسلم لاوادتها ويعمل بمشورتها ، وقد أسكره المجد وفتح أمامه آفاقا بعيدة ، فجعل يفكر في مستقبل أسرته ومن يخلفه على العرش . ولم تكن شجرة الدر قد أنجبت في حياتها غير ذلك الطفل الذي

مات صغيرا ، وقد اشرفت على الخمسين من عمرها . في حين ان جارية من جوارى المعز قد أنجبت له ابنا سماه « نور الدين على » ، وأعده للملك من بعده ، فضلا عن انه انصرف الى التفكير في الزواج من ابنة أمير من كبار الأمراء ، وبعث برسول الى « بدر الدين لؤلؤ » صاحب الموصل يطلب منه ان يزوجه ابنته

علمت شجرة الدر بكل هذا ، وشعرت بأن زوجها قد بدأ يتنكر لها، ونقل اليها جواسيسها انه لن يتردد في قتلها للتخلص منها ، فقررت اغتياله قبل ان يغتالها ، وكانت قد شاركته في العرش سبعة أعوام كلها متاعب وخلافات وخيانات ، فعهدت الى جماعة من غلمانها المخلصين بالقضاء على الزوج المزعج المتمرد ، ونفذ الغلمان الأمر فوثبوا على المعز وهو يتوضأ في الحمام ، وقتلوه خنقا ، وكانت شجرة الدر واقفة تشجعهم بالوعود ، وقيل انها ضربت رأس الملك بالقبقاب بعد ان تركه الغلمان على البلاط جثة هامدة . وكان ذلك في سنة ٦٥٥ للهجرة ، الموافقة لسنة ١٢٥٧ للميلاد

وبقيت الملكة صاحبة العرش وحدها ، وظنت ان المستقبل في يدها . وقالت مرجانة لرفيقتها السابقة في الأسر :

— ها قد اختفى الرجل الثالث ، وأصبحت مرة أخرى ملكة لا يشاركك في الملك أحد . فتحققت المرجانة السادسة من نبوءة الكرك . فماذا أعددت للمنجمة من عطاء ؟

— خلخالا مرصعا بالياقوت ، وقبقابا من خشب الصندل المموه بالذهب

* * *

. ثار ثائر المماليك المعزية لتلك الجريمة البشعة ، فهاجموا القصر ، وفتكوا بالغلمان والخدم والعبيد الذين عرفوا فيهم الولاء لشجرة الدر ، وأرغموا الملكة على البقاء في أحد أبراج القلعة ، وشاءت سخرية القدر ان ينهض المماليك الصالحية ، أنصار الملك الصالح ، زوج شجرة الدر ، لانقاذها من الأسر . ولكنهم فشلوا في محاولتهم . وكان المماليك المعزية قد نادوا بنور الدين على ، ابن المعز، ملكا باسم « الملك المنصور » فحرضتهم أمه — وكانت شجرة الدر قد حاولت من قبل ان تدس لها السم — على الانتقام للملك القتيل بالقضاء على الزوجة القاتلة . فاستمعوا لرجائها، وصدعوا بأمرها

أرادت شجرة الدر ان تقضى في حياتها على كل من وقف في سبيلها ، فلم تترك حولها أصدقاء تعتمد عليهم في وقت الشدة . فقد أدركتها الغيرة من « العالمة » زوجة الملك الصالح فأقصتها عن زوجها ، وساهمت في قتل توران شاه ، واشتدت غيرتها من

زوجة المعز لأنها أنجبت له وارثا للعرش فأرادت ان تقتلها أيضا وتقتل وارث العرش معها . ولكن تلك المرأة التي حكمت مصر ثمانية عشر عاما ، وجمعت في شخصها المتناقضات من الصفات والخلال ، والتي بلغت من العز والسؤدد الأوج الأعلى ، وكان في وسعها ان تظل سيدة مصر مدى عمرها ، تلك المرأة العجيبة فشلت في محاولة التوفيق بين خشونة الرجولة ونعومة الانوثة ، فأخذت من الاثنتين عيوبهما ، فدفعت بنفسها الى الهلاك

بعد مقتل المعز بأيام ، جيء بشجرة الدر الى غريمتها أم نور الدين الملك المنصور ، فأمرت بقتلها ، واذا بسرب من الجواري يثبن عليها ويشبعنها ضربا بالقباقيب ، حتى أزهقت روحها على هذا النحو الفظيع ..

وكانت مرجانة في مقدمة الضاربات ! تلك المنجمة التي شاءت الأقدار ان تكون صادقة في نبوءتها . تلك الغريمة التي حالت شجرة الدر بينها وبين الملك الصالح ، كانت طوال تلك الاعوام تتجسس على شجرة الدر وتوقع بينها وبين الناس ، وقد سنحت لها في النهاية فرصة الانتقام فاغتنمتها .

وقالت مرجانة لرفيقتها السابقة في الأسر ، وهي تحتضر :

— ها قد تحققت المرحلة الأخيرة من نبوءة الكرك . وطما بحر من الدماء الحمراء عليك وعلى من أحاط بك يا شجرة الدر ! فماذا أعددت الآن للمنجمة من عطاء ؟

لم ترد شجرة الدر في هذه المرة على سؤال المنجمة . ولكنها ، وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة ، وتلقي حولها نظرات الوداع ، وتشعر بعظامها تحطم من الضرب ، عرفت القباقيب المصنوعة من خشب الصندل ، والمموهة بالذهب ، التي كانت مرجانة ورفيقاتها يهوين بها على رأسها !

حبيب جاماتي

قومية !

سأل مدرس في إحدى المدارس الابتدائية الأمريكية تلميذاً من تلاميذه : « من هو الرجل الأول ؟ » فأجابه التلميذ فوراً : « جورج وشنجتون » فلما صحح له المدرس إجابته موضحاً له ان الرجل الأول كان « آدم » أردف التلميذ في لهجة الاعتذار عن خطئه : « آه ، اذا كنت تقصد الرجل الأول من بين الأجانب « غير الامريكيين » فلعله يكون آدم »



بقلم فضيلة الشيخ محمود أبو العيون

أتهم رجال الدين في الماضي القريب، لأنهم قصروا في أداء رسالتهم من تبليغ حكم الله للمسلمين في الأحداث التي زحزحت الدين عن مكانته، وعطلت تنفيذه في القضاء والاحكام، وتطبيقه في الحوادث التي تخالف الشريعة وتناقضها

— ١ —

في سنة ١٨٨٥ استبدل القانون الفرنسي بالشريعة الحنيفية الغراء التي سار عليها المسلمون أجيالا بعد أجيال في أزهر عصور الاسلام، فلم يحرك علماء ذلك العهد ساكنا، ولم ينكروا ذلك الحدث العظيم في الاسلام، واذا كانوا قد أنكروا فلم يسجل التاريخ لهم أنهم أوذوا — أو نفوا من الأرض — في سبيل انكارهم لذلك التبديل والتغيير في شرع الله

— ٢ —

نظم الاحتلال الانجليزي بعد استقراره البغاء، وجعله رسميا، وأصبحت المسلمة في بلاد الاسلام تمتهن حرفة الزنا علنا، تحت حماية الحكومة والقانون، وبين سمعها وبصرها، فلم يحرك رجال الدين ساكنا، ولم يرو التاريخ أنهم غضبوا لله وللحق، وللأعراض تستباح وتنتهك، أو أنهم أنكروا تشريع هذا الرجس

— ٣ —

وشاع الربا، واستعملت الحكومة الربح والفائدة رسميا، وسمحت بهما للجمهور، وتأسست له المصارف الأجنبية والوطنية في طول البلاد وعرضها، فلم نسمع أن العلماء أنكروا ذلك الأثم، أو انهم غضبوا لتشريعه وتنظيمه

— ٤ —

واباحت الحكومة الخمر والميسر، وانتشرت الحانات، وأنواع القمار،

فى النوادي والأمكنة العامة ، وفى المدن والقرى والطرقات ومنازل الأثرياء ، فلم نعرف عن رجال الدين أنهم عارضوا الحكومة معارضة جدية فى أنها أحلت ما حرم الله

— ٥ —

وفى عهدنا الحاضر ذاع الفساد ، وتحللت الأخلاق ، واستشرى الداء، وخلعت المرأة العذار، وهجرت المنزل وخالطت الرجال على شواطىء البحار — عرايا — وفى النوادى العامة ، وفى الحفلات الزاخرة بالمجانة والعبث والهوى والعربدة ، ونبذت التقاليد الصالحة الموروثة،وهجر الدين، وزال طابعه فى مقدرات البلاد ومعنوياتها ، ولم يدرس دراسة تعليمية تطبيقية نافعة فى المدارس والجامعات — وقعت تلك الاحداث الخطيرة الفاجعة ، فلم نر جهرة العلماء ورجال الدين يجمعون جموعهم ، ويرفعون عقائرهم بالانكار والاحتجاج على أولى الأمر من أجل هذه المنكرات الشائعة، وهذه المقابح الظاهرة وما رأينا أحدهم غامر وجاهد فى سبيل الله،حتى ناله الضر فى نفسه أو رزقه ، لم نر شيئا من ذلك ولم نسمع به ، بل كل ما نفعله هو أن نكتب فى الصحف وأن نرفع العرائض الفاترة لأولياء الأمر، وهم لا يحركون ساكنا، ولا نحرك نحن ساكنا كذلك ، زعما بأننا أدينا واجبنا بالخطابة والعرائض وبالكلام وعلى الورق !

— ٦ —

وتفرقت البلاد أحزابا وشيعا ، وانشقت على نفسها أقساما وفرقا ، وتزعم كل فريق زعيم يدعو الى شخصه، والى تولى الحكم دون الآخرين ، حتى نسى القوم قضية الوطن ، واصلاح أداة الحكم ، وشؤون البلاد ، ورجال الدين يتفرجون على المواقف ، على حين أن الله أمرهم باصلاح ما فسد من أحوال المسلمين ، ورتق ما تصدع من أمورهم « انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم، واتقوا الله لعلكم ترحمون» فلم نجتمع ولم ندع المتخاصمين الى الصلح ، والمتنازعين الى التفاهم ، والمتفرقين الى الاتحاد ، والمدبرين الى الرجوع الى الحق،ولم نقل كلمة الدين فى المخالف،حتى يفىء الى أمر الله،وحتى تنقذ البلاد من البلاء المسلط عليها ، والمحيط بها من كل جانب ، لم نفعل ذلك ، بل ان جماعتنا نفسها فى حاجة الى اصلاح ذات بينهم ، والعمل على جمع كلمتهم ، وتأليف قلوبهم !

انى اتهم رجال الدين — وأنا منهم — وعزيز على أن أتهم نفسى ورفاقى وعهدى بهم ان يكونوا رجال ورع وتقى ، ورشاد وهدى



فى البعثات العلمية ، حتى الشاقة ، لا تنسى المرأة . فهذه «مدام واشبورن» مع زوجها ،هبطا من الجبل حيث أرادا



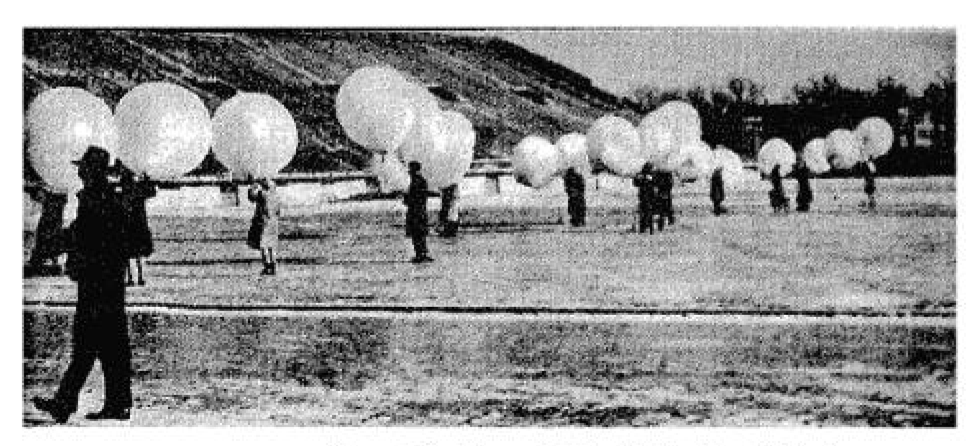
هذا جبل مك كنلى ، بألاسكا ، وبحسم سهم فى الموضع
الذى تسقط الطائرات عنده ما تحتاج إليه البعثة من جهاز وعتاد

ما هى ؟

تسأل عنها اليوم رجل الشارع ، فى الأمم المتمدينة ، فلا يعرف ، وقد كنت تسأله منذ قرنين عن الذرة فلا يعرف عنهـا شيئا ، واليوم صارت الذرة شيئا معروفا مألوفا ، وكذلك ستصير الأشعة الكونية عما قرب شيئا مألوفا معروفا

والرجل العادى يتألف جسمه من ذرات، وتتلاعب من حوله الذرات، ولكنه كان يجهلها . وهو يجهل اليوم الأشعة الكونية ، مع أن ألوفا من هـذه الأشعة تضرب جسمه فى الدقيقة الواحدة من كل يوم

وأصل هذه الأشعة ومصدرها السماء ، ومجراها ما بين النجم والنجم ، ولها قوة فى الفتك رائعة هائلة مخيفة ، أو هكذا هم يحسبون اليوم ، فيقولون انها قوة تتضاءل الى جانبها قوة تخرج من الذرة عند تصدعها ، قوة تتصاغر الى جانبها طاقة القنبلة الذرية عند انطلاقها



وهذه بالونات تطلق الى الجو حاملة أجهزة لاستكشاف الأشعة وهى تنفجر عند علو معلوم ، فيهبط الجهاز بالباراشوت ويعرف العلماء مكان الأشعة ومقدارها

وقد يكون لنا من هذه الأشعة هلاك وموت ، ولكن من المحقق أيضا أنه قد يكون لنا منها دابة ذلول ، تعطى لنا الطاقات بحساب ، كما نرجو من الذرة أن تفعل اذا قدر لنا أن ننجح فى ترويضها للسلم كما روضناها للحرب

وتسأل : اذا كان لهذه الأشعة هذا الفتك ، فما الذى يحمينا منها ؟ فأقول انه الهواء ، يمتص الكثير منها كلما طال سفرها فيه ، ولذلك يصعد الباحثون عنها فى الجبال وفى المناطيد ليبحثوها وهى أكثر تركزا منها على سطح الارض

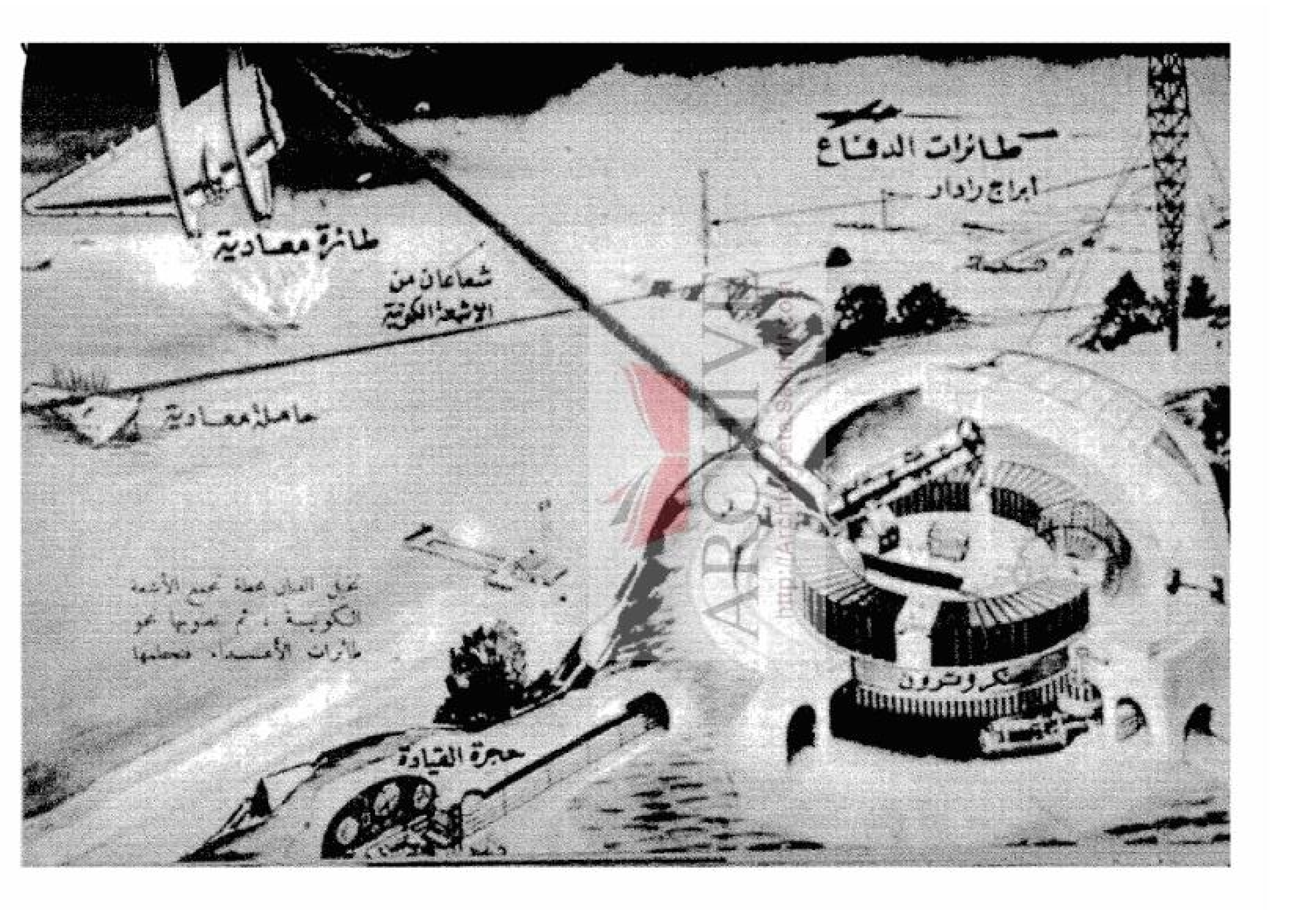
ومن هؤلاء الباحثين جماعة تعرف بجماعة « البرج الأبيض » ، ستخرج الى جبل « ماك كنلى » بألاسكا ، وارتفاعه ٢٠٫٢٧٠ قدما ، لتبحث هذه الأشعة هناك . ورئيس هذه البعثة العلمية اسمه « برادفورد واشبورن » ، وهو يجمع الى علمه مرانا طويلا على تسلق الجبال ، وهو يعرف هذا الجبل معرفة بيتيسكن فيه ، فقد سبق أن ذهب اليه فى رحلة حربية عام ١٩٤٢

واسموها بعثة « البرج الأبيض » لما سيعترضها فى الجبل من أبراج من الثلوج بيضاء ، تسبب للمتسلق العناء ، وتحمله على تفتيق الحيل

وستعين البعثة طائرات تحمل العتاد والأجهزة ثم تسقطها « بالباراشوت » ، حيث تودها البعثة فى الجبل ، وعلى أى ارتفاع توده

والمعروف أن روسيا بحثت وتبحث هذه الأشعة ، ولكن ليس من يدرى بأى النتائج خرجت . فهنا سر لا أمل فى نشره أو افشائه

والفرق لاشك واضح بين البحوث التى تكشف عن وجود الأشعة ، وبحوث تغلب لهذه الأشعة نفعا ، وللانسان بها انتفاعا . وقد فرغ العلماء من المرحلة الأولى . ولكن المرحلة الثانية هى التى نرجو التوفيق فيها


طائرات الدفاع
ابراج رادار
طائرة معادية
شعاعان من
الأشعة الكونية
حاملة معادية
محطة تجميع الأشعة
الكونية ، ثم توجيهها نحو
طائرات الأعداء فتحطمها
حجرة القيادة
سيكروترون

دراسة نفسية لمناسبة ما يذاع عن مقدرة «آفاك» على علاج بعض المرضى وشفائهم مما يشكون من علل عصبية وأمراض نفسية

الشفاء بالأيحاء ..

بين الأفاكية والمزمرية

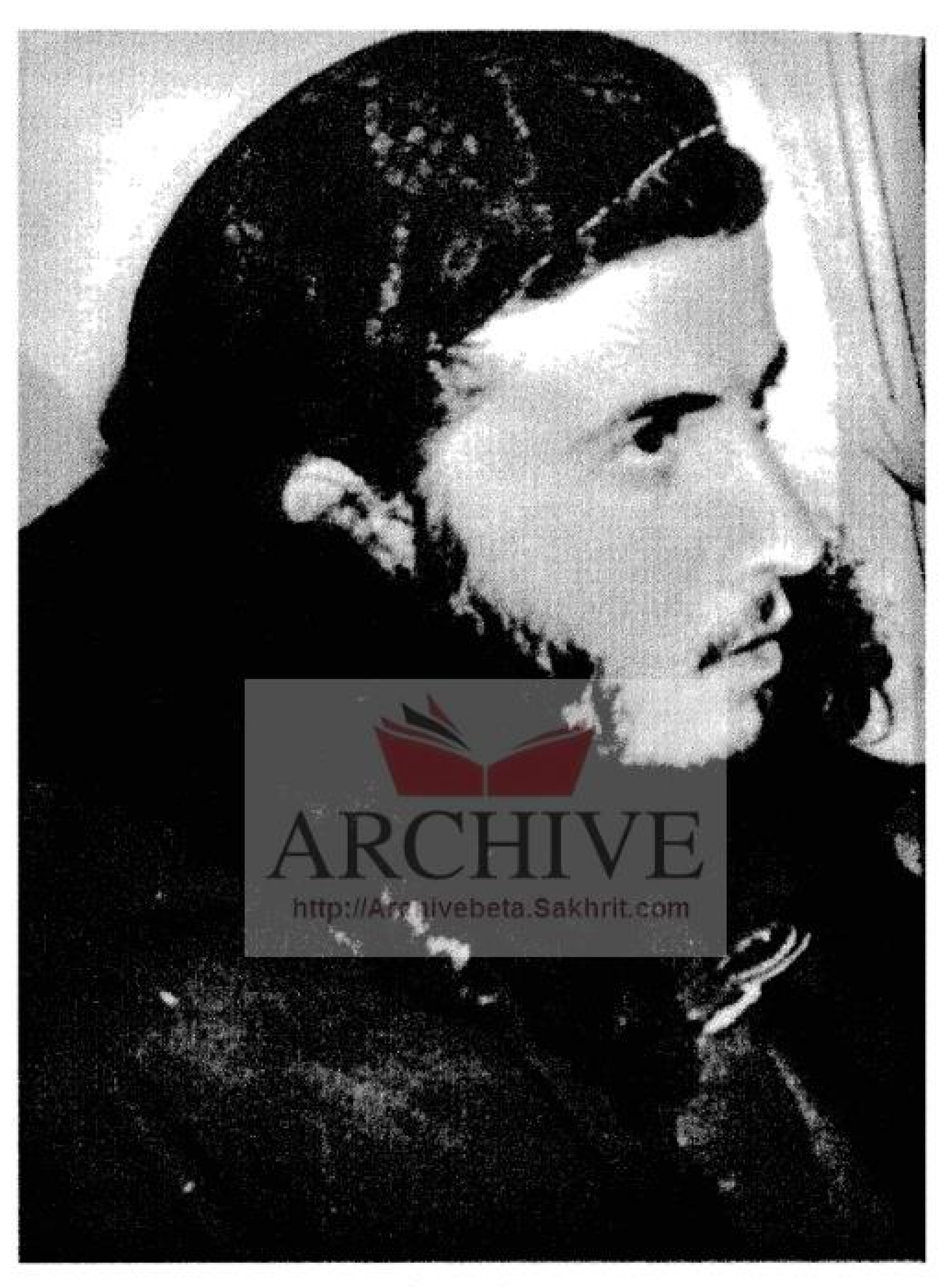
بقلم الدكتور كامل يعقوب

أما « الأفاكية » ، فهى نسبة الى « آفاك هوجوبيان » ذلك الشاب الارمنى ، الذى حضر الى مصر منذ أسابيع على متن احدى الطائرات ، فذهب لاستقباله البطريرك سرونيان ، وركع بعض الأرمن على الأرض احتراما للقائه . وكان الناس قد سمعوا عن معجزاته فى شفاء المرضى ، فى طهران ، وبغداد ، ودمشق ، والقدس ، فهرعوا اليه أفواجا تحت جنح الليل ، يلتمسون منه البركة لا نفسهم والشفاء لمرضاهم

•

وأما « المزمرية » ، فهى نسبة الى الأستاذ الألمانى « أنطون مزمر » Anton Mesmer الذى درس العلوم والفلسفة والطب، وكان يقيم فى «فينا» فى القرن الثامن عشر . وحدث أن سمع « مزمر » فى يوم من الأيام أن مريضا بداء باطنى مزمن قد شفى بعد أن مر أحد الناس بقطعة من المغنطيس فوق جسمه ، وما كاد يسمع هذا الخبر حتى أراد أن يحققه بنفسه ، فاستحضر قطعة مماثلة ، وأخذ يمر بها بيده فوق أجسام المرضى ، فسرعان ما كان البعض منهم يزايله المرض ، ويأخذ فى أسباب التحسن والشفاء . ثم ذاع الخبر بين الناس وأقبلت جموعهم تلتمس منه العلاج ، فكان يدخلهم فى صالة فسيحة الأرجاء ، ويجعلهم يجلسون فى أوان مملوءة بالماء المغنطس ، ويمشى هو بتؤدة ووقار بين صفوفهم بجلبابه الطويل وقبعته العالية ، ويمسك بيده عصا سحرية ، ثم يذيع بين المرضى أرق الالحان وأعذبها ، يخرجها لهم من آلات موسيقية غير منظورة

ولم يكن « مزمر » دعيا أو دجالا، بل كان على النقيض من ذلك محبا للعلم وشغوفا بالبحث ، لذلك أخذ يفكر فى سر هذه الظاهرة الغريبة، وكيفية شفاء المرضى بوساطتها . وعزا كل هذا الى وجود نوع من السائل أو التيار أو القوة الخفية التى تندفع من جسمه



قد يكون « آفاك » أفاكا ، وقد يكون مزوداً بقوة إيحائية نادرة . . والعلم لا ينكر اليوم ما للايحاء من قدرة على شفاء بعض العلل النفسية والأمراض العصبية

وتخترق المغنطيس ، ثم تنفذ الى جسم المريض فتشفيه . ولكنه وجد بعد ذلك انه يمكنه أن يحدث نفس التأثير في المريض ، دون الاستعانة بقطعة المغنطيس ، ولذلك أصبح يعتقد بأن هذا السائل الذى أطلق عليه وقتئذ اسم « السائل الحيوى » انما ينبعث من مخه ومن أعصابه الى جسم المريض مباشرة

وكانت تقيم فى « فينا » ، فى ذلك الوقت الذى كان يعيش فيه ، نابغة الموسيقى « موزار » Mozart ، فتاة فقيرة فى العقد الثانى من عمرها تدعى ماريا تيريزا Maria Theresa وكانت هذه الفتاة مصابة منذ الصغر بنوع من العمى يمكننا تشخيصه الآن على ضوء العلم الحديث بالعمى الهستيرى ، ولكنها كانت بالرغم من عماها تعتبر أعجوبة فى العزف على البيان ، وفكر « مزمر » فى علاجها بطريقته الحديثة ، فاستجابت الفتاة للعلاج ، وبدأت ترى الضوء ، ثم ترى الأشباح ، ثم تميزها ، ولكن الفتاة المسكينة أخذت فى الوقت نفسه تفقد موهبتها الموسيقية ، لأنها كانت تعتمد فى عزفها على حاسة السمع واللمس وحدهما ، فلما ارتدت اليها حاسة البصر وبدأت ترى مفاتيح البيان بعينيها ، اضطربت وشعرت كأنها فى حاجة الى الدرس من جديد . ولاحظ ذلك أبوها ، وكان لفقره يعتمد على موهبتها الموسيقية فى تحصيل خبزه اليومى ، فانتزعها رغم توسلها وبكائها من بين يدى « مزمر » ، وذهب بها بعيدا عنه ، حيث عاد اليها عماها كما عاد اليها نبوغها فى الموسيقى

●

ثم أخذ « مزمر » بعد ذلك فى نشر الفصول والرسائل عن هذه المشاهدات والتجارب فى المجلات العلمية . وذاعت أنباء هذه الظاهرة الجديدة فى أوربا ، وأطلق عليها اسم « الظاهرة المزمرية »

ووصل خبر هذا العلاج المزمرى أخيرا الى علم طبيب انجليزى يدعى الدكتور « جون اليوتسون » John Elliotson استاذ الأمراض الباطنية فى المستشفى الجامعى بلندن . وكان العلاج الطبى فى ذلك العهد متأخرا ، وكانت الجراحة نوعا من الجزارة ، والعمليات تعمل دون تعقيم أو تخدير ، فكان الجراح يكتفى بأن يسقى المريض كمية من الخمر ليسكره ، ثم يربطه بالحبال فوق طاولة العمليات لكى لا يتحرك فى أثناء العملية . ولذلك فكر الدكتور « اليوتسون » فى أن هذه الطريقة الحديثة قد تفتح آفاقا جديدة فى فن التطبيب والتخدير

كان « اليوتسون » طبيبا مجدا فى عمله ، ميالا للبحث والابتكار ، ومحبوبا من تلاميذه ، ومحسودا من زملائه . وكان بطبيعته ثائرا على التقاليد . فهو أول طبيب فى ذلك العصر تجرأ

على حلاقة جزء من لحيته ، وهو أول طبيب تجرأ على لبس البنطلون العادي الطويل، بدلا من ذلك البنطلون التقليدي الذي شبه بنطلون الركوب، وبدلا من الجوارب الحريرية التي كانت تصل الى الركبتين . وأثار عمله هذا سخط زملائه في الكلية ، واعتبروه بدعة من البدع التي تستحق اللوم والمؤاخذة . وكان مجددا كذلك في وسائل التشخيص والعلاج . فكان أول طبيب في لندن يستعمل ذلك السماع الصدري (السماعة) الذي اخترعه «ليتيك» Laennec الفرنسي. وكان هذا المسماع ، في بدء ظهوره ، عبارة عن ماسورة مجوفة من الخشب. وكان «اليوتسون» يضع أحد طرفيها على أذنه ، والطرف الآخر على صدر المريض ، لكي يستمع الى دقات قلبه وأصوات صدره ، ولما رآه زملاؤه يعمل ذلك للمرة الأولى ارتفعت حواجبهم من أثر الدهشة ، واغرورقت عيونهم من كثرة الضحك، وقالوا : « لم يبق الا لعب الاطفال هذه ليستعملها في الكشف على المرضى » . وكان زملاؤه يسخرون منه أيضا ويتندرون به ، لانه كان يستعمل في العلاج جرعا كبيرة من الأدوية بدلا من تلك الجرع الصغيرة التي كان يراها عديمة التأثير، فكنت تسمع زميلا منهم يقول لزميله : « يمكنك أن تتساهل وتسمح لاليوتسون بأن يقوم بتشخيص المرض ، ولكن حذار ان تترك له علاج المريض ، والا أعطاه جرعة من الدواء تكفى لقتل حصان »

وبدأ هذا الرجل المجدد الموثب يقوم بتجربة العلاج المزمري ، وسط هذا الجو ، وفي المستشفى الجامعي . وكان بين المرضى الذين تباشر علاجهم في القسم الخاص به فتاة مصروعه تدعى « اليزابث » . فكان يتناول كوبا من الماء ويغمس فيه أصبعا من أصابع يده، ثم يعطيه للفتاة لتشربه ، فاذا بجسمها يتخشب ويعتريها سبات . وكان اذا أراد مضاعفة القوة المزمرية في الماء غمس فيه أصبعين أو اكثر أو قبضة اليد كلها

●

ثم أخذ يستصحب « اليزابث » معه عند مروره على المرضى ، ومنهم المصاب بالشلل أو الروماتزم أو السل أو الكوريا ، فكان يعطي الفتاة جنيها من الذهب لتضعه في يد أحد المرضى ، فيستغرق هذا المريض في سبات عميق يصحو منه وهو أحسن حالا وأوفر صحة. وكان في حالات أخرى يستبدل الجنيه الذهبي بقطعة من الفضة أو النيكل ، فكان يحصل على نفس النتيجة بدرجات متفاوتة . ثم أخذ يعتقد ، بعد عدة تجارب ، أن هناك أرستقراطية «مزمرية » بين المعادن ، وان الذهب ــ ذلك المعدن النفيس ــ هو أحسن استقبالا واسرع توصيلا للمزمرة من

الفضة ، وان الفضة أفضل فى هـذا الشأن من النيكل

●

ولما اطمأن الدكتور «اليوتسون» أخيرا الى نجاح هذا العلاج،أخذ يذيع أبحاثه وتجاربه بصفة علنية فى قاعة المحاضرات الكبرى بالمستشفى الجامعى، وكان يدعو ، عـدا الطلبة ، رجـال الطب والأدب ، وعظماء النـاس ، واللوردات ، وسفراء الدول ، فكان بعضهم يتولاه العجب مما يشاهده ، والبعض يتبرع بالمال لمواصلة هـذا البحث خدمة للانسانية

وكان بين المعجبين بهذه المحاضرات والمواظبين عـلى حضورها « شـارلز ديكنز » Charles Dickens الروائى الأنجليزى الذائع الصيت، فاستهوت هذه الطريقة خياله الخصب ، وأخـذ يتردد على الدكتور « اليوتسون » فى منزله ، فكان الأخـير يستبقيه معه لتناول ألوان الطعام الشهى وتبادل أطراف الحديث المزمرى . وبلغ من اهتمام « ديكنز » بهذا العلاج وتحمسه له أن أخذ هو أيضا يمارسه بنفسه على بعض المرضى من معارفه

وكان «لديكنز» صديق سويسرى، وكانت زوجة هـذا الصديق عرضـة لنوبات عصبية متكررة . فكان «ديكنز» يتردد على منزلها فى كل يوم ليعالجها بهذه الطريقة الحديثة . وفى يوم من الايام أقبل هذا الصديق ، وهـو فى حالة ذعر شديد ، ليوقظ « ديكنز » فى الساعة الأولى صباحا ، ويخبره بأن زوجته تعانى أروع الآلام ، وان عضلاتها قد تقلصت ، وان جسمها قد تكور . واسرع « ديكنز » الى منزل صديقه السويسرى وأخذ يربت بيـده جسم الزوجـة ، ويهمس فى أذنيهـا كلمات مهدئة، حتى تراخت عضلاتها، وهدأت نفسها ، واستسلمت للنعاس

اما زوجة « ديكنز » فقد ضـاقت ذرعا بهذه الزيارات المتكررة، وعجبت لأمر هذا العلاج الغريب الذى يتطلب من زوجها أن يغادر منزله بعد منتصف الليـل ليربت بيـده جسم الزوجـة السويسرية الحسناء ، ويهمس فى أذنيها أعذب الأحاديث ، ولم تجد أى فرق بين هذا العلاج المزمرى وبين الوقوع فى الحب . ولذلك أخذت تكيل التهم لزوجها من جانب، وللزوجة السويسرية من جانب آخر ، وتتهمها بأنها انما تدعى هذا المرض لكى تنتزع زوجها من فراشه ، ليذهب اليها ، ويغازلها، ويربت جسدها العارى . وعبثا حاول « ديكنز » ان يقنع زوجته بأن الأمر أهون من ذلك وليس فيه شىء من الحب الآثم ، وانما هو مجرد « مزمرة » . ولكن الزوجة سخرت منه ومن مزمرته وساءت العـلاقات بينهما بسبب ذلك زمنا طويلا ، ولم تعد المياه الى مجاريها بين الزوجة الانجليزية والسـويسرية الا بعد مرور تسع سنوات

وفى ذلك العصر نفسه كان قد نبغ فى الاوساط الطبية فى لندن اسطبيب باسىء يفيض نشاطا وجرأة واقداما ، هو الدكتور « توماس واكلى » Thomas Wakley . بدأ حياته الطبية بفتح عيادة فى أحد أحياء لندن ، ولكن النار التهمتها عن آخرها ، فانصرف عن مهنة الطب الى الصحافة ، وانشأ مجلة طبية أسبوعية سماها « اللانسب » The Lancet أى «المبضع» . ونجحت هذه المجلة نجاحا منقطع النظير منذ صدور العدد الأول ، ولا زالت تصدر حتى الآن فى كل أسبوع

وكان « واكلى » يقوم بنشر الاخبار الطبية والمحاضرات العلمية فى مجلته تباعا ، وكان رجال الطب يتسابقون لنشر مقالاتهم وابحاثهم فيها ، ولكنه فى الوقت نفسه كان لا يتأخر عن توجيه اللوم القارص والانتقاد العنيف لمن يراه مقصرا فى واجبه من الأطباء ، وخصوصا المشهورين منهم واساتذة الجامعات . فكان يصف هذا الطبيب بالجهل وعدم التبصر ، وهذا الجراح بالكلفتة وعدم التحرز . وكثيرا ماكان يحضر بنفسه المحاضرات التعليمية ، والعمليات الجراحية ، ويشهد مرور الاساتذة مع الطلبة فى غرف المرضى . وكان اذا فكر طبيب ما فى مقاضاته أمام المحاكم وطلب تعويضا منه كما كان يحدث مرارا ، كان « واكلى » يذهب للدفاع عن نفسه ، ومعه الكثير من الأدلة والمستندات والشهود . وكان فى سبيل النقد لا يرحم صغيرا ولا توقر كبيرا ، فكان يقول مثلا عن « السير هنرى هلفورد » Sir Henry Halford رئيس كلية الاطباء الملكية فى ذلك الوقت ما يأتى : « ان نفوذ هذا الرجل قد بدأ يتلاشى . وان أنفه الأملس الزلق الذى اعتاد ان يحشره فى كل صغيرة وكبيرة من شئون الطب قد أصيب أخيرا بفرصات عنيفة مؤلمة » . ووصف ذات مرة احدى حفلات هذه الكلية العظيمة الشأن بقوله « ان الحفلة اقتصرت على لغو الكلام المعتاد ، وانتهت بالتهريج الفكاهى ، وذكرتها الجرائد فى الأعمدة الخاصة بأخبار المسارح » وحدث مرة فى ذلك العهد ان كان « اللورد جون رسل » Lord John Russel يقوم بمهمة تقديم الجوائز الى الطلبة المتفوقين فى جامعة لندن ، فكتب « واكلى » فى « اللانست » يقول : « اننا نخطىء كثيرا اذا قلنا ان الجوائز قدمت للطلبة . لان صاحب اللوردية لم يضع أية جائزة فى يد أى طالب . وانما هو كان يقوم متثاقلا وينظر نظرات تائهة فى اتجاه الطالب . ثم يرعش فكه الأسفل ، ويتمتم ببعض كلمات متقطعة غير مفهومة ، ثم يضع الجائزة فى منتصف المسافة التى بينه وبين الطالب . وأخيرا يقعد على كرسيه دون ان يتنازل بمصافحته »

●

وفى ذلك الوقت الذى أصبحت فيه مجلة « اللانست » ذات نفوذ وسلطان فى العالم الطبى ، وأصبح فيه صاحبها عضوا بارزا فى البرلمان الانجليزى ، كان الدكتور « اليوتسون » يجول ويصول فى قاعة المحاضرات من وقت لآخر ومعه الفتاة «اليزابث» .ونشرت مجلة « اللانست » فى بادىء الامر فصلا عن هذا العلاج الجديد ، دون أن تتناوله بالنقد أو التحبيذ ، وانما تركت فرصة من الوقت تكفى للتجربة واصدار الحكم المتزن فيما بعد . ولكن لما صرح الدكتور « اليوتسون » بان المعادن نفسها تتأثر تأثرا مختلفا وجد صاحب « اللانست » الفرصة مواتية للقيام بتحقيق صحفى علمى ، خصوصا وان المعادن لايمكنها أن تخدعنا كما تخدعنا الحواس . وذهب من فوره الى الدكتور « اليوتسون » يطلب منه البرهان . ورحب الأخير بهذه الفكرة وشرع فى القيام بتجربة علنية كعادته فى قاعة المحاضرات الكبرى

وازدحمت القاعة على سعتها بالمئات من الاطباء والعلماء والادباء والطلبة وغيرهم ، ووقفت الفتاة « اليزابث » أمام هذا الجمع المحتشد . ثم أعطى الدكتور « اليوتسون » لزميله صاحب « اللانست » قطعتين من المعدن ، احداهما من النيكل ، والاخرى من الرصاص . وأعلن فى الوقت نفسه انه اذا وضع قطعة النيكل فى يد الفتاة يصيبها التخشب والسبات فى الحال ، أما اذا وضع قطعة الرصاص فلايصيبها شيء من ذلك . وعزا السبب فى هذا الى أن النيكل يمكنه ان يستقبل القوة « المزمرية » من يده ، ويحتفظ بها حتى يوصلها الى يد الفتاة . اما الرصاص فلا يستطيع ذلك

وكان السكون يخيم على جميع الحاضرين فى انتظار هذه النتيجة الحاسمة . وتقدم صاحب «اللانست» من الفتاة ، وهو يضمر فى نفسه خدعة صغيرة للكشف عن الحقيقة ، ثم وضع فى يدها قطعة الرصاص ، وقال على مسمع منها انها قطعة النيكل . وفى الحال تخشب جسم الفتاة وأصيبت بالتشنج والسبات . وابتسم الدكتور « اليوتسون » ابتسامة المنتصر الظافر ظنا منه ان التجربة قد نجحت . اما صاحب « اللانست » فقد تجهم وجهه وقال يخاطب اليوتسون : « ها هى قطعة النيكل فى يدى أما قطعة الرصاص فاذهب وابحث عنها فى يد مريضتك » . وذهل الرجل لهذه المفاجأة التى لم يكن يتوقعها وأراد أن يعيد التجربة . ولكن « واكلى » خرج غاضبا وقصد توا الى ادارة مجلته ليصف هذا العمل بأنه مبنى على الوهم والخداع ، وليدق بيده آخر مسمار فى نعش المزمرية

●

واجتمع بعد ذلك مجلس ادارة المستشفى الجامعى بلندن ، وطلب من

الدكتور «اليوتسون» ان يخرج الفتاة اليزابث من المستشفى، وان يكف عن تجاربه ومحاضراته العلنية ، حرصا على سمعة المستشفى ، ولكن الرجل الذى لم يكن يقصد فى الحقيقة سوى خدمة العلم ثار لكرامته ، واستقال من عمله

ومات صاحب مجلة « اللانست »
ومات الدكتور « اليوتسون » نفسه ومات جميع الأطباء فى ذلك العصر، ان المسألة ليست مسألة جنيه من الذهب أو شلن من الفضة ، وليست مسألة قطعة من النيكل وأخرى من الرصاص، وانما هى قبل كل شىء مسألة « ايحاء ذهنى»، ولو فطنوا الى ذلك فى حينه لما تأخر ظهور علم النفس وعلم التحليل النفسى فى العالم حتى أوائل القرن العشرين ، أى ما يقرب من المائة عام

●

وها نحن نسمع أن « آفاك » قد ركب الجو أخيرا الى أمريكا لأن ملك النيبال هناك قد استدعاه ليشفى ابنته الوحيد من المرض ، بعد ان عجز الطب عن شفائه ، ثم تأتينا الاخبار من « كاليفورنيا » بأن جماهير الناس قد بدأت تحج اليه من أقاصى البلاد، حتى اكتظت بهم المدينة واضطروا أخيرا الى المبيت على ارصفة الشوارع، وفى عربات البضائع والسيارات ، مما أدى بالسلطات المحلية هناك الى اتخاذ اجراءات جديدة ، محافظة على الحالة الصحية فى المدينة

وقد يكون « آفاك » أفاكا ، وقد يكون مزودا بقوة « مزمرية » اذا استعملنا لغة الماضى ، أو بقوة ايحائية نادرة اذا استعملنا لغة القرن الحاضر .

ولكن الذى يجب أن نعلمه ونقرره هو أن هذه القوة الايحائية ، أيا كانت ، لا ترضخ على الدوام للامتحان والتجربة، فهى قد تنجح فى حالة وتخفق فى حالة أخرى . فنحن لا يمكننا ان نمتحن الظواهر النفسية فى الناس كما نمتحن المواد الكيمائية فى المعامل . ولا أن نجربها كما تجرب الآلات الميكانيكية أو الكهربائية . كما اننا لا نستطيع أن نقيس العواطف كما نقيس السوائل أو نزنها كما نزن المادن . ولذلك فانه ليس لنا ان نقول لمثل هذا الرجل : عليك بشفاء هذا المريض المضطرب الأعصاب والا فأنت دجال ومخادع . كما فعلوا قديما مع الفتاة «اليزابث» حين طردوها من المستشفى الجامعى بلندن ، ونصحوها بأن تقوم بأدوارها على خشبة المسارح

ان العلاج الايحائى قد ينجح فى بعض الامراض النفسية واضطرابات الجسم الوظيفية ، وهو يحتاج الى ظروف خاصة من الزمان والمكان والاشخاص . ويحتاج قبل كل شىء الى « الايمان » . ذلك السائل الحيوى الذى يصنع المعجزات

كامل يعقوب

عذراء فى حياة صوفى

بقلم الدكتور أبو العلا عفيفى

أستاذ الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول

« ست عذراء ، طفيلة هيفاء ، تزين المحاضر وتحير الناظر . من العابدات العالمات السائحات الزاهدات، ساحرة الطرف، عراقية الظرف، ان أسهبت اتعبت ، وان أوجزت أعجزت ، وان أفصحت أوضحت ..

مسكنها جياد، وبيتها من القلب السواد ، ومن الصدر الفؤاد . أشرقت بها تهامة . وفتح الروض لمجاورتها أكمامه .. عليها مسحة ملك وهمة ملك . فراعينا فى صحبتها كريم ذاتها ، وقلدناها من نظمنا فى هذا الكتاب أحسن القلائد بلسان النسيب الرائق ، وعبارات الغزل اللائق . ولم أبلغ فى ذلك بعض ماتجده النفس، ويثيره الأنس ، من كريم ودها ، وقديم عهدها ، ولطافة معناها ، وطهارة مغناها .. فأعربت عن نفس تواقة، ونبهت على ماعندنا من العلاقة . فكل اسم أدعو فعنها أكنى ، وكل دار أندبها فدارها أعنى »

الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي: أعظم شخصية فى التصوف الفلسفى شهدها العالم الاسلامى توفى سنة ٦٣٨ هـ

هذه هى الحسناء التى ملكت زمام قلب ابن عربى ، وهو فى سن هدأت فيها ثورة الشباب الجامح ، وقال فيها هذا الذى قال . ومن الغريب حقا ان يكون لأية امرأة مكان فى قلب صوفى، بل من التناقض المنطقى ان تدخل أية امرأة الى الساحة المقدسة التى لا يرى فيها الصوفى المخلص فى تصوفه غير صورة معبوده، أو يخطر بها خاطر لا يتصل بذلك المعبود الذى هو غاية الصوفى ومنتهى مطلوبه . فكيف وقع هذا ؟

فى سنة ٥٩٨ هـ خرج الشيخ محيى الدين بن عربى الاندلسى المرسى من بلاده الى المشرق، حاجا على ماكانت عليه عادة أتقياء المسلمين من أهل الاندلس وبلاد المغرب . وأغلب الظن انه كان ينتوى بعد قضاء الحج الاقامة فى بلد من بلاد الشرق يستطيع ان يتنفس فيه نسيم الحرية العقلية . ويفر بنفسه من ذلك الجو الخانق الذى تلبدت به


ادن بدين الحب أنى توجهت
ركائبه : فالحب ديني وايماني

سماء بلاده ، حيث الفتن والقلاقل السياسية والدينية على أشدها ، وحيث الكراهية البالغة لكل مناحى التفكير الحر فى ميدان الفلسفة والتصوف . لقد برم أهل الاندلس وبلاد المغرب فى عصره ، حتى بكتب الغزالى التى أحرقوها علانية فى الأسواق، وتأثروا كل من اشتغل بها دراسة أو تدريسا، وقتلوا كبار مشايخ الصوفية من أصحاب المذهب الجديد ، وشردوهم ونكلوا بهم أشد التنكيل

من تلك البيئة الصاخبة التى لا طمأنينة فيها لعقل أو روح ، هرب ابن عربى موليا وجهه شطر المشرق، وبصحبته خادمه الأمين ومريده الشيخ عبد الله الحبشى ، وكانت سنه اذ ذاك ٣٨ سنة . ولكنه لم يدر بخلده عندئذ ان هذه السفرة ستكون مرحلة حاسمة فى تاريخ حياته ، أو أنها ستصبح فاتحة عهد جديد لحياة روحية خصبة ، يتدفق منها سيل لم يعهد تاريخ الاسلام له مثيلا من الانتاج العقلى والصوفى الحر . ولم يدر بخلده اذ ذاك ان سفرته هذه ستكون الصفحة الاولى فى سفر حياة مليئة بالاحداث والمغامرات

ورد ابن عربى على مصر سنة ٥٩٨ هـ فلم تحسن وفادته ، ولم يطل مقامه بها ، فغادرها وطوف ببلاد أخرى كثيرة من بلاد الشرق ، فزار مكة فى السنة عينها وقضى بها مناسك الحج ، وجاور فيها وعلم ، وزار بيت المقدس وبغداد وحلب وبعض مدن آسيا الصغرى . وأخيرا ألقى عصا التسيار بدمشق التى أقام بها حتى مات سنة ٦٣٨ هـ

وفى مكة تمكنت الصداقة والصحبة بين ابن عربى وبين الشيخ مكين الدين أبى شجاع بن رستم المقيم بها ، وسمع عليه كتاب أبى عيسى الترمذى فى الحديث . وكان للشيخ مكين الدين هذا بنت على حظ وافر من الجمال والتقوى اسمها « النظام » ولقبها « عين الشمس والبهاء » . فلما وقع نظر ابن عربى عليها خر صريع جمالها وكتب ديوانه المعروف «بترجمان الاشواق» فلم يتحرج فى مقدمته عن الاسهاب فى وصف محاسنها الخلقية والخلقية بالقطعة التى اقتبستها ، وعن الافصاح عن حبه لها وبث لواعج الشوق اليها

□

ليس من شك فى أن ابن عربى قد وجد لابنة مكين الدين مكانا فى قلبه، وليس هناك من شك فى أنه هام بها حبا ، وافتتن بجمالها افتتانا ، وهو الصوفى الصادق فى تصوفه ، والورع الذى لا جدال فى ورعه ، والمحب الالهى الذى تفانى فى حبه لربه . فما هذا التناقض اذن ؟ وهل يتسع قلب لحب الخالق والمخلوق ؟ وهل لصوفى ان يجمع بين الحادث والقديم ، والحب الانسانى والحب الالهى فى قلب واحد؟

الحق ان لا تناقض ولا تعارض ، اذا وقفنا على شيء من مذهب ابن عربي في الوجود وحقيقته ، والله وماهيته ، واذا عرفنا شيئا عن نظريته في الحب الالهي

□

قد يبذل الكتاب الجهود في تحليل عبارات الشعراء الصوفيين ، الذين تغنوا بأناشيد الحب الالهي، واصطنعوا أساليب الحب والمحبين ، أو وصفوا الخمر الالهية وكؤوسها ، والسكر ولذاته ، والصحو وتبريحاته ، ليقفوا على جلية الامر في الشعر الصوفي الذي لا يكاد يختلف في لغته وأخيلته ومعانيه عن شعر الشعراء الغزلين الذين يصورون الحب الانساني . وقد ينفق الباحثون السنين الطوال في دراسة تاريخ صوفي كابن الفارض ، علهم يجدون في هذا التاريخ فترة نعم فيها الشاعر أو شقي بحب انساني لا يزالون يجدون صداه حتى في تائيته الكبرى وخمرياته ، يقوم الكتاب والنقاد بكل ذلك ليضعوا الامر في نصابه، وليحتفظوا للشعر الصوفي بقدسيته وسموه ، ويفرقوا بين الشعر المادي المنبعث عن عوامل الشهوة والهوى وبين الشعر الصوفي الخالص . ولكن الأمر في مسألة ابن عربي أهون من كل ذلك وأيسر بكثير . قد كفانا ابن عربي مؤونة البحث والتنقيب في تاريخ حياته لمعرفة ما اذا كانت له مغامرات حب انساني سابقة على حبه الالهي ، فانه يعترف صراحة بحبه للنظام، ابنة الشيخ مكين الدين، فلم يبق الا ان نتساءل: هل ديوان « ترجمان الاشواق » مجموعة من قصائد الغزل والتشبيب بهذه الغادة الهيفاء ؟ أم انه شعر حب الهي خالص ؟ واذا كان الاخير فما صلة محبوبة ابن عربي بالحب الالهي ؟

الجواب عن ذلك ان حب ابن عربي للنظام لم يكن حبا شهويا حسيا ، وانما كان حبا عذريا خالصا . وأغلب الظن انه لم يرها أكثر من مرة أو مرتين بصحبة عمتها المسنة التي كان يستمع الى أدبها وحديثها . أو بصحبة أبيها الذي كان يحضر مجالسه. ولكنه رأى في « نظام » صورة جميلة رائعة، تتجلى فيها كل معاني صفات الجمال الحسي والمعنوي ، ولما كان ابن عربي ممن يدينون بوحدة الوجود ، وانه لا فرق ـ الا في الاعتبار ـ بين الحق الخالق والعالم المخلوق ، وان الكثرة مهما تعددت صفاتها وأشكالها ، فان مردها جميعا الى الوحدة التي تسمو على الصفات والاشكال ، وان « الحق » هو الوجود المطلق الظاهر في كل شيء بصورة ذلك الشيء ، والجمال المطلق المحبوب في كل صورة ، والمعبود المطلق المقدس في قلب كل عابد . ولما كان، فوق كل هذا وذاك ، يعتقد ان أعظم مجلى لله وأكمل صورة له هو «الانسان». أقول لما كان كل ذلك ، وجد ابن عربي في

تلك الصورة الانسانية الحسناء مجلى من مجالى الجمال المطلق الذى يتعشقه ويعبده ويقدسه ، وألفى لها مكانا من قلبه ــ لا من حيث هى امرأة يعشق جمالها الحسى الفانى ، ولا من حيث هى موضع لشهوة أو هوى ــ بل من حيث هى رمز لذلك الجمال الشامل المتجلى فيها فى صور كاملة ، وفى غيرها فى صورة أقل جمالا . فاذا بثها حبه وشوقه فانما يتجه بحبه وشوقه الى الذات الالهية التى هى رمز لها . واذا وصفها بما يصف به الغزلون من الشعراء محبوباتهم فانما يصف ذلك الرمز مكنيا به عن الحقيقة الكلية التى وراءه . فالرمز لا يعنيه بقدر ما يعنيه المرموز اليه ، والصورة الحسية التى يتغزل فيها لا تعنيه بقدر ما يعنيه جوهرها . ولهذا كانت لغة « ترجمان الاشواق » رمزية اصطلاحية يجب تأويلها وصرفها عن ظاهرها . وذلك ما فعله ابن عربى نفسه بكتابه لما أنكر عليه بعض فقهاء حلب ما ذكره فيه ، فكتب للترجمان شرحا سماه « ذخائر الاعلاق فى شرح ترجمان الاشواق »

لم تكن حسناء مكة اذن سوى واحدة من صور الجمال اللانهائى التى وسعها قلب ابن عربى وأحبها وقدسها بل وعبدها ، لا من حيث نفسها ، بل من حيث هى رموز ومجال للذات الالهية الواحدة المحبوبة على الاطلاق ، لأن المحبوب عنده واحد مهما تعددت مجاليه ، والجميل واحد مهما تعددت صوره ، والمعبود واحد مهما اختلفت أشكاله ، وفى هذا المعنى يقول :

لقد صار قلبى قابلا كل صورة
فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف
وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت
ركائبه : فالحب دينى وايمانى

□

على أننى لا يخامرنى شك فى أن تلك الحسناء الفاتنة التى أدخلها القدر فى حياة ابن عربى ، كانت مصدر الهامه وابداعه فى قصائد « ترجمان الأشواق » الذى يحتوى أجمل شعر صوفى كتبه ، والذى يفوق فى جماله وروعته الكثير من شعر ابن الفارض المتكلف المصطنع ، المثقل بالمحسنات البديعية المعقدة . يصدر ابن عربى عن فيض شعور غامر يصبه فى قوالب من الشعر الرقيق الذى لا يعرف تصنعا ولا صناعة . أما ابن الفارض فمشغول على الدوام بصناعة الالفاظ وهندسة الأساليب ، فاذا خرجت من قصيدة له بمعنى ، كان ذلك المعنى مرهقا فاترا متعثرا . ولا يخامرنى شك أيضا فى أن ابن عربى رمز بذلك الجمال المحسوس الى الجمال المطلق المعقول ، واتخذ من صورة انسانية جزئية مرآة يرى فيها معنى من معانى الجمال الكلى ، فقال ما قال فى الحب الالهى

وعينه مستقرة على صورة محبوبته ، ولكن قلبه مشغول معلق بحب صاحب الصورة «الله» . وماذا يضير الصوفى لو انتقل من عالم الأرض الى عالم السماء ، واتخذ من المحسوس سلما يصعد به الى المعقول . بل ماذا يضير الفنان ان يقرأ فى جمال زهرة من الازهار سر جمال الوجود والألوهية؟ والموسيقى أن يوحى اليه صوت من الاصوات الطبيعية بترنيمةدينيةخالدة؟

ولكن حذار انتخلط بينالمحسوس والمعقول ، أو بين المادى والروحى ، بين ما يلهم الانتاج الفنى والانتاج الفنى نفسه . هذا عالم وذلك عالم آخر !

وقد خشى ابن عربى أن يقع ذلك الخلط فى أذهان قارئى غزلياته فقال :

كل ما أذكره من طلل
أو ربوع أو مغان كل ما

. . . . .

أو بروق أو رعود أو صبا
أو رياح أو جنوب أو سما
أو نساء كاعبات نهد
طالعات كشموس أو دمى
صفة قدسية علوية
أعلمت ان لصدقى قدما
فاصرف الخاطر عنظاهرها
واطلب الباطن حتى تعلما

أبو العلا عفيفى

الإيجاز

خطب معاوية بن أبي سفيان فى يوم شديد الحر ، وكان سميناً جسيما ، ورأى ازدحام الناس فقال « الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد فان الله خلقكم ولم ينسكم ،ووعظكم فلم يهملكم ، فقال « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » ثم نزل

السلام

ما أجمل السلام وما أسعد الأمة التى يخيم عليها رواقه ، فيشتغل أبناؤها عن تجنيد الجند بتشييد أبنية العلم ، وعن اقتناء السلاح بالبحث والاكتشاف والاختراع ، ويستعيضون عن السيف بالقلم ، وعن البندقية بالمحراث ، فيتربع أبناؤها فى بحبوحة السعادة والرفاهية — كل ذلك جميل تتوق اليه النفس وتتمناه . ولكن هل من سبيل اليه ؟ [جرجى زيدان]

الزائدة الدودية

بقلم الدكتور سعيد ناصف
الجراح بمستشفى الدمرداش

هى عضو مستطيل دودى الشكل متصل بالجزء الأول من الأمعاء الغليظة المسمى بالأعور ، وتظهر فى الجنين بعد الشهر الخامس من نموه . ويتراوح طولها بين ٢ و ٢٠ سم ، وهى فى المتوسط ١٠ سم تقريبا

والتهاب الزائدة الدودية كان نادرا حتى عام ١٨٨٥ ، ولكنه أصبح فى خلال عشرين سنة أكثر أمراض البطن الحادة انتشارا ، وليس مرد هذه الزيادة الى تقدم فن الجراحة ووسائل التشخيص ، ولكن الواقع ان هناك زيادة فعلا فى عدد الاصابات بهذا المرض ، وكان أول ما كثرت الاصابات فى مدن أمريكا وبريطانيا ، ثم وقفت نسبة الاصابة به عند الحد الذى بلغته منذ سنة ١٩٠٠ ، أما فى الدانمرك واسبانيا وايطاليا فالاصابات قليلة نسبيا ، وفى كثير من بلاد آسيا وأفريقيا نادرة . وهناك من الأدلة ما يثبت انه لا علاقة بين مرض الزائدة الدودية وعوامل الطقس والجنس ، ولكنه كثير الصلة بالتغير الذى حدث فى نوع الغذاء بين الأمم الغربية والأمم التى حذت حذوها فى مضمار الحضارة ،

فقد ثبت ان مرض الزائدة له صلة وثيقة بزيادة كمية المواد الآزوتية « البروتين » فى الغذاء ، وقلة مادة السلولوز وما يتبعها من قلة حجم المواد البرازية فالمواد الآزوتية تزيد مقدار التعفن ، وقلة مادة السلولوز تؤدى الى جفاف محتويات الزائدة الدودية . وقد أجريت فى ذلك ابحاث على بعض الحيوانات ثبت منها أثر المواد الآزوتية فى التهاب الزائدة الدودية ، وان كان هناك سبب مباشر غير ما تقدم وهو غزو أنسجة الزائدة بالميكروبات

أعراض الالتهاب الحاد

١ — ألم حاد شديد فى البطن يبدأ غالبا حول السرة أو فى أعلا البطن ، ثم يتركز فى الحفرة الحرقفية اليمنى

٢ — ارتفاع فى درجة الحرارة مصحوب بقىء فى بعض الحالات

٣ — العلامات الموضعية المميزة للمرض وهذه من اختصاص الاطباء

ماذا يحدث لو تركت الزائدة الملتهبة بدون استئصال ؟

١ — قد تشفى بعض الحالات بدون جراحة ، ومن أجل ذلك يحجم بعض المرضى عن اجرائها . ولكن أمهر الجراحين لا يمكنه أن يتوقع الشفاء على هذا النحو مع عدم حدوث المضاعفات التي تحدث غالبا في كثير من عدد الحالات . فضلا عن أن الخطر من اجراء العملية يزداد كلما تأخر الوقت

والشفاء الذي يحدث بغير جراحة شفاء مؤقت، لأن جميع المرضى يتعرضون بعده لنوبات أخرى حادة، أو لالتهاب الزائدة الدودية المزمن

٢ — قد يحدث خراج حول الزائدة

٣ — قد تنفجر الزائدة الدودية ، فينشأ عن ذلك التهاب حاد بالبريتون، وهذه حالة خطيرة جدا ونسبة الوفيات فيها كثيرة . ولذلك يجب على المريض الذي يشتبه في أصابته بالتهاب الزائدة الدودية أن يستشير الطبيب وألا يتأخر عن عمل الجراحة في الحال . والى أن يحضر الطبيب يتبع ما يلي :

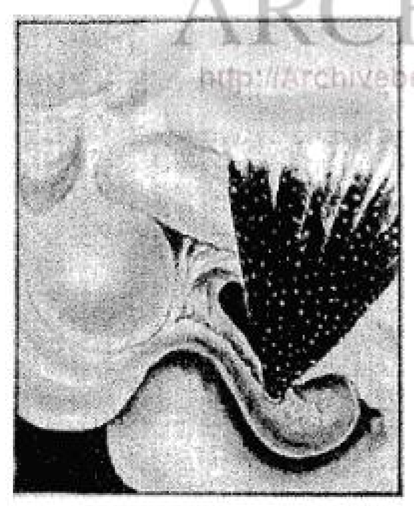
١ — عدم أخذ مسكنات للألم لأن ذلك يخفي أعراض المرض، وقد تحدث للمريض مضاعفات وتزداد خطورة العملية

٢ — عدم أخذ مسهلات أو عمل حقنة شرجية ، لأنه ربما نشأ عن ذلك انفجار في الزائدة الدودية



زائدة دودية ملتهبة يقع طرفها العلوي عند حافة الكلى اليمنى

الصورة السفلى تبين زائدة دودية انفجرت ، فتنائر منها الصديد



اتخذ من الزواج سبيلا إلى الثروة وجمع المال .. فاذا بحياته
تصبح جحيما لم يجد طريقاً إلى الفرار منه سوى الانتحار

تحت ظل الكرمة الذابلة !

بقلم السيدة أمينة السعيد

لم يعرف صاحبنا الفقر يوما .. لا ، ولم يذق طعم الثراء ، اذ كان واحدا ممن قدر عليهم ان يقفوا بين الناحيتين ، فلا يتقدموا نحو احداهما ، أو يرتدوا الى الاخرى !

وكان صاحبنا فى الواقع رجلا فريدا : طويل القامة فى قوة واستواء ، حسن الشكل برجولة وجلال . وقد وهبه الله الى جانب ذلك ذهنا صافيا ، وذكاء متقدا ، فتفوق فى دراسته ، وتعمق فى علمه ، واستفاد من الحياة قدر ما استفاد من الدرس والتحصيل ، فأتقن فن الصداقة والمعاملة ، واجتذب قلوب الأصدقاء ، فأحبوه وأخلصوا له ، وان ظلوا فى عجب من أمره ، يسائلون أنفسهم عن حقيقة المشاعر التى تختفى وراء وجهه الجامد ونظراته الثابتة

وكان الجمود يزايل وجهه أحيانا ، لتتألق مكانه تعابير خاطفة ، ما تكاد تظهر حتى تختفى ثانية وراء ستار جموده المعهود ، فتزداد حيرة الاصدقاء لهذه التعابير ، ويبذلون جهدا مضاعفا فى الاهتداء الى معانيها ، فيقول بعضهم انها عوارض صرامة دفينة ، ويفسرها البعض الآخر بجبروت مكين ، ومع ذلك فقد اتفقوا جميعا على انه رجل نبيل !

وكان خليقا بمن أوتى هذه المواهب ان يرقى ويرتفع ، ولكنه توقف عند منتصف الطريق ، بين الثراء والمجد ، وبين الفقر وخمول الذكر . ولم يكن صاحبنا ينشد فى الحياة هذا الاعتدال ، أو يرضى لنفسه مصيرا غير الثراء والجاه ، فصارع طويلا ، وجاهد كثيرا ، فما أفاده الصراع ، أو أغناه الجهاد ، وظل على حاله موظفا متوسطا ، لا يبشر مستقبله بمجد مذكور !

وكرت الأيام ، وتوالت الأعوام ، والحظ ما زال على عهده متقاعسا كسولا ، ثم بدأ الشك يداعب صاحبنا ، فخاف ان يورثه الاخفاق المتصل داء القنوع ، فتضمر آماله ، ويرضى بحاله ، ويقنع براتب لا يشبع فيه

روح الطموح ، أو يفي بمطالب اسرافه وحبه المظهور !

وانتوى صاحبنا ان يتخذ خطوه حازمة يتدارك بها الأماني قبل ان تتحطم وتزول ، ففي الحياة — لا شك — سبيل يلين الأقدار أمام عزائم الرجال . ولم يكن العبور على هذا السبيل سهلا ميسورا ، فقد سبق ان جرب سبلا كثيرة ، عاد منها جميعا صفر اليدين ، ومع ذلك فهو يعرف رجالا وصلوا الى ما يبتغيه،واستمتعوا في المجتمع بالشهرة والجاه والمال الوفير ، فأي سبيل اتخذه هؤلاء ؟!

واستعرض صاحبنا عظماء الرجال في ذهنه ، وبحث حالة كل منهم بتدقيق ، فوجد أنهم ينقسمون الى طوائف ثلاث: نجحت الأولى بمواهبها، وأفلحت الثانية بغشها وخديعتها ، وارتقت الثالثة سلم المجتمع على أكتاف النساء !

ولم تكن المواهب أمرا جديدا ، اذ سبق ان تذرع بها فخذلته ، لذلك استبعدها من ذهنه بغير تردد ، ثم راح يوازن بين السبيلين الآخرين ، فكره ان يعمد الى الغش والخديعة ، لا لأن مثله العليا تنكرهما عليه ، بل خشية ان يكبو فيفتضح ، فتنال الفضيحة من كبرياء يعتز بها !

واستقر به الرأي على النساء ، فهن وسيلة مأمونة ميسورة ، طالما رفعت رجالا من الحضيض الى السماء، فما عليه الا ان يحذو حذوهم ، ويختار لنفسه زوجة غنية ، تملأ فراغ جيبه بمالها ، فتتحقق له الأحلام ، وتتفتح في وجهه الأبواب ، وتذل أمامه الرقاب !

وكان صاحبنا رجلا متزنا حكيما، فلم يتعجل أمر الزواج مخافة الاخطاء، وجعل يبحث عن بغيته بصبر ودقة ، فاستعرض في ذهنه عشرات الأسرات، وازن بين قيم بناتها المادية والمعنوية ، فرجحت كفة فتاة جمعت بين الجمال والكمال والثراء ، فسدد سهامه نحوها ، وهو يحمد الله على التوفيق

وارتاحت نفسه كثيرا بعد هذا الاختيار ، وتحرك طموحه بقوة لم يعرفها من قبل ، وتركزت آماله في الزوجة المنشودة ، وأظلمت حوله الدنيا الا من بريق ذهبها الوهاج ، فخلب البريق لبه ، وأسال لعابه ، وأثار في نفسه أحلاما كبارا ، تجسمت على مر الأيام فغدت بالنسبة اليه حقيقة يعيش فيها ، ولا يجد لذة في غيرها !

وأخرج صاحبنا ما ادخره طيلة حياته ، ليمهر فتاة أحلامه وآماله ، فطفرت الدموع من عينيه بادىء الأمر ، وأحس كأنه على وشك فراق ابن عزيز محبوب ، ثم عاد وتذكر انه يضحي بالقليل في سبيل الكثير ، وتخيل الثروة الكبيرة الدانية ، فهانت عليه التضحية ، وعاتب قلبه ، وزجر

دموعه ، وودع ماله فى وقار وهدوء !

▭

لم يصدم صاحبنا أبدا ، ولم تثر نفسه بشدة وقسوة ، مثلما حدث يوم عرف ان الزوجة التى أشركها حياته لا تملك مالا ، وان الثروة التى خلبت لبه وأعمته وقف على رجال الأسرة دون نسائها . وفى تلك اللحظة فقط آمن بالتعبير الذى يقول « كأن صاعقة انقضت على رأسه » ، وكان فى الماضى ينكر هذا القول المأثور ، ويشفق على الرجولة ان تتخاذل ، فأحداث الحياة فى اعتقاده نسائم عابرة ، لا تهز غير أضعف الغصون . ولكن عقيدته السابقة تغيرت أمام بلواه الجديدة ، فتذوق ألم الصواعق عند ما تنقض على الرؤوس ، وعرف كيف يتغلغل ذلك الألم فى الجسد ، حتى يصل الى القلب ، فيكاد يقتلعه من بين الضلوع اقتلاعا !

وعند ما زال أثر الصدمة الأولى اختلى الى نفسه يناقشها الحساب ، فاحتار فى أمر مصابه ، وتساءل عن أسبابه ودواعيه .. لو أنه كان رجلا عاطفيا ، لأمكن خروجه عن الطريق المرسوم ، أما وقد أخرس العاطفة منذ أمد بعيد ، ونجح فى اذلالها أمام العقل والارادة ، فلم يكن هناك داع مطلقا للاخفاق . ثم انه بحث جيدا ، وقاس بدقة كل خطوة قبل ان يقدم عليها ، وعمل لأتفه الأمور حسابا ، فكيف خفى عليه بعد ذلك ان الثروة للرجال دون النساء ؟!

واتجه به الفكر الى المرأة التى أشركها حياته ، فأحس انها مسئولة عن كل ما أصابه ، وعلى رأسها فقط يقع وزر حزنه واخفاقه وخذلانه : فمن أجلها فقد حريته الغالية ، وماله العزيز ، الذى قضى فى جمعه أطيب سنوات العمر . وبسبب ثروتها الموهومة تضاعف طموحه ، وارتفع بآماله الى الجوزاء ، فكان سقوطه بعد ذلك الى أرض الحقيقة أليما رهيبا !

وغلت دماء الغضب فى عروقه ، واندفعت حارة الى رأسه ، حتى أوشكت الرأس على الانفجار ، ثم اجتاحت قلبه موجة صاخبة من البغضاء ، فرأى الزوجة الجميلة الوادعة شيطانا قبيحا ، يقلق راحته ، ويفسد حياته ، فلعن اليوم الذى عرف فيه اسمها !

وتذكر صاحبنا ان البلاء لن يقف عند حد ، فزوجته البغيضة ليست فقيرة فحسب ، بل هى أيضا مريضة معتلة القلب ، وكان يعرف علتها قبل الزواج ، ولكنه لم يجد غضاضة فيها ما دامت تنفق على علاجها من جيبها الخاص . أما الآن فقد تغير الموقف ، وتحتم عليه ان يحتمل امرأة عليلة ، وان يضحى أيضا بمزيد من المال ، فى شراء الدواء ، واستدعاء الاطباء .

وأمام هذه الحقيقة المرة ارتعدت فرائصه ، وبردت دماؤه بعد غليانها ، وأحس

كأن صقيع الرعب والاستنكار حيات تسعى فى جسده ، وتلدغ قلبه بأنيابها السامة !

وركب الذهول صاحبنا ، وارتخت عضلاته لهول البلاء ، فاستسلم للمحنة دقائق قليلة، مرت عليه دهورا طويلة ، ثم استفاق شيئا فشيئا ، فجمع شتات ارادته ، واستعاد بها سلطانه على نفسه ، فزايله الحزن والغضب ، وعاوده الهدوء والسكون ، ولكن عينيه ازدادتا صلابة ، وتضاعف الجمود فى وجهه !

ولم تبد من صاحبنا كلمة تفضح مشاعره ، ولم تظهر على وجهه لمحة تكشف سره ، وظل على هدوئه ورقته، يلبي مطالب بيته ، ويقوم بواجباته نحو زوجته ، ويرعى احساسها خفية وعلانية، ويتفانى فى خدمتها ،والسهر على راحتها خلال نوبات قلبها ، فينظر الأصدقاء معجبين ، وتلهج ألسنتهم بمديح الرجل النبيل !

ولكن الزوجة العليلة فهمت ما استعصى على غيرها ، وهدتها غريزتها النسوية الحساسة الى سره الدفين ، فعرفت انه يحملها جريرة ما أصابه به القدر ، وقرأت فى عينيه الصلبتين آيات لومها واتهامها ، فتأكدت انها فقدت قلب زوجها الى الابد ، وانها لن تستطيع استرداد ذلك القلب أو تحريك أوتاره ، مهما بذلت من وفاء واخلاص ، فأمسكت لسانها عن الاشارة الى الموضوع ،وطوت ضلوعها فى صمت على الحقيقة المريرة !

وأورثتها المعرفة حسرة بليغة ، فزايلها مرحها ، وضمر جسدها ، وذهب جمالها ، وراحت تنتقل بين أرجاء البيت مثل شبح حائر يتنازع الحجرات . واشتدت بها العلة ، فتلاحقت نوبات قلبها ، وغدت لياليها جهادا مستمرا فى سبيل التعلق بأهداب الحياة !

ولم يتوان صاحبنا فى القيام بدوره على أكمل وجه ، فكان يستيقظ بالليل مع كل نوبة تنتابها ، فيسعفها بالدواء ويظل بجوارها ساهرا حتى تهدأ أنفاسها ، واذ ذاك تمنحه ابتسامة مشجعة ، فترد بأخرى شاكرة ، ولكن كليهما كان يعرف ما بنفس صاحبه!

▭

واستيقظ ذات ليلة مع النوبة المعهودة ، فأسرع الى فراش زوجته ، ليسعفها بالدواء ، فرآها كالعادة متقطعة الأنفاس ، فى وجهها صفرة المحنة التى تعانيها ، وفى أطرافها زرقة الاختناق الذى يهدد حياتها ، فانحنى ليرفع رأسها بوسادة ، ولكن قامته عادت وانتصبت ثانية فى الحال : اذ اختفى الحاضر من أمامه فى لحظة خاطفة،وعاد الماضى ببرارته وذكرياته، وتوالت عليه صور ذلك الماضى مسرعة كأنها شريط سينمائى ، فتذكر حبه قبل الزواج ، كان اذ ذاك حرا مثل



« ولكن العيون الضارعة سبقته إلى بقيـــة الحجرات ، ولاحقته الزجاجة فى كل مكان تجن جنونه ، وانطلق من الباب يجرى . . . »

عصفور طليق ، ينام الليل ملء جفنيه ، ويقضى النهار كما يحلو له ، لا يتقيد بأحد ولا يحمل مسئولية غيره ، فاستطاع ان يقتصد شيئا من مرتبه الطيب ، وان ينفق الباقى فيما يرضى كبرياءه ، ويشبع روح العظمة فيه ، ولم يكن هناك مايشقيه أو يقلق حياته ، حتى سمع بهذه العليلة ، وترامت الى أذنيه قصة ثروتها الموهومة

ومن أجل هذه القصور العالية تزوج بالعليلة بعد ان ودع حريته الغالية ، وضحى بماله العزيز ، على اعتبار أنهما ثمن تافه لخير مقبل عميم، فماذا كانت النتيجة ؟ لا شيء ! راحت الحرية ، وذهب المال ، ولم ينل فى مقابلهما أجرا !

ومرة أخرى ثارت الدماء حارة فى عروقه ، واجتاحت قلبه موجة البغضاء الخطيرة ، فأحس كراهية بالغة نحو المرأة التى جلبت عليه هذا الشقاء ، واستنزل اللعنات على رأس من خذله، ولم تحقق رجاءه فيها ، واشتد به الغضب ، فطمس عينيه ، واصطبغ نحو الحجرة بلون الدماء !

والتفت الى المريضة التى ترقد أمامه ، فرآها تصارع أنفاسها كغريق يشرف على الهلاك ، وراعه اصفرار لونها ، وزرقة شفتيها ، وجحوظ عينيها . كانت ولا شك تعانى أزمة خطيرة ، وكانت تقدر خطورتها ، لذلك جعلت تنظر اليه بضراعةوابتهال

وفهم صاحبنا ما ينطوى عليه ابتهالها ، فهى تستحثه على الاسراع بالدواء لانقاذها ، ولقد أنقذها الدواء فى الماضى ، وسينقذها هذه المرةأيضا.

وارتفعت يده الى المنضدة المجاورة ، ولامست أصابعه زجاجة الدواء ، ثم ارتخت اليد ثانية ، وعادت الى جانبه دون ان تؤدى الرسالة المرتقبة .

ووقف صاحبنا فى مكانه ، ملتهب العينين ، بادى الصرامة ، كأنه مارد منتقم جبار !

ولمحت الزوجة يده الهابطة،ورأت صرامة وجهه، وانطباق فكيه،واحمرار عينيه، ففهمت كل شيء ، فطارالابتهال من عينيها ، وأفسح الطريق لرعب شديد !

ومضت الدقائق بطيئة ثقيلة ، فاشتدت العلة ، وتضاعفت عوارضها، فراحت الزوجة تضرب الهواء بيديها، وتملأ الحجرة بحشرجة أنفاسها ، ثم تباطأت نبضات قلبها شيئا فشيئا ، وهدأت أنفاسها تدريجيا ، واستلقت على الفراش عندما ودعت الروح جسدها !

وتنفس صاحبنا الصعداء ، وفرك عينيه كمن يطرد حلما مخيفا ، ثم غمرته الحقيقة بعد ذلك ، فارتعد لما أتاه ، وندم على فعلته ، فأسرع بزجاجة الدواء يتدارك جريته، وصب قطراتها بسخاء فى فم زوجته ، ولكن الحياة لم تعد طبعا الى الجثة الهامدة !

ووقف صاحبنا مخلوع القلب ، مبلبل الفكر، فترامت الى أذنيه أصوات الرياح وهى تهب فى الخارج ، وتخيل صفيرها عويل الشياطين ، فارتجف جسده ، وسرت البرودة فى عروقه وتملكه رعب شديد، فارتمى على الفراش وبكى للمرة الأولى فى حياته

وأشرق الفجر وما زال صاحبنا فى محنته ، وتوالت ساعات النهار وهو فى حرب مع نفسه ، فلما خرج منكس الرأس لتشييع جثمان زوجته ، كان الصراع قد ذهب بلونه ، وخلف فى عينيه ذبولا ، وفى جبينه تجاعيد ، فنظر الأصدقاء اليه آسفين، وانفطرت قلوبهم أسى على الزوج الحزين النبيل!

□

ومضت أيام قليلة امتلأ البيت فيها بالأقارب والمعزين ، فشغل صاحبنا بواجباته حيالهم عن التفكير ، واختفت عن ذهنه الليلة الرهيبة بذكرياتها الأليمة ، فهدأ باله ، واستعاد ثباته ووقاره !

وذهب الأقارب والمعزون ، وخلت الحجرات من وجوههم ، فعاد يستأنف حياته وحيدا . ومضى اليوم الأول بسلام ، وانقضت ساعات النهار على خير حال ، ثم أقبل الليل ، وأطبق بحلكته على البيت ، فضاق صدره ، وانتابه خوف بالغ ، أحس معه ان شيئا رهيبا يكمن له فى الظلام ، فقام يبحث عن ذلك الشىء ، ولما أعياه البحث عاد الى فراشه ، وارتمى متهالكا عليه ، أملا فى أن يجد الراحة بين أحضان النوم !

وداعب النعاس جفنيه ، وكاد يستسلم لسلطان الكرى ، لولا ان ترددت بين أرجاء الحجرة حشرجة قاسية ، تبعتها أنفاس متقطعة ، فطار النوم من جفنيه ، وقفز واقفا على قدميه ، وقلب النظر حوله . فطالعته فى الظلام عيون تتأمله بضراعة وابتهال ، وعلى مقربة منها زجاجة الدواء تتراقص فى الهواء !

وغلب الذعر صاحبنا ، فانطلقت من فمه صرخة مدوية ، خرج بعدها من الحجرة جريا ، ولكن العيون الضارعة سبقته الى بقية الحجرات ولاحقته الزجاجة فى كل مكان ، فجن جنونه ، وانطلق من الباب يجرى فى الطرقات !

وأعادت برودة الليل اليه بعض الهدوء والاتزان ، فتمالك روعه ، وكف عن جريه ، وسار متمهلا يستعرض ما مر به : لا شك ان الحوادث التى أخرجته من بيته لاتعدو حلما ، ما كان يصح ان يستسلم له ولكنه كان فى الواقع حلما رهيبا ، ذكراه تبعث الرعدة فى جسده ، فما العمل لو زاره الحلم كل ليلة ، وطارد نومه وراحته ؟! ستصبح حياته اذ ذاك

جحيما ، وسوف يقاسي من العذاب كثيرا ! ترى أى خطيئة ارتكبها فى حق زوجته ، لتلاحقه بعينيها ، وتتعسه بعد مماتها كما أتعسته فى حياتها ؟ ألم يكن زوجا طيبا خدوما ، يضرب الناس به الأمثال فى النبل والوفاء ؟ حقيقة أنه توانى فى تقديم الدواء ، ولكنه لم يقتلها .. لم يخنقها مثلا ، أو يضربها بالرصاص ، أو يدس لها السم . ولم يرد فى نصوص القانون ما يجعل التوانى فى تقديم الدواء جريمة !

وارتاح صاحبنا لهذا المنطق ، فتشبث به ، وبالغ فيه ، حتى نجح فى اقناع نفسه بأن زوجته كانت معتلة القلب منذ طفولتها ، عرضة للموت فى أية لحظة ، وقد ماتت فعلا كما قدر لها ، وفاضت روحها اثر نوبة قلبية لا شأن له بها ، والموت حق على الجميع

وانقضت ساعات الليل وصاحبنا يهيم فى الطرقات ، فلما أشرق الفجر ولاحت تباشيره فى الافق ، أكسبه النور مزيدا من الثقة والاطمئنان فاستعاد السيطرة على أعصابه ، وعاد الى بيته هادىء النفس !

□

وغدت حياة صاحبنا بعد ذلك جحيما ، ففى كل ليلة كانت العيون المبتهلة تطارده ، وزجاجة الدواء تداعبه ، وحشرجة الميتة تملأه رعبا وجزعا ، فيهرب من سته الى الطريق ، ويظل فيه هائما حتى مطلع الفجر ، ثم يعود بعد ذلك منهكا محطم الاعصاب !

وأراد ان يضع حدا لعذابه ، فهجر بيته ، واستأجر اخر بعيدا ، وقضى اليوم الأول فى مسكنه الجديد وهو يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، ولكن العيون الرهيبة زارته بالليل ، وتكاثرت حوله حتى ضاقت بها الحجرات ، فقام ليهرب الى الطريق كعادته ، فحالت دونه والباب ، ثم أحاطت به فى دائرة كبيرة ، ضاقت شيئا فشيئا ، حتى غدت رباطا حول عنقه يكاد يزهق الروح من جسده !

وتعالت أصوات الحشرجة ، وغدت فى أذنيه رعدا قاصفا ، فاختبل عقل صاحبنا ، ووقف فى مكانه جاحظ العينين ، يبحث فى رعب عن طريق يهرب منه ، فلم يجد أمامه غير نافذة مفتوحة ، نمر منها ، فهوى الى الطريق جثة هامدة !

وسمع الأصدقاء بوفاته ، فحزنوا ، وخرجوا لتشييع جثمانه ، وهم يترحمون على الرجل الوفى الذى لم يحتمل الحياة بعد زوجته !

وعند القبر كانت كرمة خضراء مورقة ، فلما واروا جسده التراب تحت ظلالها ، ذبلت الكرمة وجفت عروقها !

أمينة السعيد

من أحلام الأطفال

بقلم حسن جلال بك
القاضي بالمحكمة المختلطة

حدثني صاحبي — قال :

جاءني ذات صباح ابني الصغير ، الذي لم يتجاوز العاشرة من عمره ، وهو في حال من القلق ظاهرة . وعلى الرغم من ان كل شيء في وجهه كان ينم عن أنه يريد ان يتحدث الى حديثا هاما — يهمه هو على الأقل — فاني كنت مشغولا في عملي انشغالا يكاد يستغرق كل انتباهي ، فلم أعره اهتماما — على غير ما جرت به العادة بيننا — ولم أقبل عليه ولم أرحب بمقدمه . وظللت فيما كنت فيه ..

فوقف الصبي قليلا . ثم قال :

— يا أبت اني ..

ولكنني أسرعت فقاطعته ، ويظهر اني أغلظت له في القول على غير عمد

— نعم !؟ .. أنت أيضا ؟

فقال في دهشة :

— أنا أيضا .. ماذا ؟

قلت : حسبتك تريد ان تقول انك رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ..

قال : كلا ! لقد رأيت ما هو أهم !

قلت مقاطعا مرة أخرى :

— لعلك رأيت مثلا عشرين كوكبا وبضع شموس وأقمار !؟

قال : ما أظن هكذا يكون أسلوب القاضي في استماعه الى المتقاضي ، والا فلا حاجة بالناس الى القضاء !

قلت : حاذر يا فتى ! فاني لو أردت أن أطبق عليك القانون لاعتبرت كلامك هذا تعديا على أثناء أدائي « لوظيفتي » وأمرت بحبسك !

قال : ان المحكمة التي يدخلها صاحب الدعوى من بابها ثم لا يخرج منها الا عن طريق « قفص الاتهام » من حقها — بل ينبغي لها — ان تقفل!

وأدركت اني لن أنتهي من هذا الصبي اللجوج الا اذا استمعت اليه . وقدرت اني لو لم أدخل معه في هذا الجدل البيزنطي لكنت فرغت من أمره ، وانصرفت الى عملي من جديد . فتراجعت ، وقلت له :

ــ هيا اذن ! عجل بقضيتك قبل ان تغفل هذه المحكمة أبوابها !

قال : لقد رأيت الليلة حلماعجيبا جدا أريد ان أقصه عليك لتقوم بتفسيره لى ، فانى فى حيرة شديدة منه ...

وكنت فى أحاديثى المنزلية ــ اذا ما انعقد « مجلس الأسرة » للسمر ، عقب الطعام أو فى غير ذلك من المناسبات وتصدرت المجلس كما قد يفعل أحيانا رب الأسرة ــ كنت فى مجلسى ذاك أزعم لنفسى القدرة على تأويل الاحلام ، وعلى ما هو أعقد من الاحلام أيضا . فيتقدم لى من شاء بما شاء من المسائل ، فلا أتردد فى النظر . وأوسع « اختصاصى » ليشمل كل ما يطرح على من الشؤون . ثم أفتى كل سائل بما يفتح الله على به من جواب . وكان هذا الصغير أشد أفراد المنزل تحمسا لهذا المجلس وأكثرهم نشاطا فيه . فكان لا يفتأ يدعو الى انعقاده كلما سنحت لذلك سانحة . وكان لايبخل قط عن « تموين » المجلس بالمواد التى يتحدث فيها . وكان أيضا أكثرهم اعجابا « برياسة » المجلس ، وماتتسم به فتاواها من حسن ادراك للسؤال ، وشمول مقنع فى الجواب

فلما جاءنى فى ذلك الصباح ليعرض على حلمه ذاك الذى تركه فى حيرة شديدة كما يقول ، انتهيت الى النزول على رغبته والاستماع له ، وأنا أفوض أمرى الى الله فى اضافة قضية جديدة الى قضايا ذلك اليوم .

قلت : وما هو ذلك الحلم العجيب؟

قال : اعتادت مدرستنا ان تدعونا من حين الى حين لعمل رحلة نزور فيها الاهرام ، أو حديقة الحيوان ، أو غير ذلك من الاماكن . وكنت فى كل مرة من هذه المرات أعرض الأمر على والدتى فلا توافق على خروجى مع بقية زملائى ، بحجة ان للطريق مخاطره ، وللتلاميذ طيشهم الذى لاتؤمن عواقبه ، ثم تدعونى لزيارة هذا المكان أو ذاك معها هى . ولكنى كنت دائما أشعر بأن خروجى مع زملائى قد يكون أمتع وأطيب . ولما نمت أمس حلمت بأن المدرسة دعتنا الى زيارة « حديقة الاسماك » ، وان والدتى قبلت ان أخرج فى تلك الرحلة مع زملائى ، فكدت أطير من الفرح . وركبنا السيارة التى أقلتنا الى مكان الحديقة ، ودخلناها ، وجعلنا نطوف بأحواضها . ووقفنا أمام حوض فيه سمك يتلوى كأنه الأفاعى . والى جانب الحوض الذى كان يسبح فيه هذا السمك العجيب ، كانت توجد أنبوبة عليها صنبور ، اذا فتح دخل الماء منه الى الحوض . فهاج له السمك وماج . وكان الى جانبى تلميذ « شقى » من عفاريت الأنس ، غافل الحارس وفتح الصنبور فجأة على آخره . فاندفع الماء منه قويا دفاقا الى الحوض . فذعر السمك لذلك ، وأخذ يتواثب من

الحوض . وكلما وثبت منه واحدة نزلت على وجهي وعلى يدي ، فأنشبت أسنانها في جسمي وظلت معلقة به وجسمها يتلوى في الفضاء .. فقمت من نومي مذعورا وأنا أتحسس وجهي وذراعي . وحمدت الله كثيرا لما تبين لي أنها انما كانت رؤيا منام . ولكني رأيت ان أقص عليك هذه الرؤيا لتنبئني بتأويلها

ولما انتهى الصبي من روايته ، بدأت أنا في تدبر وقائعها . وخطر لي أن أستغل ظاهر الحلم لصالح الأم وتعليماتها . فأقول للصبي انه لأمثال هذا الحادث كانت أمه حريصة على أن تمنعه من مصاحبة زملائه في رحلاتهم . ولكني عدت فرأيت ان أتريث قليلا ، لعل الأمر أهم مما يبدو في ظاهره . لا سيما وان علامات التأثر كانت ما تزال بادية على ملامح الفتى . فقلت له :

— انه لحلم غريب حقا ! ألم يخطر ببالك أنت أن تعمل على تأويله في حدود تجاربك ومعلوماتك ؟

قال : ان كل ما أعرفه عن وقائع هذا الحلم انها تركتني في حالة فزع شديد ، وحسبك ان تعلم انى قمت من نومي مذعورا ، وأنا أحاول ان أنزع تلك « الثعابين » التى علقت بجسمي كأن الأمر كان « علما » ولم يكن « حلما » . وأعجب من ذلك انى منذ أيام قلائل رأيت حلما آخر لعله يشبه هذا الحلم في بعض نواحيه

فزاد اهتمامي لهذا الخبر الجديد ، وسألته ان يقص على قصة ذلك الحلم الآخر . فقال :

— منذ أيام رأيت أيضا انى أسير في حديقة جارتنا . فرأيت في بعض جوانبها حصانا ، فقصدت اليه . ولكني ما كدت أقترب منه حتى هوى بفمه على قدمي يعضها . ومن أغرب الأمور انه لم يعضها كما يعض الكلب مثلا فريسته ، فينهشها ثم يخليها . ولكنه بعد ان أنشب أسنانه في رجلي ظل في وضعه هذا لا يريد ان يتركها ، وأنا أركله بقدمي في فمه على غير جدوى . الى ان قمت من نومي وأنا ما أزال أحس أثر أسنانه في قدمي !

وأدركت أنا بعد ان سمعت هذا الحلم الجديد انى أسأت الى نفسي بالتوسع في السؤال ، لأن رصيدي زاد رقما جديدا . وبعد ان كنت مطالبا بتفسير حلم واحد أصبحت مطالبا بتفسير حلمين . وبعد أن كانت أمامي عقدة واحدة أصبحت أواجه عقدتين . ولكني في غمرة اهتمامي رأيت نفسي أسأل الصبي من جديد :

— وهل كان هذان الحلمان هما كل ما رأيت في هذا المعنى ؟

قال : بل أذكر انى رأيت حلما ثالثا شبيها بهما . وذلك منذ عهد قريب أيضا . وكان قد أوشك ان يختفي من ذاكرتي لولا ان ذكرتني

أنت به الآن فأدركته ، وهو على حافة الافق فى آخر رأسى من الخلف!

قلت : هاته أيضا ، ولتزد قيمة الرصيد رقما آخر . ثم نرى بعد ذلك كيف يكون العمل ؟!

قال : أى رصيد ، وأى عمل ؟

قلت : هذا كلام بينى وبين نفسى سأنبئك بتأويله اذا ما فشلت فى تأويل أحلامك !

قال : لعل هذا الحلم الجديد أغرب من الحلمين السابقين . فانى رأيت فيه انى أسير دائما فى تلك الحديقة الملعونة — حديقة الجار — فرأيت شيئا أغبر الى جوار جداره فأقبلت نحوه . وما كدت أفعل حتى وثب هذا الشىء الى يدى وتعلق فيها بكلاباته . ولم أستطع تمييزه ، وهل هو جعران أم سرطان أم حيوان جديد لا عهد لى به من قبل ؟ ولكن الذى لفت نظرى فى أمر تكوينه أنه كان يغطيه شعر كثيف . فظل هذا الحيوان كذلك ناشبا فى يدى ، وأنا أدور به ذات اليمين وذات الشمال ، أريد ان أتخلص منه أو يخلصنى منه أى انسان ، حتى طار النوم من رأسى . وقمت أيضا كما قمت اليوم فى حالة ذعر شديد . .

فخطر لى عقب هذا الكلام خاطر فجائى ، ومض فى ذهنى كما يومض البرق الخاطف . وسألت الصبى على الفور :

— هل تذكر شيئا عن لون الشعر الذى كان يكسو ظهر ذلك الجعران أو السرطان الذى تتحدث عنه ؟

قال : أجل يخيل الى انى أستطيع ان أحدد لونه !

قلت : أنا أقول لك عن هذا اللون ! فانى أدركت الآن حقيقة أحلامك هذه كلها ، كأنما شهدتها معك . ألم يكن لون ذلك الشعر ضاربا الى الصفرة ؟

قال : نعم . نعم . هو ذاك !

قلت : وثعابين حديقة الاسماك هل تذكر لونها هى الأخرى ؟

قال : نعم . انها كانت مائلة كذلك الى الاصفرار . وما دمت مهتما بأمر هذه الالوان فانى أذكر ان الحصان أيضا كان أصفر اللون !

قلت : يا بنى ! ان هذه الاحلام جميعها جزاء وفاق لما أخفيت عنى من أمر نفسك . أفتذكر الحديقة العامة التى أمام منزلنا ؟

قال : نعم . أعرفها طبعا !

قلت : وهل تذكر ليلة خرجنا جميعا : أنت ، وأخوتك ، وأمك ، وأنا من خلفكم لنذهب الى « السينما » فسرنا بحذاء هذه الحديقة . وكنت أنت على عادتك تتقدمنا ببضع خطوات فلفت نظرك شىء يجثم فى حذر تحت سور الحديقة . فتقدمت نحوه تستجلى خبره . فاذا هو هرة صفراء ترضع صغارها . واذا هى توحش من مقدمك

عليها شرا ، فتثب اليك من مكمنها ، فما نشعر نحن بك الا وأنت تدوريينا وشمالا ، والهرة معلقة بمعصمك تتلوى فى الفضاء كما يتلوى الثعبان . لا أنت تصيح أو تستغيث . ولا هى تخلى معصمك . كأنما عقد الخوف لسانك . وكأنما عقد خوفها منك أسنانها — ولبثتما على هذه الحال دقيقة أو نحوها . وقد أذهلنا نحن هذا المنظر فجمدنا تجاهه ؛ حتى رأينا آخر الأمر أخاك الأكبر — رحمة الله عليه ورضوانه وبركاته — وقد أسرع اليك فقبض بيده القوية على عنق الهرة وضغط بأصابعه على جوانب فكيها حتى صاحت من الألم . وانفرجت بذلك « كلاباتها » عن معصمك — وقد آثرت أنت فى محنتك ان تتظاهر بالشجاعة والصبر ، حتى لا تزعجنا بما كنت تحسه من الآلام ؟ أتذكر ذلك كله ؟

قال الفتى فى صوت حالم :

— أجل ! انى لأذكر ذلك . وأذكر انى بعد ان عدت من عند الطبيب واويت الى فراشى فى تلك الليلة ، كأنما كانت تلك الهرة اللعينة تبيت فيه معى طول الليل . فكنت أنام دقيقة أو دقيقتين ثم أستيقظ مذعورا على نباح تلك الجروح الغائرة التى كانت فى يدى . وكأنما الهرة تنخرها من جديد !

قلت : أو تعلم ماذا يحدث لمن يتناول اللقمة الكبيرة التى لا يسيغها حلقه فيدفع بها فيه ؟

قال : نعم . انه يغص بها ولا شك !

قلت : هكذا صنعت بنفسك ! لقد كانت آلامك أكثر مما تطيق ان تستأثر بها وحدك . وكان خيرا لك ان تلفظ شيئا منها ليسهل عليك ابتلاع باقيها . ولقد ظللت بعد هذا الحادث وبك غصة منه جعلت تتشكل فى أحلامك بهذه الاشكال المتنوعة ، للتنفيس عن أحاسيس الذعر التى حبستها فى نفسك . وما كانت الافاعى ولا الحصان ولا الجرذان الا رموزا لتلك الهرة الشريرة . احتفظت من صفاتها بلونها الاصفر وبشعرها الاشعث . فالحمد لله الآن على أنك أفضيت الى بما رأيت وبما أحسست . وأغلب ظنى انك وقد صارحتنى بما كنت تسر ، وبعد ان انكشف هذا الغطاء الذى اصطنعته على غير علم منك — أغلب ظنى انك لن ترى هذه الهرة مرة ثانية فى منامك ، مهما حاولت ان تخفى حقيقتها عنك . .

▭

قال صاحبى : وقد صدق ظنى ولله الحمد . ولم تعد تظهر تلك الهرة . وقد انقضى على تلك الاحلام أكثر من ثلاثة شهور

حسن جلال



حرمته الأقدار من يديه .. فلم يستسلم لأحكامها وتدرب على كثير من الأعمال فأجادها

مع العزيمة تهون الصعاب

هذه قصة رائعة لرجل من السويد ، قطعت يداه فى حادثة، فلم يكن له من بعد ذلك إلا العجز ، ولكنه أبى أن يعجز ، وأعانته إرادة قوية ، وعزيمة جبارة ، فتعلم بالذى بقى من ساعديه كيف يعمل ، وكيف يصنع الأشياء ، حتى أنك إذا أحصيت اليوم الأشياء التى لا يستطيعها لم تجد منها الشىء الكثير

فهو اليوم يشعل سيجارته بنفسه ، ويخط بالقلم ، ويرسم بالبرجل ، ويبرم المسمار بالمفك ، ويقشر الخشب ، ويصلح الراديو

ومع هذا الفوز فالرجل لا يود أن يتحدث عنه بأنه فوز ، فهو يقول : انى أردت هـذا فكان . وكل رجل يريد هذا يكون له مثله ، فكل ما عليه أن يرجو ويجهد ولا ييأس



عزيمته الجبارة جعلته يتعلم، بالذى بقى من ساعديه ، كيف يصلح الراديو



إنه يشعل سيجارته بنفسه . . ولا عجب فكل شيء ميسور عند أصحاب الارادة والعزيمة

مليونير أمريكي يقول :

الملايين عبء ثقيل !

قد يعتقد الانسان أنه كلما ازدادت ثروته عظمت سعادته ، وهاك أحد الأغنياء يقول بخطأ هذا الاعتقاد . فما أن أصبح من أرباب الملايين ، حتى أدرك أن دخلا سنوياً لا يعدو بضعة آلاف من الدولارات ، يجلب من السعادة أكثر مما تجلب الملايين ، فتخلف عن ركب صيادى الثروة

يخيل الى كل فرد انه بالغ من السعادة ما يشاء ، اذا هو جمع أقصى ما يمكن جمعه من المال ، وهذا الزعم لا يصدق الا الى حد محدود

فقد قضيت ثلاثين عاما جريا وراء الثروة ، ولكن هذه الاعوام الثلاثين أقنعتني بأن السعادة أميل الى التقلص اذا زاد الدخل السنوي على ١٠٠٠٠ دولار ، لأن المرء عند ذلك تنتابه الهموم والافكار فتقض مضجعه ، وتحرمه الكثير من بهجة الحياة ، رغم كثرة ماله

وفى رأيى ان الذين يغبطون على سعادتهم هم أفراد الطبقة الوسطى ، وخاصة أولئك الذين وقفوا حياتهم على خدمة المجتمع ، كالوزراء والعلماء والمهندسين ورجال التعليم والأطباء . وقد دلت التجربة على أن حظهم من سعادة الأسرة وهناءتها أوفر . وأغلب الظن ان هذا يرجع الى أنهم منصرفون الى الخدمة العامة ، أكثر من انصرافهم الى اكتناز الذهب

ولست أدرى أيستحق ولدى هارولد الشكر ، أم هو حقيق باللوم ، لاعتبارى اياه مسئولا عن اتجاهى الى الزهد فى الملايين ؟ لقد بدأت عملى ببضعة ألوف من الدولارات ، افتتحت بها مصنعا فى فيلادلفيا . وكنت - كزملائي من رجال الصناعة - أوطن النفس على المضى فى العمل حتى يشتد ساعد ابنى ، فأعهد اليه فى حمل العبء . ولكنه كان يفكر فى اتجاه آخر ! كان يريد أن يعمل بوحى من نفسه ، ويرسم مستقبله بيديه

وصل ولدى الى غرب أمريكا واشتغل مهندسا فى الطيران ، فى مشروع بناء الطائرات التى اقتضاها برنامج الدفاع الأمريكى . ومنذ سنوات أربع طالعنى منه كتاب يقول فيه : « ان الناس فى غرب أمريكا تختلف نظراتهم الى الحياة عنها فى

شرفها . وقد لا أستطيع جمع الثروة التى جمعتها يا أبى العزيز .. وثق انى لا أريد هـذا » ثم بدأ ينصحنى نصيحة رجل لرجل . ويناشدنى ان أتخلص من ربقة العمل ، فأبيع المصنع وأستمتع بالحياة قبل فوات الفرصـة التى لم تزل مواتية !

وقد بدرك الآباء أمثالى كم جزعت أول الأمر لقـرار ولدى ! ولـكننى استرجعت قول والدتى : « لا جيوب فى أكفان الموتى . ولا فائدة بعدالموت من ان تكون أغنى نزلاء المقبرة ! »

وانتابتنى الوساوس وتقاسمتنى الاقدام والاحجام ، فالطريق ما زالت أمامى مفتوحة ، والآمال عريضة ، والملايين مغرية ساحرة ! ومجال العمل فسيحا ! ولـكنى رجعت الى نفسى ، ورددت كلمات ولدى ، فتولانى العجب والدهشة من الاستمرار فى جمع المال ، على حين انى لو بعت المصنع لحصلت على أزيد مما يكفى لمعيشة ناعمة هنيئة ، طيلة الوقت الذى قدرت ان أجـلى سيمتد اليه .وغلبت على فلسـفة القناعة . وبقيت أفكر فى العلاقة بين السعادة والمال

▭

ان المال لا يهتـم بمن يقتنيـه أو يجمعه ، فلن تكون انسانا رقيقـا ، مهذبا كريما ، سعيدا ذا مروءة ، لمجرد انك تنام على الفراش الوثير ، وستظل مقترا وضيعا أيام غنـاك اذا كـنت كذلك أيام فقرك ، وستبقى لك ـ بعد ثرائك ـ صفاتك الذميمة الاولى . وقد تزداد هذه الصفات بعد الثراء سوءا . وأعرف ـ مثلا لذلك ـ رجلا يملك ٢٥ مليونا من الدولارات .وهى ثروة يسيل لها لعاب أصحاب الملايين أنفسهم ، ولكنه رجل بغيض لا يحتمل أحد حديثه . وكأنى به يعيش فى هذه الدنيا وحيدا ، أو مع نفسه فقط ، حتى زوجته لا تكاد تسيغه !

▭

قـد يستطيـع المليونير أن يزين حياته ببعض الحـواشى والأعـراض الزائلة ، ولكن ثروته لن تغـير من طبيعته أو جوهر نفسه . أو تغير من طبيعة المشاكل الانسانية التى لا بد لكل فرد من مواجهتها . فثمة رجل غنى لا تتورع زوجته عن تأنيبه ، حتى أمام أصدقائه اذا تأخر عن موعـد العشاء . وآخر يساوره القلق على مستقبل ولديه ، ويجزع لوقوفهما لابنيه جامدا أمام خمولهما وغبائهما وتأخرهما فى المدرسة ! وثالث يعجز، رغم ثروته. عن اقتناء دواء لصلع رأسه ! فليس نصيب المليونير من حياة الأحلام أكثر من نصيب الفرد العـادى ، وليست ملايينه بمانعـة له من الأمـراض أو الهموم

الحق انه لم يبق من المزايا التى كان التمتع بها وقفا على الأغنياء ، شىء لا يحظى به أوساط النـاس .

فالكتبة وصغار الموظفين يذهبون اليوم الى المصايف ، أو يخرجون لصيد الغزال فى اجازاتهم ، ولم يبق وقفا على الاغنياء من هذه المتعة الا مزاولتها أكثر مما يفعل الآخرون ، وقد تفقد المتعة بالتكرار بهجتها . ان الرجل العادى اليوم يحيا حياة سعيدة مريحة، ولكنه يمتاز على صاحب الثروة الضخمة بأن حياته خلو من الهموم والاكدار. أو قل ان هموم الرجل المتوسط أقل بكثير مما ينتاب الغنى منها . فالرجل العادى لا يبيت يحلم بما يقاسيه من ارهاق الحكومة له بما تفرضه عليه من ضرائب .

▭

وللثروة تقاليد وأوضاع واجبة الرعاية ، فلا بد للغنى من ان يمثل الدور الذى ينتظر منه . فيشترى القصور الشامخة والرياش الفاخرة ، ويقتنى التحف الثمينة ، وغير ذلك مما لا يحفل هو به فى قرارة نفسه ، ولكن تفرضه عليه تقاليد الثروة . وقد تسول له نفسه ، ما دام غنيا ، الا يقنع من الحياة الزوجية بما أوتى من قبل ، وسرعان ما تسأم نفسه حياته الأولى ، وينحدر الى اللهو والعبث، وقد ثبت ان نسبة الطلاق بين الاغنياء أعلى بكثير منها بين سائر الطبقات !

أما أطفالهم فيعيشون فى جوخانق، عيشة يغلب عليها التكلف والتصنع المعقد، فوق ما يؤخذون به من تدليل. وما يعودون من استهتار ، فينشأون أعوادا ضعيفة هزيلة لاتقوى على مغالبة الحياة ، وتفسد نظرتهم الى المقاييس العامة والقيم الحقيقية والمثل العليا الاخلاقية .

تلك هى الاعتبارات التى دارت برأسى وأنا أقلب وجوه الرأى فى نصيحة ولدى . حتى استقر عزمى على ان أبيع المصنع ، وأتخفف من عبء العمل وقيود الملايين ، لأحظى بقسط من مباهج الحياة .

ومنذ ذلك الوقت بدأنا نرتب حياتنا على دخل متواضع، فاستأجرنا مسكنا من خمس غرف فى عمارة كبيرة، يسكنها الأطباء والمعلمون والموسيقيون وتوثقت بيننا وبينهم أواصر الصداقة والمحبة . وتخلينا ــ زوجتى وأنا ــ عن مظاهر الترف والبذخ ، وتوخينا الاقتصاد والهدوء ، وعشنا بلا خدم، لأن زوجتى لم تكن تطيق الخدم ، وكانت تفضل تنظيف البيت بنفسها على أن تقوم به خادم مأجورة، تتسكع من غرفة الى غرفة وتتحكم فينا !

وقد بعت السيارة التى كنت أملكها . وصرفت السائق ذا الحلة الرسمية المزركشة . وتخلصت من يخت كان لى فى الايام الغابرة ، لم يكن يستفيد منه فى الغالب الا الزبائن، ترغيبا لهم فى معاملتنا . أما ملابسى فلم أعد شديد الكلف بها . ونحن نتسلى الآن بالذهاب الى السينما ،

أو المتنزه العام ، لسماع الموسيقى ، أو لعب الورق مع جيراننا ، أو زيارة أصدقائنا . ولكن أحب تسلية الينا هى ان يجتمع حولنا مئات الاطفال الفقراء ، على ظهر قارب يمخر بنا عباب الماء فى نزهة قصيرة ، نقدم لهم فيها الطعام والحلوى واللعب ، وانى لأجد فى هذا العمل راحة لنفسى . فقد ذقت وأنا صبى مرارة الحرمان ، لأن والدى كانا فقيرين . فلم أخرج قط لنزهة مثل هذه أيام الصبا !

▭

أما رسالتى الحبيبة الى نفسى الآن ، فهى ايجاد نوع من الخدمة الاجتماعية المجانية ، وتقديم النصح والارشاد لحل المشاكل التى تواجه الناس فى علاقاتهم ببعضهم ، والاقلال من متاعبهم .

وآمنت الآن ان المال نافع ، طالما كنت تؤدى به عملا ، أو تحقق مطلبا ضروريا . فاذا أنت وفرت كل حاجياتك لحياة سعيدة هادئة معقولة ، لم يعد ثمة مبرر لتكديس الاموال أو الجرى وراء الكماليات المسرفة ، والا انقلب الامر الى شره بغيض . ويجب ان تنفق الفائض من مالك ، وعن حاجتك المعقولة . على تخفيف ويلات الآخرين ، وتوفير حاجات المحرومين .

ما أسعدنى بحياتى الجديدة ، وما أسعدنى بخدمة المجتمع ! وما أشقى صاحب الملايين بحمله الثقيل !

[عن مجلة « ذى أمريكان »]

حسن تخلص !

أثناء الحملة التى شنتها جماعة منع الخمور فى مجلس اللوردات الانجليزى ، وهى الحملة التى كان يتزعمها « سير ولفرد لوسون » ، أشاع بعض أعداء السير لوسون من تجار الخمور القصة الطريفة التالية :

« قالوا إنه فى أيام شبابه ، وأثناء فترة التحاقه بالقسم الداخلى بالجامعة التى كان يتلقى العلم فيها ، اتهم بخرق لوائح الجامعة عن طريق احتفاظه ببرميل من « البيرة » فى غرفته الخاصة بالجامعة . . فاستدعاه مدير الكلية وواجهه بالتهمة . . فما كان من الطالب « النجيب » إلا أن قال : « أعترف يا سيدى أن هذا صحيح . وانى أحتفظ فعلا فى غرفتى ببرميل من البيرة ، ولكن عندى ما يبرر ذلك ، فأنا شاب ضعيف البنية وقد نصحنى الأطباء بشرب البيرة كى تقوى بنيتى وتتحسن صحتى »

فسأله المدير فى سخرية « وهل تحسنت ؟ »

فأجابه الشاب « ولفرد لوسون » جاداً : « بالتأكيد يا سيدى . . فعندما أحضرت البرميل فى البداية لم أكن أستطيع تحريكه إلا بكل صعوبة . أما الآن فنى وسعى تحريكه فى أرجاء الغرفة بسهولة ! »



غواص يلقى بنفسه فى البحر حيث يمكنه البقاء دقيقة واحدة على عمق ٨ أمتار

صيد الاسفنج صناعة رابحة يزاولها الصيادون فى مختلف الاقطار، وأفخر أنواعه هو الذى يوجد على سواحل البحر المتوسط، وبخاصة على طول الشاطىء المصرى والليبى. حيث يمارس استخراجه طائفة من الصيادين المصريين والأجانب، ويجنون منه أرباحا طيبة، ولكن الصيادين يعانون، من ناحية أخرى، ضروبا من العناء والمخاطر لا تعد ولا تحصى، فحياة صياد الاسفنج لاتعرف الراحة، وهو فى كل لحظة مهدد بفقدان صحته، أو بالموت خنقا، أو بهجوم كلاب البحر أو غيرها من الوحوش المائية التى لا ترحم.

يخرج الصيادون فى مراكب شراعية الى مسافة قصيرة فى عرض البحر، فيلقون مراسيهم فى أماكن يعرفون ان الاسفنج موجود بها، ملتصقا بالصخور، على عمق لا يقل عن ثمانية أمتار، وهناك يبدأ الغواصون عملهم الشاق.

وأسهل طريقة لصيد الاسفنج هى استخدام الجهاز الخاص بالغوص، اذ يستطيع الغواص بواسطته ان يبقى تحت الماء ربع ساعة أو أكثر، فيستخرج كمية كبيرة من قطع الاسفنج. ولكن



صعد الغواص الى سطح البحر ويده قطعتان من الأسفنج انتزعهما من القاع

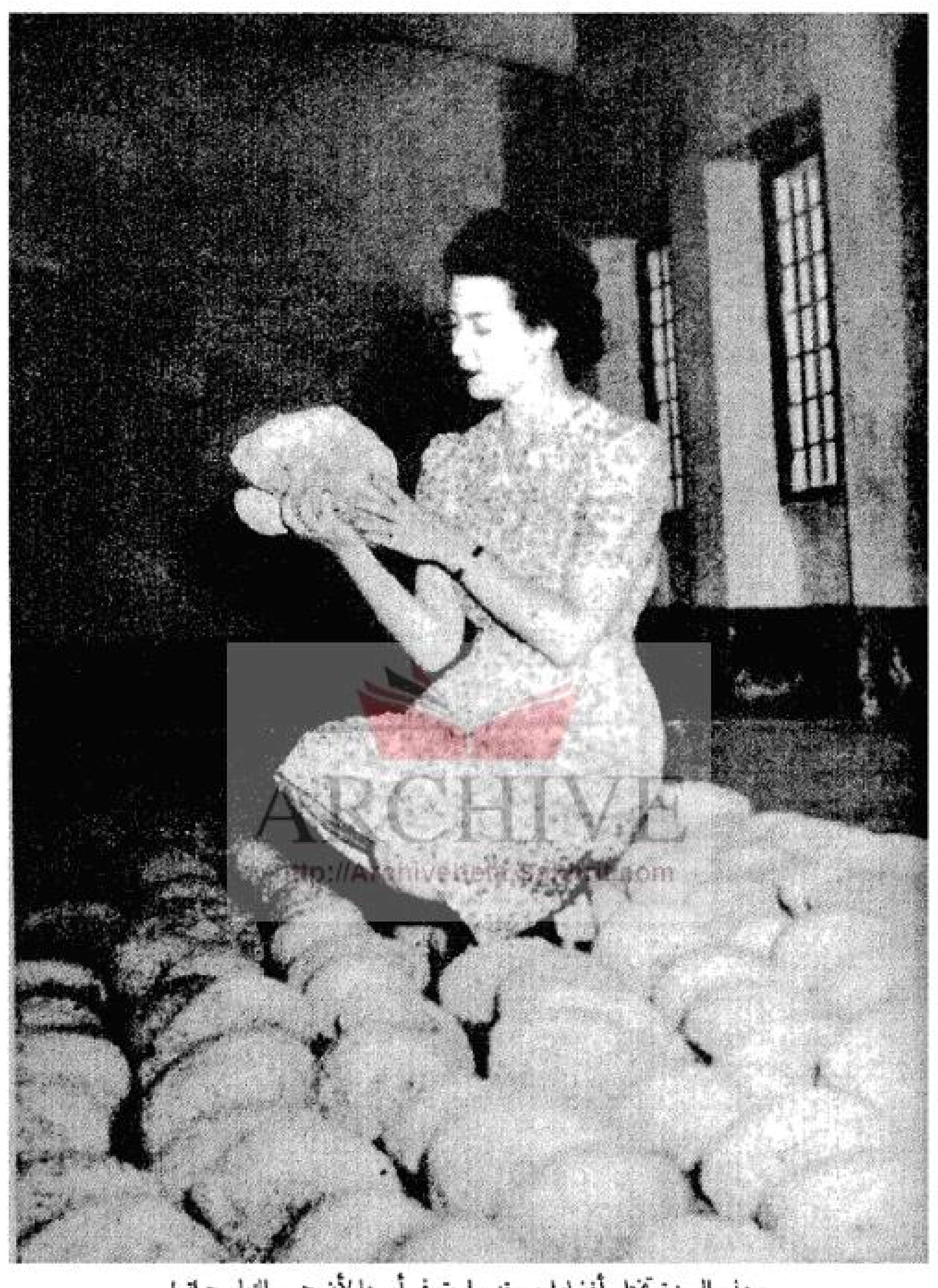
هذه الطريقة غير مستخدمة على سواحل مصر وليبيا ، حيث ينزل الغواصون الى البحر معتمدين على الله وعلى قدرتهم فقط . فيمكث الواحد منهم تحت الماء نحو دقيقة أو أقل ، ثم يعود الى سطح الماء وقد انتزع بيديه أسفنجة واحدة أو اثنتين ، ويعد هذا العمل فوزا عظيما . ولهذا فهو لا يغوص الى أكثر من ثمانية أمتار أو عشرة ، فى حين ان جهاز الغوص يمكن صاحبه من النزول الى عمق ٤٠ أو ٥٠ مترا

ويعالج الاسفنج بعد صيده بطريقة كيميائية تجعله صالحا للاستعمال ، ثم تفرز أنواعه . ويستخرج من سواحل مصر وليبيا نوع يعد من أفخر أنواع الاسفنج فى العالم ، فيرسل معظمه الى أسواق أوروبا وأمريكا حيث يباع بأسعار مرتفعة جدا

ويتراوح ثمن الاسفنج بين ١٠ و ٤٠ جنيها للأقة الواحدة ، حسب النوع والنظافة . وتبلغ قيمة ما تستخرجه جماعة من الغواصين مؤلفة من عشرة أشخاص فى مركب واحد ، نحو ٣٠٠ جنيه فى اليوم الواحد . ولكن العمل كل يوم لا يتيسر للغواصين لاسباب عديدة . ويعد الاسفنج الذى يستخرج من درنة ومرسى مطروح أفضل أنواع الاسفنج المصرى والليبى



ينشر الأسفنج بعد تنظيفه على ظهر المركب حيث يجف تحت تأثير أشعة الشمس ، ثم تعالج قطع الأسفنج بعد صيدها بمادة كيميائية تجعلها قابلة للاستعمال



وهذه السيدة تختار أفضلها ، وقد حارت فى أمرها لأن جميع القطع جميلة !

ماذا فى الطب من جديد ..

فى أى شهر حملت ؟

أو على الأصح فى أى شهر ستلد؟

ابتدع الطب طريقة يعرف بها متى بدأ الحمل ، وكم أمضى الجنين من الزمن فى الرحم ، واذن ففى أى وقت يفتح الجنين بابه ليستقبل الحياة ؟

ان الحمل يغير من نظام الجسم ، انسجاما مع الطارق الجديد والواجبات الجديدة ، فتتغير وظائف الأعضاء

ومن هذه التغيرات ما يصيب الغدد، ويؤثر فيما تفرزه من الافرازات وهرمونات

ومن هذه الغدد الغدة النخامية ، وهى غدة كحجم البندقة على التقريب، تسكن من الرأس فى أسفل المخ ، من وراء الأنف ، حتى انهم ظنوا ان النخامة التى تسيل من الأنف تسيل منها ، وما هى بذلك . ومن أجل هذا أسموها النخامية

وهذه الغدة تفرز فى دم المرأة ، وهى غير حامل ، مادة تعرف بالبيتوسين Pitocin . فاذا حملت المرأة خرج الى الدم مع الحمل شىء يتلف البيتوسين ويقلل مقدارها . ويعمد العلماء الآن الى هذه المادة يقدرونها، ليعلموا كم حدث لها من اتلاف

ومن ذلك يقدرون كم طال الحمل؟ ومتى بدأ ؟ ومتى ينتهى ؟ وهم يقدرون فلا يخطئون فى التقدير على ما يزيد عن أسبوع واحد



شرب الليمون يذيب الاسنان

هذا ما وجده عالمان فى طب الاسنان امتحنا ٥٠ من المرضى ، كانوا يشربون عصير الليمون تداويا ، فوجدا ان أسنانهم ذابت بسبب هذا السائل الذى يشربونه . وفى مريض واحد وجدوا ان الأسنان الأمامية العليا ذهبت حتى اللثة . وفحصوا تاريخه فوجدوا أنه ظل سنوات يشرب عصير الليمون بمخلطه بالماء ، عند صحوه كل صباح

وكان بين الخمسين ٣٩ امرأة ، والباقى من الرجال

والكثير منهم ، أو منهن ، شربه علاجا للروماتزم . ومنهم من شربه علاجا للامساك

وتأثر الأسنان بالليمون معروف قديما ، ولكن لم يتضح بهذا القدر ، ولا بهذه الكثرة ، الا فى السنوات القريبة من هذا القرن ، لكثرة انتشاره ، وانتشار عادة شربه بين الناس

ويقول أطباء الأسنان انهم لا ينصحون من أجل ذلك بالكف عن شرب الليمون ، وذلك لأنه مصدر طيب لفيتامين ج ، وهو من الفيتامينات اللازمة للجسم كل اللزوم . ولكنهم ينصحون بتغيير أسلوب تعاطيه . فليس من الضروري ان يتعاطاه الناس بمصه مصا ، وليس من الضروري ان يظل الشارب يتذوقه ويدور به بلسانه فوق أسنانه يستمرئه استمراءا . وهو يستطيع ان يستمرئه دون ان يغسل الاسنان به

على ان في قصبات البوص الحديثة التي يمتص البعض بها شراب الليمون مهربا من كل هذا

أشعة جديدة لامتحان العين

وليست الأشعة بالجديدة ، وانما الجديد استخدامها في امتحان العين . وهذه الأشعة هي الأشعة دون الحمراء

فأنت تعلم ان ضوء الشمس الأبيض يمكن تحليله الى طيف يتألف من ألوان ، هي : الأحمر فالبرتقالي فالأصفر فالأخضر فالازرق فالنيل فالبنفسجي ، وهي كلها مما تراه العين . ومن فوق البنفسجي أشعة لا ترى ، وبها ترسم الصور الشمسية.

ومن تحت الحمراء أشعة لا ترى أيضا هي التي تعطينا الحرارة

فهذه هي التي استخدمها الطب أخيرا في امتحان العين . وميزتها ان العين لا تتأثر بها كما تتأثر بالشعاع الأبيض المرئي

وتسأل : اذا كانت هذه الأشعة دون الحمراء لا ترى ، فكيف يراها الطبيب وهو يمتحن العين ؟

والجواب ان هناك منظارا خاصا لرؤيتها ، هو كمثل ذاك المنظار الذي استخدم في الحرب الماضية . وقد كان الجندي يركبه في بندقيته ، فيخرج منه شعاع تحت الأحمر لا يراه هو ولا يراه العدو . ويوجهه في الظلام نحو العدو ، أو نحو ناحية يظن أنه فيها ، فاذا وقع على العدو جعله مرئيا ، لا بالعين، ولكن بمنظار صاحب البندقية، وعندئذ يطلقها فتصيب من العدو مقتلا

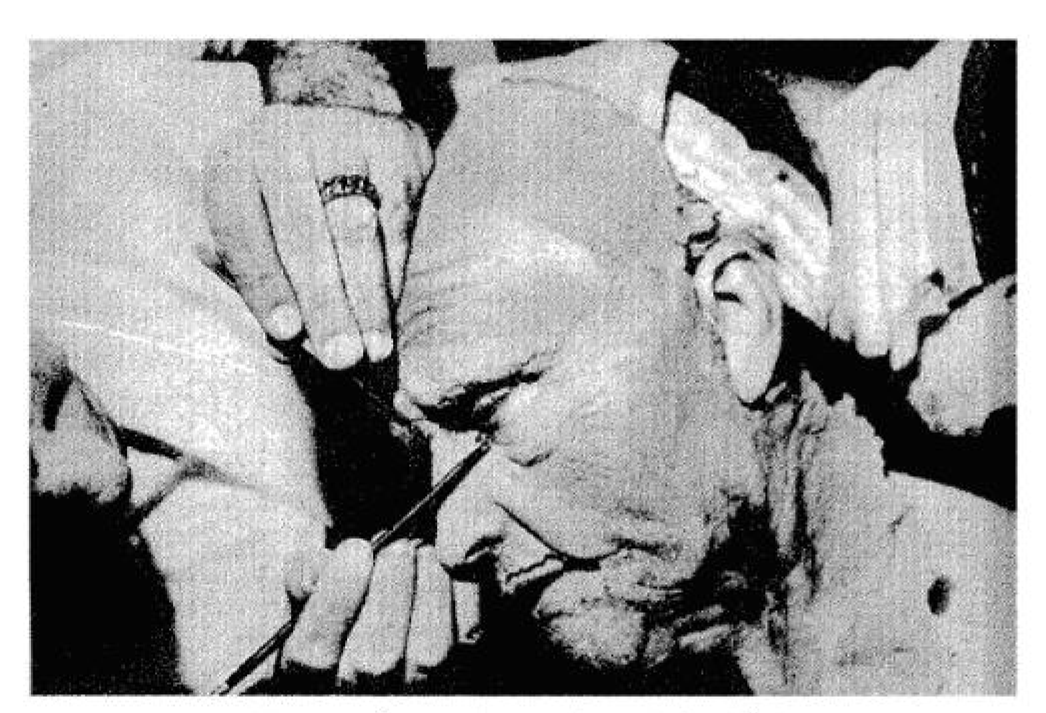
وأكثر ما يستخدم فيه هذا الجهاز الآن ، في الطب ، هو قياس حدقة العين ، والعين ساكنة غير مضطربة . وتظهر الحدقة فيه معتمة ، وتظهر القزحية التي حول الحدقة نيره . وعندئذ يقاس هذا الاعتام فيكون هو قطر الحدقة . ويكون التقدير على شيء كبير من الدقة

ويسمى هذا الجهاز بمقياس الحدقة، أو كما يسميه أصحابه Pupilometer

[ابن سينا]



الفتاة تودع شبابها بابتسامة وتستعين بقدح من اللبن على احتمال عملية التنكر التى لا تخلو من بعض المضايقة والألم ، والتى ستنتقل بها من ربيع العمر الى خريفه !



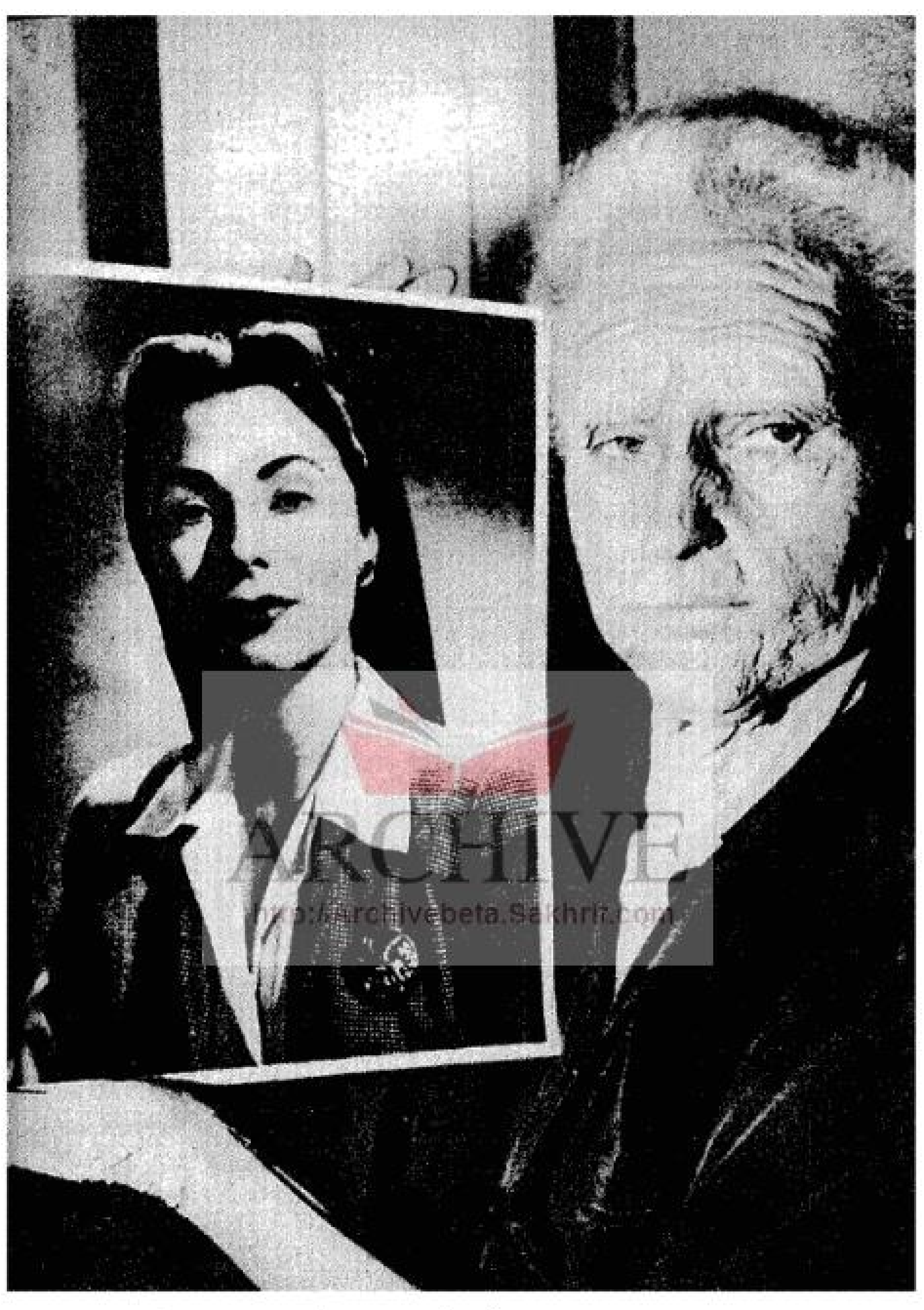
يرى هنا القناع المستعار بعد لصقه على الوجه وقد أخذ الفنان المكلف بهذا العمل الدقيق يثبت إحكامه على الوجه بحيث يبدو طبيعياً ولا يعوق العينين والفم

فتاة بعد المائة

آخر ما وصل اليه فن التنكر ــ المعروف فى الاوساط المسرحية والسينمائية بالماكياج ــ استخدام الاقنعة المستعارة لتغيير الوجوه، بالاضافة الى ما كان أربابه يستخدمونه الى الآن من مساحيق ودهون ونحوها . والقناع المستعار مكون من مادة لزجة تلصق على وجه الممثل، دون ان تضايقه أو تحول بينه وبين اظهار شعوره بوساطة العينين والفم وتحريك قسمات وجهه حسبما يقتضي الدور الذى يمثله . فهم لا يقفون الآن عند حد صبغ الوجه وتغيير ملامحه ، بل يتعدون ذلك الى اخفاء الوجه الاصيل وراء وجه مستعار مما جعل التنكر تاما ، لا فرق بينه وبين الحقيقة فى شيء !

وما على القارىء الا أن يمعن النظر فى الصور التى تقدمها له هنا ، كنماذج لذلك الاتقان المدهش ، ثم يتساءل : كيف يمكن أن تتحول اليافعة الحسناء الى عجوز شمطاء ، جاوزت المائة أو كادت ؟!

وهذا النوع من التنكر يقتضى وقتا طويلا وساعات عديدة لاعداده على أحسن وجه . وهو فوز جديد للتمثيل المسرحي والسينمائي، لان للتنكر ــ أو الماكياج ــ نصيبا كبيرا فى نجاح رواية مسرحية أو سينمائية



هل تحمل هذه العجوز بيدها صورة ابنتها ، أم حفيدتها ، أم صورتها عند ما كانت فى ريعان الصبا ؟ إنها تحمل صورتها الحقيقية للمقارنة بينها وبين ماصنعه فن التنكر فى وجهها !



ليست قصة « روميو وجوليت » التى خلدها شكسبير وليدة الخيال . وإنما هى مستمدة من حادثة وقعت فى مدينة فيرونا الايطالية، فتناولتها أقلام الشعراء والمؤلفين فى إيطاليا وفرنسا وانجلترا ، فجاءت تحفة رائعة من تحف الأدب ، وأصبحت شخصية روميو وجوليت الشخصية المثالية للوفاء فى الحب النقى الطاهر . والكاتب الفرنسى بول ريبو يروى فى الكتاب الذى نلخصه هنا قصة هذين العاشقين على حقيقتها

فضل أسرة مونتيكي شمل الفرح أسرة مونتيكي ، كبارها وصغارها ، خدمها وحراسها ، في ذلك اليوم السعيد . فقد وضعت سيدة القصر طفلا ذكرا ، سموه « روميو » وكان هو الأمل الباقي في حفظ سلالة آل مونتيكي من الانقراض

ويقوم قصر الأسرة على ربوة تشرف على نهر « اديج » عند أطراف مدينة « فيرونا » بين رياض وحدائق مونقة . وهو لا يختلف في شيء عن قصور الاشراف والاغنياء في العصور الوسطى

وفي هذا القصر يقيم السيد مونتيكي وزوجته ، نقيضين لا يتماثلان ، فهو رجل طيب القلب ، وهي امرأة مطبوعة على الغم والنكد . والسيد مونتيكي ينتمي الى حزب « جيبلان » الذي يؤيد امبراطور المانيا ضد حزب « الجيلف » الذي يؤيد البابا ، وكانت السلطتان ، سلطة الامبراطور في الشمال ، وسلطة البابا في الجنوب ، تتنازعان النفوذ في ذلك الجزء من أوربا الوسطى والجنوبية ، ولهذا السبب ، كان السيد مونتيكي عنيفا في حقده عند ما يصطدم شعوره الحزبي بشعور خصومه من انصار البابا . واذا كان طيب القلب ، فانه من ناحية أخرى لا يأنف من التعصب لآرائه الحزبية تعصبا أعمى ، يدفع به الى سلوك أشد المسالك وعورة وخطرا

وكان بين أسرة مونتيكي وأسرة «كابيليتي» عداء بسبب تلك الآراء والميول الحزبية . فأسرة كابيليتي تنتمي الى حزب « جيلف » وتناصر البابا ضد الامبراطور ، فضلا عن أن ظروفا خاصة جعلت الأسرتين تتخاصمان الى حد لم يبق معه مجال الى صلح

فقد حدث قبل ذلك الحين بمائة سنة ، أن أحب شاب من أسرة مونتيكي فتاة من أسرة كابيليتي . وبالرغم من الخصومة السياسية ، تم الاتفاق بين الطرفين على أن يتزوج الشاب الفتاة ، ولكن جماعة من حزب « جيلف » لم يدعوا الى حفلة العرس . فنقموا على أسرة مونتيكي ، وهاجموا العريس لدى باب الكنيسة وقتلوه ، ثم جعل كل من الفريقين يتربص بالفريق الآخر الدوائر ، ويسعى الى الانتقام

وكان حاكم المدينة ، البرتو ديلا سكالا ، يميل الى أسرة مونتيكي ، لأنه ينتمي مثلها الى حزب جيبلان . فكانت أسرة كابيليتي تتزعم المعارضة في مدينة فيرونا الحرة !

لهذه الاسباب والعوامل كلها . كان فرح صاحب القصر عظيما ، عند ما

رزق مولودا ذكرا ، يرث الأسرة ، ويسهر على كرامتها ، ويتولى الدفاع عنها تجاه خصومها ، بعد موت أبيه

تربية روميو

كان ذلك فى أواخر القرن الثالث عشر ، حوالى عام ١٢٨٢ ، وكان الناس يؤمنون بقراءة الغيب وتأثير الكواكب على حياة البشر . ولهذا ، فان أول ما فعله مونتيكى هو دعوة العالم « جواليتروس » المشهور فى ذلك الحين ، ليقرأ فى صفحة الغيب ما دونته فيها الاقدار ، بمناسبة مجىء الطفل روميو الى هذا العالم

وقال جواليتروس : « تنبىء الكواكب بأن هذا الطفل سيلتقى برجل قادم من الشرق ، عند ما يبلغ الخامسة والعشرين من عمره . فعليه أن يحذر ذلك الرجل ، لأنه سيلقى ضررا على يديه ، وسيدفع روميو لذلك الشرقى ثمن الشر الذى سيلحق به بواسطته ! »

وسألت الوالدة : « وهل يلاحقه الشر بعد الخامسة والعشرين ؟ »

ولم يجب جواليتروس عن هذا السؤال ، لأن صفحة الغيب التى كان يقرأ فيها لم تنبئه بشىء من هذا القبيل ، كأن السجل الخاص بروميو قد وقف عند ذلك الحد

وممن أسرعوا لزيارة الأسرة فى تلك المناسبة السعيدة ، الراهب لورنزو ، صديق آل مونتيكى ، ومن رهبان دير الفرنسيسكانيين بمدينة فيرونا ، وهو العالم المثقف الذى عهد اليه رب الأسرة بالسهر على تربية ابنه ، وتلقينه مختلف العلوم والفنون

ولم يكن العظماء فى ذلك الوقت يعرفون القراءة والكتابة ، بل ان هذا كان من نصيب الفقراء وأبناء الطبقة الوسطى ، أما الاشراف ، فانهم كانوا يعدون القراءة والكتابة مما يضع من شأنهم ويحط من أقدارهم . ولهذا ، فان روميو ، عند ما بلغ السابعة ، لم ينصرف الى الدرس قراءة وكتابة ، ولكنه كان يصغى لخادمه ومربيه لورنزو وهو يلقنه المعارف تلقينا ، فعلم ان فى الهند رجالا لهم رؤوس كلاب ، وان الضفادع تتولد من الهواء ، وان الشمس تدور حول الارض فى يوم وليلة ، وان فى افريقيا أنواعا من النمل فى أحجام الكلاب ، الى غير ما هنالك من أسرار وعلوم !

واظهر الفتى ميلا خاصا للتدرب على استعمال الاسلحة وركوب الخيل والصيد . وكان « بونافنتى » أمين بيت السلاح فى القصر ، هو المشرف على هذه الناحية من تربية روميو . فنشأ الفتى ، مثل جميع مواطنيه فى ذلك العهد ،

على حب المضاربة والقتل وسفك الدماء . وما بلغ الحادية عشرة ، حتى كان قد مرن على استعمال جميع أنواع الاسلحة المعروفة فى ذلك العهد

روميو يرى جولييت

فى عام ١٢٩٣ أقيمت فى فيرونا حفلة رائعة ، تقرر أن يتبارى فيها الفرسان ورجال الحرب فى الميدان العام.

فكان فرح روميو عظيما ، عند ما قيل له انه سيصحب أباه وأمه الى تلك المباراة

لبست المدينة فى ذلك اليوم أبهى حللها ، واحتلت أسرة مونتيكى فى مكان الاحتفال منصة عالية يرفرف عليها علمها ، كما احتلت أسرة كابيليتى منصة مواجهة لها ، يرفرف عليها علمها أيضا

بدأت المباراة ، وجعل الفرسان يتسابقون فى حلبة الرهان ، يتقارعون بالسيوف ، ويتراشقون بالسهام ، ويتبادلون الطعن بالرماح . فجرح من جرح ، وسقط على الارض من سقط ، واحرز قصب السبق من أحرز ، وتتبع روميو المباراة باهتمام عظيم ، فكان يضحك ويصفق ويهتف مع الضاحكين والمصفقين والهاتفين

ولفتت نظره طفلة فى نحو الخامسة من عمرها ، احتلت مكانها على المنصة المقابلة ، بين السيد كابيليتى وزوجته . فقال روميو لابيه : « أبى ، انظر ، ما أجل هذه البنت الصغيرة ! »

وسكت الوالد عن جوابه ، فكرر هو قوله مرة أخرى : « أبى ، انظر ، من هذه البنت الجميلة الصغيرة ؟ »

وهنا انتهرته أمه قائلة : « اسكت ! نحن لم نصحبك معنا لتشاهد النظارة ، ولكن لترى اللاعبين ! اسكت ! »

لكن روميو ظل يحدق فى الطفلة الجميلة الجالسة هناك بين أبيها وأمها ، وألح أكثر من مرة على أبيه سائلا : « من هى ؟ »

وأخيرا ، ضاق به أبوه ، فوكزه صائحا : « اسكت ! ولا تفكر فى هذه البنت الصغيرة ! انها من أسرة كابيليتى ، ونحن لا شأن لنا بهذه الأسرة ، مهما تكن الفتاة جميلة ! اسكت ! »

سكت روميو فى ذلك اليوم ، ولكنه ظل يفكر فى الفتاة !

ومرت ثلاثة أعوام أخرى ، تقدم فيها روميو خطوات واسعة فى فنون الصيد واللعب بالسلاح . وفى عام ١٢٩٦ ، سمح السيد مونتيكى لابنه بأن يطارد الحيوانات فى الغابات بلا رقيب ، فصار يخرج مع رفاقه ، ومنهم «ماركوشيو» الذى أصبح أقرب الاصدقاء اليه ، والمخصوص بعطفه ومحبته

وحدث مرة أن كان روميو وصديقه ماركوشيو فى نزهة على ضفة النهر ، موقع نظرهما على سرب من النساء والفتيات ، على مقربة من ذلك المكان ، كانت بينهن تلك الفتاة التى استرعت نظر روميو للمرة الاولى فى حفلة المبارزة

وعرف الفتى من صديقه ان الحسناء الصغيرة هى « جوليتا » ابنة كابيلتى ، فكظم غيظه ، ونظر الى الفتاة من بعيد باحتقار واشمئزاز ، وابتعد مزمجرا : « لنذهب من هنا ، فان رؤية أعدائى تضايقنى ! »

فى قصر كابيلتى

لكن ذلك الشعور لم يكن مطابقا للحقيقة والواقع ، فان روميو ظل يرى صـــورتها أمامه فى كل مكان ، وشـــاءت الصدفة أن يلتقى بها مرة أخرى على ضفة النهر أيضا ، فتساءل قائلا : «أيمكن أن يتبادل الناس الحقد والضغينة الى هذا الحد ، دون ان يعاشر بعضهم بعضا ؟»

أما جوليتا ، فانها كانت وحيدة والديها ، وكان الســيد كابيليتى يعنى بتربيتها عناية فائقة مع زوجته ، ويلقنها كره الأسرة المعادية ، أسرة مونتيكى الملعونة !

ولما كان لا بد من البحث عن زوج لتلك الفتاة الوحيدة ، فان الوالد كان شديد العناية فى بحثه ، لأن صهره العتيد سيكون وارث الأسرة من بعده ، وحامل علم آل كابيليتى فى نضالهم ضد أعدائهم

ولم تتعلم جوليتا القراءة والكتابة عملا بالتقاليد المرعية فى ذلك العهد . فالفتاة التى تتعلم القراءة والكتابة هى فقط الفتاة التى يعدها أهلها لتكون راهبة فى دير . فتربية ابنة كابيليتى كانت اذن مقتصرة على تلقينهـــا الصـــلوات والتضرعات ، وتعليمها قواعد التهذيب ، وكيفية الجلوس أمام الناس ، وواجب الطاعة العمياء للوالدين

الصلح الفاشل

فى عام ١٢٩٩ ، بلغ روميو السابعة عشرة من العمر ، فقرر أبوه أن الوقت قد حان لكى يأخذ الشاب نصيبه من المعارك ، وسمح له بأن يلتحق بالجيش الذى اعتزمت مدينة فيرونا تسييره ضـــد المدن المعادية ، بادواوبارما وريجيو . فخرج روميو الى الحرب للمرة الاولى ، وشعر بعد عودته الى قصر أبيه أنه أصبح رجلا !.. ومنذ ذلك الحين ، جعل أبوه يعامله كرجل ، ويتناول فى أحاديثه معه مسائل الحياة كلها ، فيسدى اليه النصائح ، ويحذره من الاستسلام للشهوات ، وينبهه الى الخطر الذى يتعرض له فى تقربه من النساء

وكانت السنة التالية ، سنة ١٣٠٠ ، شديدة الوطأة على سكان فيرونا ، اذ دهمهم شتاء لم تعهد المدينة مثله ، وأصيبت جوليتا فى تلك السنة بمرض أوشك ان يودى بحياتها ، وشفيت منه باعجوبة

وحدث فى تلك السنة أن وجد أحد أنصار أسرة كابيليتى قتيلا فى الطريق، فاتهم حزب جيلف حزب جيبلان بأنه اغتال الرجل ، فهاجم الجيلفيون دار أحد أنصار مونتيكى ، واضرموا فيها النار ، وتنادى هؤلاء وأولئك ، واسرع كل من الفريقين الى السلاح ، واندفع روميو على رأس أصدقائه من حزب جيبلان، وأوشكت الفتنة أن تعم المدينة ، لو لم يبادر الحاكم ديلا سكالا بالتدخل لمعالجة الأمر بالحكمة . فدعا الطرفين المتخاصمين الى مأدبة أقامها ، بغية الوصول الى عقد الصلح بينهما ، وحمل الأسرتين على التسامح والتهادن

لبى الحزبان الدعوة .. وقرعت الاجراس فى ذلك اليوم السعيد ، وخرج الشعب الى الطرقات والميادين مهللا فرحا . وجلس المدعوون حول الموائد ، وتصافت القلوب ، وتقدم الحاكم فأخذ بيد السيد مونتيكى ويد السيد كابيليتى ، وجعلهما يتصافحان على مرأى من الجماهير ، وعقد الصلح بين الأسرتين ..

وتبادل السيدان قبلتين . ولكن مونتيكى بصق على الارض بعد أن قبله كابيليتى ، لان شعرة من شاربه دخلت فى فمه . فظن أنصار كابيليتى ان مونتيكى يبصق على الارض احتقارا وامتهانا ، فصاح الشاب تيبالدو كابيليتى، وهو يمتشق سيفه : « سأغسل هذه الاهانة بالدم ! » واستعد كل من انصار الفريقين للقتال ، غير ان الحاكم تمكن من تهدئة الخواطر ، فانصرفوا جميعا وهم يتبادلون الشتائم والسباب ، ويهدد بعضهم بعضا ، وانتهت المأدبة باثارة الاحقاد من جديد ، وباتساع هوة الخلاف بين آل مونتيكى وآل كابيليتى !

روميو وتيبالدو

كانت جوليتا كابيليتى تميل الى ابن عمها تيبالدو كابيليتى، وكان والد الفتاة ووالدتها يظنان ان الحب سيغزو قلبى الشابين فى القريب العاجل ، وانهما سيتزوجان . ولكن تيبالدو لم يكن ذلك الفتى الذى يجيد حديث الحب ، ويعرف كيف يكتسب قلب فتاة رقيقة الشعور، مثل ابنة عمه جوليتا . فهو شرس جاف الطبع ، وقد ترك الفرصة تفلت من يده

أما روميو ، فانه كان يفكر فى الفتاة من وقت الى آخر ، ولكنه لا يراها ، وكان يتحدث عنها مع رفيقه وزميله ماركوشيو

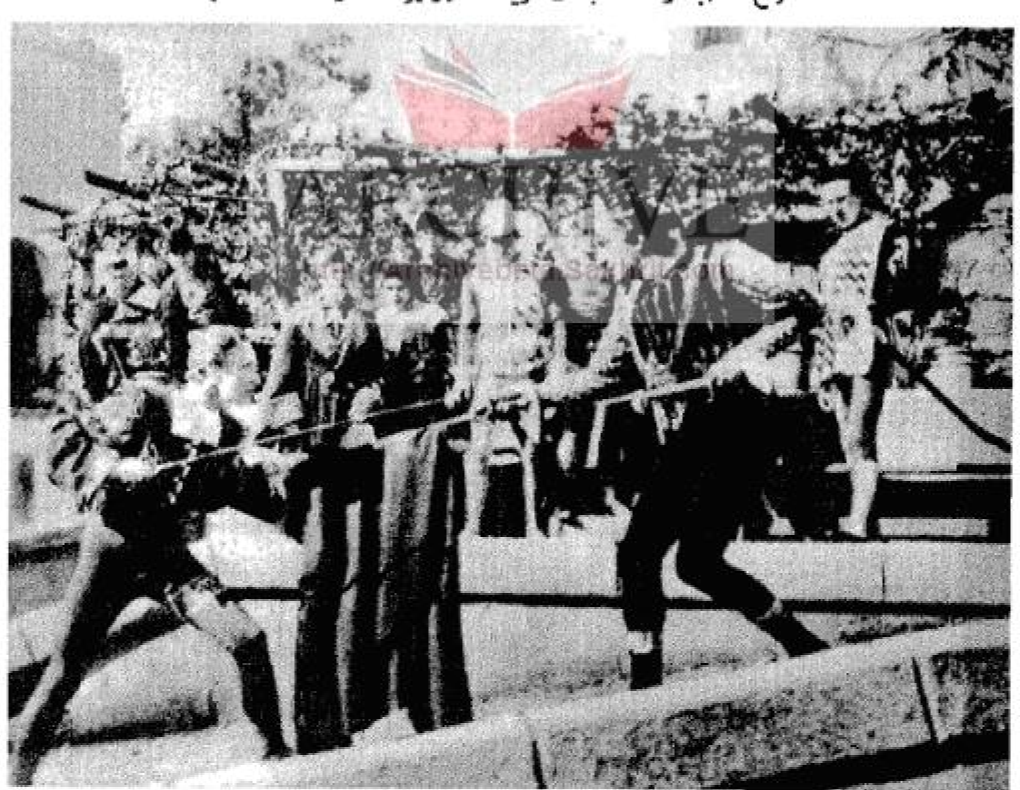
وحدث مرة ان انقذ روميو ابنة أعدائه دون أن يدرى ، اذ تقدم أحد النبلاء، واسمه باولو كابيريل ، خاطبا الفتاة من أبويها ، وكان ذلك الرجل فى آن

واحد ، يتردد على امرأة سيئة السيرة ، يدعى لوكريزيا . فخطر لروميو ان ينقذ المرأة منه وان يعيدها الى السبيل القويم . فجعل يحوم حول بيتها ، وعلم باولو بذلك ، فأقام عندها خوفا عليها من ذلك الشاب الجميل ، وامتنع عن التردد على قصر مونتيكي ، وعدل عن ملاحقة جوليتا

ولم تكن لوكريزيا المرأة الوحيدة التي سعى روميو مونتكي لردها عن السير في طريق الفساد ، فقد حاول أيضا أن ينقذ المرأة روزالندا ، التي اشتهرت في فيرونا بأنها تتاجر بالحب المحرم . وهذا ما لم يكن روميو يتصوره ، لأنه كان ينظر الى الحب نظرة كلها طهر وعفاف

وشاءت الصدف ان تواجه روميو مرة أخرى بأحد أعداء أسرته ، هو الشاب تيبالدو . وكان ذلك في حفلة دينية أقيمت في المدينة ، وسار فيها الشعب ينشد الاناشيد ، ويرتل الصلوات في الشوارع . وحدث في تلك الحفلة ان صدم روميو غريمه تيبالدو صدمة عنيفة عن غير قصد ، فهجم عليه الشاب ثائرا هائجا، وتدخل رجال الشرطة بينهما، فافترقا، وكل منهما يتوعد الآخر!

أسرع « تيبالدو » غاضباً الى غريمه « روميو » محاولا الاعتداء عليه



حفلة فى قصر كابيليتى

وخرج روميو يوما مع صديقه ماركوشيو ، فالتقيا بخادم من رجال كابيليتى يوزع بطاقات الدعوة على أصدقاء الأسرة ، لحضور حفلة ساهرة فى قصر كابيليتى ، فقال روميو لرفيقه:

ــ سأذهب الى هذه الحفلة ، وارقص مع الفتيات !

حاول ماركوشيو أن يثنيه عن عزمه ففشل ، فاضطر الى مصاحبته الى تلك السهرة ، بالرغم مما فى ذلك من طيش ومايكتنفه من خطر . فتنكر الصديقان، وتسللا الى القصر مع المدعوين

وبدأ الرقص فاندفع روميو الى الحلبة ، وجعل يتنقل فيها من امرأة الى أخرى ، ومن فتاة الى فتاة ، ضاحكا هازئا . ولم يفطن أحد من آل كابيليتى الى وجوده بينهم، ولكن حدث فجأة ان سقط القناع عن وجهه ، فعرفه تيبالدو، واسرع الى عمه السيد كابيليتى ينبئه بالخبر المزعج .. ان الشاب روميو ابن عدوه مونتيكى قد تسلل الى القصر !

لكن والد جوليتا أجابه بلهجة هادئة : « لا تغضب يا تيبالدو ، فاننا اليوم فى فرح ومرح . والمدعوون جميعا ضيوفنا هنا »

فألح الشاب على عمه فى أن يطرد روميو من القصر ، لكن كابيليتى رفض اجابته الى طلبه ، وقال له : « اذهب أنت الى الحديقة وتنسم الهواء العليل . فأنت فى حاجة الى الراحة والهدوء ! » فخرج تيبالدو غاضبا ، وظل روميو فى حلبة الرقص

وغنت جوليتا على أنغام القيثار ، وكانت ترتدى ثوبا جميلا ناصع البياض فيتقدم منها الفتيان الواحد بعد الآخر ، ويشاركونها الغناء ، ثم يحاولون اجتذابها ليرقصوا معها ، فكانت تفلت من أيديهم ، فى دلال يثير لواعج الحب فى صدور الشباب

وشعر روميو بدوار يستولى عليه ، فوثب الى الفتاة واحاط خصرها بذراعيه، فانطلقت معه تدور فى حلبة الرقص كالفراشة البيضاء ..

فلما فرغا من الرقص ، وقفت جوليتا ناظرة الى الارض ، ثم رفعت عينيها لتشكر الشاب الذى رقص معها ، لكنه كان قد اختفى !

وخرج روميو مع صديقه ماركوشيو وهو يقول : « أسرع بنا .. أسرع .. اننى أختنق ! من هى ؟ من هى هذه الحسناء الساحرة البيضاء . من هى ؟ قل أتعرفها ؟ »

وأجاب ماركوشيو : « ان انهماكك فى انقاذ روزالندا وغيرها من بنات

الهوى قد وضع غشاوة على عينيك ! كيف ؟ أما عرفتهـا ؟ هى جوليتا ابنة كابلتى ! هل نسيتها ؟ »

وردد روميو الاسم اللطيف : « جوليتا ، جوليتا .. اسمها جوليتا .. أريد أن أراها مرة أخرى ! »

فنصحه صديقه بألا يحاول لقاءها خلسة خارج بيتها ، وحذره من ذلك ، وتساءل عما اذا كان ما يشعر به روميو هو الحب الصحيح ، أم هو شعور عابر ؟ لكن روميو قال له : « سأحبها الى الأبد ! »

دعاء مستجاب

خرجت جوليتا فى تلك الليـلة الى شرفتها ، وجعلت تفكر فى ذلك الشاب الغريب الذى راقصها ولم تعرفه ، فشعرت وهى تدور معه حول الحلبة ، بأن آفاقا جديدة مجهولة قد فتحت أمامها

ما أجمله ! ان نظراته كانت ترسل بريقا نفذ الى اعماق صدرها ، انه راقص ماهر ، فمن هو ؟ ولماذا اختفى بتلك السرعة ؟

كانت شرفتها تطل على الطريق ، وكانت أفنان الاشجار تتمايل مع نفحات النسيم حول القصر ، فغرقت جوليتا فى بحار من الاحلام اللذيذة ، وخيل اليها فجأة أن ذلك الفتى الغريب قادم اليها من بعيد ، من هناك ..

كان ذلك حلما ، فيا للأسف !

وتنهدت الفتاة ، وتضرعت الى الله ان يعود الفتى اليها مرة أخرى !

واستجاب الله دعاءها ! ففى يوم الاحد التالى ، ذهبت جوليتا الى الكنيسة، وذهب اليها أيضا روميو . وشاءت الاقدار ان يلتقيا فى بيت العبادة

كانت راكعة تصلى بخشوع ، فرآها روميو من بعيد . ورفعت رأسها فالتقى الناظران ، وارتجفت الفتاة وارتجف الفتى ، ثم خرج روميو مسرعا ، وقد أحس بأن حياته قد بلغت حدا فاصلا بين الماضى والمستقبل ، وأحست هى مثل احساسه ، فقد تخاطب القلبان ، وفهم كل من الشابين الآخر دون أن يتبادلا حديثا ، ونفذ الحب الى صدريهما ، فعقد كل من روميو وجوليتا العزم على السعى الى صاحبه

وكانت المدينـة تستعد لمباراة جـديدة فى الرماية ، والسباحة ، وألعـاب السيف ، وركوب الخيل ، والفروسية بأنواعها ، فاشترك روميو فى المباراة واحرز فيها قصب السبق ، وكانت جوليتا بين الحاضرين فصفقت وطربت ، ولم تنظر خلال المباراة الى غيره من المتسابقين ، ولم يفكر هو من ناحيته فى غيرها ممن شهد الاحتفال

جولييتا في شرفتها

قال روميو لصديقه ورفيقه العزيز ماركوشيو : « لن نخرج معا اليوم ، لانني في حاجة الى العزلة ! »

ولكنه في الواقع لم يطلب العزلة ، وانما كان يبغي لقاء الحسناء التي فتنت لبه ، فقد قصد في ذلك المساء الى قصر كابيليتي ، وجعل يحوم حوله ، متلفتا يمينا ويسارا ، محدقا في النوافذ والشرفات ، لعل نظره يقع على وجه جولييتا الصبوح

ظل يرقب القصر طول الليل ، وقلبه يخفق ، ولكن الليل انقضى ٠٠ولم يفز الفتى العاشق بما يشفي غليل شوقه ٠ فعاد الى داره حزينا كئيبا ، غير ان ذلك لم يثبط عزيمته ، ولم يمنعه من العودة الى المراقبة في المساء التالي

مر الوقت ساعة بعد ساعة ، واعتقد روميو أن ليلته هذه ستمضي كسابقتها ، ولكنه أخطأ التقدير ، فبينما كانت ساعة الدير تدق الثانية بعد منتصف الليل ، أبصرت عينا الشاب نورا يضاء في احدى الحجرات ، ثم فتحت النافذة ، وأضيئت الشرفة ، وخرجت جولييتا اليها متشحة بثوبها الابيض ، وخيل اليه ان ملاكا هبط أمامه من السماء !

تراجع الفتى الى الوراء ليختبيء بين الاشجار ، فسمعت جولييتا وقع قدميه ، وتولاها شيء من الذعر فنادت بصوت متهدج : « من هنا ؟ »

تردد روميو قبل ان يجيب ٠ هل يظل واقفا في مكانه ، جامدا ، فيثير مخاوف الفتاة ؟ أم يرد على ندائها لكي يطمئن بالها ؟

لم يطل تردده بين الامرين ، فاختار الثاني ، وقال بصوت خافت وهو يقترب من الشرفة :

ـ لا تقلقي أيتها الآنسة ، فأنا لا اضمر لك غير الخير !

فانحنت جولييتا ، وعرفته ، فتمتمت :

ـ السيد روميو مونتيكي ؟ ماذا تصنع هنا ؟

ـ ان الليل هاديء ، ولا أريد أن أضيعه في النوم

ـ وأنا كذلك ! لا أجد راحة في النوم ، وهذا النسيم يطيب لي !

سكت روميو لحظة ، ثم استطرد قائلا :

ـ ألا نذهب معا الى الحقول ، نقطف الازهار والرياحين العطرة ؟

ساورها شيء من القلق لهذه الدعوة المفنعة ، وأجابت :

ـ طاب ليلك يا سيدي !٠٠

وتراجعت بضع خطوات الى الوراء ، فابتهل اليها من جديد :

ـ لا تنصرفي ٠٠

ـ يا سيد مونتيكي .. لو علم أبى اننى قضيت السهرة هنا ، وانى خاطبتك، لكانت نقمته على عظيمة !

ـ أنت اذن عدوتى ؟

ـ لست عدوى .. ولكن اسمك هو الذى يجب أن أخشاه !

ـ وهل معنى هذا انه يجب على أيضا ان اكرهك وأخشاك ؟

ـ واأسفاه ! .. هذه تقاليد أسرتينا يا سيدى ، ولن نستطيع لها نقضا !

ـ وأى خطر للاسم ! اذا أنت سميت الوردة بغير اسمها ، فهل تبع ذلك عبيرها ؟

طال الحديث بين الفتى والفتاة . فاقسم روميو لجوليتا أنه يحبها ، وان الحب وحده ، الحب الطاهر ، هو الذى قاده اليها ، وأملى عليه الكلمات التى ينطق بها ..

وشعرت جوليتا بأن الشاب صادق فيما يقول، وارتعد جسدها بتأثير العاطفة التى دفعت روميو اليها . فهى سعيدة بالبقاء فى الشرفة تخاطبه ويخاطبها ، ولكنها تخشى عواقب فعلتها . تخشى عليه أكثر مما تخشى على نفسها ، فقالت :

ـ أرجوك أن تنصرف يا سيدى ! فلو فاجأك أحد هنا ، لتعرضت لخطر عظيم !

لكن روميو كان يهزأ بالخطر فى سبيل من يحب ، فاقترب من الشرفة ، وتسلق الجدار مستعينا بالأشجار، وما هى الا لحظة حتى وجد نفسه مع جوليتا، جنبا الى جنب فى الشرفة . فتناول يدها ، وطبع عليها قبلة حارة !

مفاوضات بين الاسرتين

فى اليوم التالى ، عاد روميو الى الشرفة ، وتقابل العاشقان مرة أخرى . وقال لها روميو : انه لا يفكر الا فيها ، وقالت له : انها لا تفكر الا فيه . اذن ، ما الذى يمنعهما من أن يكونا لبعضهما مدى الحياة ؟ وماذا يحول دون زواجهما ؟

تبادل الشابان الرأى فيما يجب عليهما أن يفعلا . فان العداء المستحكم بين أسرتيهما هو المانع الوحيد من ارتباطهما برباط الزوجية المقدس، فكيف السبيل للتغلب على تلك العقبة الكأداء ؟

خطر لروميو خاطر وافقت عليه جوليتا فى الحال . سيذهب الشاب الى السيد ديلا سكالا حاكم المدينة ، ويطلب منه أن يكون وسيط خير بين أهله وأهلها ، وان يفاوض الأسرتين فى أمر الزواج ، وهو قادر بفصاحته وقوة حجته على حمل السيدين : مونتيكى وكابيليتى ، على الرضاء !

واسرع روميو الى الحاكم فقص عليه قصته . ورحب الحاكم بالفكرة، وتطوع لتذليل المصاعب ، على أمل أن يحقق حلم الشابين من ناحية ، ويعيد السلام والوئام الى المدينة من ناحية أخرى . ولكنه طلب من روميو أن يمتنع منذ تلك اللحظة عن مقابلة الفتاة ، تاركا له الفرصة اللازمة لعقد الصلح

واطلع روميو حبيبته على ما حدث ، ففرحت جولييتا ، واقسم كل من العاشقين للآخر انه سيبقى وفيا للعهد المقطوع بينهما ، أيا كانت نتيجة المفاوضات

وكانت مهمة الحاكم صعبة شاقة . فقد عرض على السيدين مونتيكى وكابيليتى أن يعقدا الصلح ، على أساس الزواج بين الفتى والفتاة ، فيسدل الستار على الماضى ، ويفتح أمام الجميع عهد جديد مملوء بالسعادة والهناء

لكن مونتيكى أجاب بأن ابنه لن يرضى أن يكون زوجا لابنة عدوه . واجاب كابيليتى بأن ابنته لا تزال فى ميعة الصبا ، وهو لا يفكر فى تزويجها !

ولم يفقد ديلا سكالا الأمل فى الوصول الى حل ، وظل يواصل مفاوضاته مع الطرفين العنيدين . لكن الاقدار شاءت أن يموت الرجل قبل ان تنتهى مهمته ، فاستولى اليأس على روميو وجولييتا !

العاشقان فى خطر

بدا الحزن والسقم والضجر على الشابين ، دون أن يدرك أهلوهما سببا لذلك . فتساءل مونتيكى وزوجته : «ما بال روميو مسترسلا فى الهموم ؟» وتساءل كابيليتى وزوجته : «ما بال جولييتا كئيبة تكثر من البكاء ؟»

ظن مونتيكى أن رحلة الى الخارج تعيد الى وحيده مرحه ، فاقترح عليه ان يسافر الى مدينة البندقية مع قافلة من التجار

وظن كابيليتى ان الوقت قد حان ليقترح على وحيدته الزواج بأحد أشراف المدينة ممن يتوقون الى مصاهرته

ووافق روميو على السفر ، فغادر فيرونا مع لفيف من الخدم ، ولكنه كان شاحب الوجه ، بل كان جسما بلا روح . فجسمه وحده هو الذى انتقل من فيرونا الى البندقية . اما روحه فقد بقيت فى المدينة تحوم حول شرفة حبيبته

واما جولييتا ، فانها لم ترقص فرحا ، كما كانت تأمل أمها ، عند ما عرضت عليها أن تتزوج السيد بيترو روزولينى ، صاحب الاملاك الشاسعة ، والجاه العريض .. بل قالت الفتاة لامها ولأبيها ، بعد ان ضايقاها بالحاحهما : «الحب لا ينشأ فى القلب بهذه الطريقة المفتعلة . انى لا أعتز بميل الى هذا

الشريف النبيل الغنى ، فضلا عن انى لا أفكر فى الزواج الآن ! »

لكن الوالد لم ينظر الى المسألة نظرة ابنته اليها ، بل أراد أن يرغمها على القبول ، فصاحت الفتاة فى وجهه: « كلا ! كلا! لن اتزوج رجلا بالرغم منى!»

وغضب كابيليتى ، فرفع يده ليضرب ابنته ، لكن الام تدخلت وحالت بينه وبينها ، فخرج الوالد غاضبا متوعدا ، واجهشت الفتاة بالبكاء !

وكان روميو قد اتفق مع « أورزيبا » مربية الفتاة على ان تمهد السبيل للقاء العاشقين ، مقابل دريهمات دفعها اليها ، فجاءت المربية ذات يوم تقول : ان تاجرا من البندقية قد وصل الى القصر ، وانه يحمل من السلع والمجوهرات والاقمشة الثمينة الشيء الكثير . فسمحت الام بأن تقابل ابنتها ذلك التاجر ، وتبتاع منه ما تشاء ، ولم يكن تاجر البندقية غير روميو جاء متنكرا !

رأته جوليتا فعاودها الأمل . وفى اليوم التالى ، خرجت الفتاة الى شرفتها كما كانت تفعل من قبل ، فاذا بروميو يدعوها الى النزول الى الطريق ، فتلبى دعوته ، وتهبط اليه مستعينة بذراعيه ، ويبتعد العاشقان فى الحقول ، حيث يكرر كل منهما للآخر قسم الولاء والوفاء ، فتعاهدا مرة أخرى على الحب الدائم ، وعادا الى القصر فساعد روميو حبيبته على تسلق الشرفة والدخول الى غرفتها ، وبعد أن اطمأن عليها ، واغلقت باب الشرفة ، تبادل العاشقان قبلتهما الاولى من خلال الزجاج !

وأراد روميو أن يدفع الخطر مرة أخرى عن حبه المهدد ، فتآمر مع صديقه ماركوشيو على أن يلقيا بالسيد روزوليني بين ذراعى المرأة روزالندا ، ونجحت مؤامرتهما ، فكان اغواء المرأة واغراؤها تامين كاملين ، وانصرف روزوليني عن جوليتا ، وأصبح الميدان حرا من جديد أمام روميو !

لكن كابيليتى العنيد وجد لابنته خاطبا آخر ، بعد ان أضاع من يده السيد روزوليني . أما الخاطب الجديد فهو السيد لودروني ، من الاشراف الاغنياء أيضا

حاولت جوليتا أن تتخلص من هذا الرجل الذى يريدونه لها زوجا ، واعتقدت ان ابن عمها تيبالدو قد يساعدها على الخروج من المأزق . فاطلعته على كل شيء ، وافضت اليه بسرها ، فعلم الشاب ان جوليتا تحب روميو مونتيكى، ولا ترضى بغيره زوجا لها !

أخطأت جوليتا فى الاعتماد على ابن عمها . فان هذا الشاب الذى كان يكره روميو ويضمر له الشر ، لا يمكن أن يأخذ بيدها لتحقيق الأمل الذى كانت تعلل نفسها به . فقد أسرع تيبالدو الى عمه كابيليتى ، واطلعه على

السر ، فذهل الرجل لعظم المصاب ! كيف ؟ جوليتا ابنته الوحيدة ، تحب ابن عدوه ، وتلتقى به ؟ يا للكارثة ! كيف العمل ؟ وكيف السبيل لاثبات الجرم على الفتاة التعسة ؟

أقدم الاب على محاولة أخيرة لاقناع ابنته بقبول الكونت لودروني زوجا لها، فاقسمت له انها لن ترضى به ، وانها تؤثر دخول الدير على زواج كهذا

شهود الاثبات !

كان يعيش فى فيرونا ، فى ذلك الوقت ، رجل أحدب ناقم على الحياة وعلى الناس أجمعين ، وكان ذلك المشـوه القبيح الخلقة ، يكره الجمال ويسعى دائما لالحاق الضرر والاذى بكل ما هو جميل

وشاءت الظروف السيئة انيشاهد الاحدب منظرا من مناظر الشرفة المألوفة بين روميو وجوليتا . فقد قادته قدماه الى الطريق فى احدى الليالى التى كان فيها روميو على موعد مع حبيبته ، فرآهما الاحدب، واسرع الى السيد كابيليتى ينبئه بما رأته عيناه !

جن جنون الرجل ، عند ما قص عليه الاحدب ما حدث ، واثبت له انه تتبع آثار أقدام الشاب العاشق بواسطة حفنات من الرماد ذرها على الارض ، وعلم منها ان روميو مونتيكى هو الفتى الذى يلتقى كل ليلة بابنته جوليتا

وروى الاحدب للوالد الثائر الغاضب كيف ان ابنته هبطت من شرفتها الى الطريق ، وسارت مع عشيقها الى الغابة ، وكيف جعلا يتبادلان أحاديثالغرام وعهود الوفاء مشفوعة بالقبلات . وأضاف الى ذلك كله قائلا : انه خدع روميو بأن عرض نفسه عليه ليراقب الطريق فى أثناء خلوة العاشقين ، وان الشاب قبل ما عرضه عليه ، فساعده ذلك على التثبت من حقيقة الأمر ، بحيث لم يبق هناك مجال للشك

وختم الاحدب حديثه قائلا : ان العاشقين قد افترقا على هذه الكلمات التى قالتها جوليتا للشاب : « اذهب يا حبيبى ! اذهب فى رعاية الله .. انىزوجتك أمام الله ! »

وخرج كابيليتى مع الاحدب الى الطريق ، فقاده الخبيث الخائن الى المكان الذى التقى فيه العاشقان ، ودله على آثار الاقدام فى الرماد ، من تحت شرفة قصره ، الى باب قصر مونتيكى . انها شواهد اثبات لا سبيل الى انكارها !

وجعل الاب يصيح : « سأقتلها ! سأنتقم منها ! »

وتباحث كابيليتى مع زوجته ، ورأيا ان أول ما يجب عليهما هو نقل الفتاة من حجرتها المطلة على الفناء ، الى حجرة أخرى فى داخل القصر ، من الناحية

التي تطل على الحوش ، بحيث يصبح مستحيلا عليها أن تتصل بعشيقها من الخارج
ونفذ الوالد هذا الرأى فى الحال !

الزواج السرى

لم تفتح جوليتا نافذة الشرفة فى الايام التالية ، ولم تغادر غرفتها ، فاضطرب روميو وساوره القلق ، فاسرع الى الراهب لورنزو ، صديق أسرته الوفى ، وبادره بسؤال بث الخوف فى صدر ذلك الرجل الطيب : « ابتاه ! أممكن ان يموت الانسان من الحب ؟ اذا كان هذا ممكنا ، فان شخصين أعرفهما سيموتان قريبا ! »

وفتح الشاب قلبه للراهب ، فاخبره بما يعانيه من ألم نفسى ، وعذاب لا يطاق . وحاول لورنزو أن يعيد الطمأنينة الى نفس الشاب المحب فلم يستطع . وغادره روميو فى حالة انفعال شديد ، فخشى الراهب ان يقدم الشاب على عمل طائش ، وان يدفعه اليأس الى الانتحار . فجلس يفكر فى وسيلة لانقاذ العاشقين

وكانت جوليتا من ناحيتها قد استرسلت فى الغم والكآبة ، منذ نقلت من حجرتها الى حجرة أخرى فى واجهة القصر الداخلية . وفكرت فى وسيلة للاتصال بحبيبها ، فطلبت من أمها ان تسمح لها بمقابلة الراهب لورنزو ، لانها ترغب فى التحدث اليه والاعتراف له

وأجابتها الام الى طلبها ، فحضر لورنزو الى قصر كابيليتى ، وسمع اعتراف الفتاة وأدرك سرها ، بعد ان كان قد أدرك ذلك السر من حديث روميو اليائس

وفاجأته الفتاة بطلب ذعر له الراهب ذعرا شديدا . فقد قالت له : « لم يبق لى أمل فى الحياة يا ابتاه ! فاعطنى سما يريحنى من هذا العذاب الذى أعانيه ! »

أرادت جوليتا اذن أن تنتحر بالسم ، تخلصا من حياة لا طاقة لها باحتمالها بعيدة عن روميو . فحاول الراهب ان يثنيها عن عزمها باعادة الأمل الى نفسها المضطربة . ولكنه فشل فى محاولته معها ، كما فشل من قبل فى محاولته مع روميو . فما العمل ؟

خطر لجوليتا خاطر ، فقالت : « لو كنت مرتبطة بروميو برابطة الزواج ، لما كان لأحد سلطة علينا . أليس كذلك يا أبت ؟ فزوجنا اذن ! زوجنا سرا ، ولنضع أهلى وأهله أمام الامر الواقع ! »

عمدت الفتاة الى أبرع الكلمات وأكثرها تأثيرا فى النفس ، لتقنع الراهب بالنزول على رغبتها ، وألحت عليه الى حد انتهى معه الراهب الى الاقتناع ، فوعدها بأن يحقق أملها ، وبأن يعقد زواجها سرا على روميو ، وأخذ على عاتقه مهمة تمهيد السبيل للقاء جديد فى كرسى الاعتراف ، بالدير الذى يقيم فيه

وهكذا كان .. فقد وافاه روميو فى اليوم التالى الى كنيسة الدير ، ووافته اليها أيضـا جوليتا . وأجلس الراهب الحبيبين أمامه ، وضم يد الفتاة الى يد الفتى ، وفاه بالكلمات المقدسة التى تعقد بين الرجل والمرأة عهدا لا يفصمه غير الموت !

وأدرك الراهب انه أقدم على عمل خطير . ولكن ضميره كان مرتاحـا الى ما فعل ، لانه ، فى اعتقاده ، قد انقذ روحين من الهلاك . فشكر الشابان الراهب الطيب القلب على عطفه ووفائه ، وقال روميو : « الآن ، لن تستطيع قوة على الارض ان تنتزع منى المرأة التى أصبحت زوجتى أمام الله ! »

وعادت الفتاة الى قصرها . وعاد الفتى الى قصره ، وكانا يجهلان ما تخبئه لهما الايام المقبلة !

قتل وحكم بالنفى

علم تيبالدو ، ابن عم جوليتا ، من الاحدب اللعـين ان ابنة عمه التقت أكثر من مرة بغريمـه روميو ، فعقد النيـة على الانتقام من الشاب الذى سلبه قلب الحسناء ، واتفق مع اثنين من رجاله على التعرض له فى الطريق وضربه ، أو قتله اذا لزم الأمر

ونفـذ تيبالدو عزمه ، فذهب مع الرجـلين الى مكان كان يعرف أن روميو وصديقه ماركوشيو سيمران منه ، وكمن الثـلاثة فى ذلك المكان ، حتى أقبل روميو ورفيقـه ، فاعترضوهما ، وامتشق كل من الشبـان الخمسة سـيفه ، ودارت بينهم معركة حامية . أصيب الجميع فيها بالجراح، غير أن روميو لم يسعه أمام عناد تيبالدو وحقده وثورة غضبه ، الا أن يدافع عن نفسه الى أبعد حدود الدفاع ، فكانت النتيجة ان أصيب تيبالدو بطعنة من سيف روميو ، فنفذ النصل من صدره الى ظهره ، وخر الشاب على الارض يتخبط بدمه

وشاع الخبر فى المدينة على اثر ذلك الحادث الخطير ، فثارت الاحقاد فى نفوس الفريقين المتخاصمين ، أنصار كابيليتى وأنصار مونتيكى ، واضطر حاكم المدينة الى اتخاذ قرار سريع لانقاذ الموقف ، فحكم على روميو بالنفى من فيرونا ، فذهب الى مدينة مانتو ، حيث بات يرقب الاخبار عن حبيبته التى ساورها اليأس من جديد

واغتنم آل كابيليتى الفرصة السانحة للاسراع فى عقد خطبة الفتاة على السيد لودرونى ، وكان الجميع يجهلون ان جوليتا قد أصبحت زوجـة روميو سرا .



القتيل هو ابن العم العزيز .. والقاتل هو الزوج الحبيب !

ولم تقل الفتاة شيئا ، بل اسرعت الى الراهب تطلعه على عزم أبيها وأمها ، وتطلب نصيحته للخروج من تلك الورطة . فأعطاها لورنزو شرابا قال لها انه « اكسير الحب والحياة » ، وطلب منها ان تشربه يوم الاحتفال بخطبتها . فان ذلك الشراب سيفقدها كل حركة لبضعة أيام ، فيظن أهلها انها ماتت ، فتنقل الى ضريح الاسرة ، وهناك ، سيعمد الراهب الى انقاذها بعد ان ينتهى مفعول الشراب ، ويعيدها الى حبيبها ، فينعم الزوجان بالحياة السعيدة ، بعيدين عن المدينة والاهل والاعداء

وبعثت جوليتا الى روميو بواسطة مربيتها كتابا أنبأته فيه بما عزمت عليه ، وقالت له انها ستشرب الاكسير الذى يفقدها الحياة لبضعة أيام ، وانها تنتظر عودته فى الضريح ، وليس عليه الا ان يحضر الى فيرونا فى اليوم العاشر من ذلك الشهر ، فى ساعة الظهر ، لكى يشهد قيامها من بين الاموات وعودتها الى الحياة !

عرس ينقلب الى مأتم

خرج سكان فيرونا فى ذلك اليوم مغتبطين فرحين الى شوارع مدينتهم وميادينها وازقتها ، لمشاركة آل كابيليتى عيدهم ، فان ذلك اليوم سيشهد زواج الحسناء جوليتا بالكونت دى لودرونى السعيد الحظ . وأسرة كابيليتى تريد أن يكون العرس فريدا فى بابه، تتناقل أخباره الركبان ، ويتحدث بعظمته الناس مدى الاجيال !

نهضت جوليتا فى الصباح تصطنع الفرح والسرور ، وارتدت أفخر ثيابها ، وجعلت تضحك وتتبادل الاحاديث مع وصيفاتها ، ولكنها تناولت زجاجة صغيرة من جيبها ـ كانت تحوى اكسير الحب والحياة كما وصفه الراهب لورنزو ـ وشربت ما فيها دفعة واحدة !

وخرجت فى موكب العرس رائعة الجمال بهية الطلعة . وعند ما وصل الموكب الى الكنيسة ، تقدمت العروس وارتقت درج الهيكل بخطى بطيئة ، ثم خارت قواها ، وسقطت بين أيدى الحاشية دون حراك ، بينما كانت أصوات الشعب ترتفع فى الخارج مهللة مكبرة !

شربت العروس دواء الراهب فاذا بها جثة لاحراك بها



نقلت الفتاة الى القصر ، وساد الهرج والمرج فى المدينـة ، وانقلب العرس مأتما ، وحل العويل محـل الاناشيد ، وغشى الوجوم وجسوه الناس ، وتناقلت الألسنة الخبر الفظيع : لقد ماتت جوليتا وهى فى طريقها الى الهيكل !

وبدل أن تحتفل أسرة كابيليتى بعرس ابنتها ووحيدتها ، احتفلت فى ذلك اليوم المشؤوم بمأتم الفتـاة . فدفنت جوليتا حسب الطقوس المرعيـة والتقاليد المتوارثة عند الاسر الشريفة، فوضعت فى نعش مكشوف، فى ضريح الاسرة الذى يضم رفات الآباء والاجداد . .

وتسلم الجثة فى الدير الراهب لورنزو ، الذى رفع الى الله آيات الشكر على نجاح حيلته ، وعزم على السهر على الفتاة حتى ينتهى مفعول الاكسير وتعود الى الحياة ، وتعود الحب مع الحياة الى قلبها

وكان روميو يرقب الاخبار فى منفاه بمدينة مانتو . وشـاء حظه العاثر أن تصاب المدينة بوباء فيحرم الحاكم على الناس الخروج منها أو الدخـول اليها ، وكان الشاب قد علم من بعض القادمين من فيرونا قبل ذلك بأيام ان آل كابيليتى يعدون العدة لعقد زواج ابنتهم على الشريف لودرونى ، فطار لبه ، وجعل يتحين الفرص للهرب من مانتو والعودة الى فيرونا ، مهما كلفه ذلك من مشقة

ووصل الى أبواب المدينـة ذلك الرسول الذى حملتـه جوليتا رسالتها الى روميو ، واطلعته فيهـا على سر الاكسير وموتها المزيف ، لـكن الحرس منعوا الرجل من دخول الابواب ، وطردوه بعيدا عن الاسوار . .

ولكن روميو ظل مواظبا على الذهاب الى أبواب المدينة كل يوم . فعلم من أحد الباعة القادمين من فيرونا ان العرس قد انتهى بمأتم ، وان الفتاة جوليتا ماتت من الفرح ــ اذ ان الناس كانوا يعتقدون ذلك ، لجهلهم السر الهائل الذى دفع بالمسكينة الى فعلة اليأس التى أقدمت عليها

وما سمع روميو ذلك الخبر الفظيع ، حتى فقد صوابه ، فعاد الى غرفته حائرا متسائلا : ماذا عليه ان يصنع ؟ ولم يلبث أن خرج الى شوارع مانتو لا يلوى على شىء

على ضريح جوليتا

قادته قدماه الى منزل الطبيب اليهودى « ايليـاس » الذى كان الناس يعتقـدون فيه السحر والقـدرة على اتيـان المعجزات ، فدخل عليه الشاب وهو فى أشد حالات القلق والاضطراب ، وطلب منه سما يشفى من الشقاء والعذاب ، فاعطاه الرجل ما طلب مقابل اربعة دنانير



ذهب « روميو » الى الساحر واشترى منه سماً يشفى من الشقاء والعذاب

دفعها الشاب الى الساحر ، فتحققت النبوءة القائلة بأن روميو سيدفع ثمن الضرر الذي يلحقه بواسطة رجل من الشرق !

وتمكن الشاب من التسلل خارج أسوار مانتو بالرغم من الحراسة الشديدة، وأسرع عائداً الى فيرونا دون أن ينتبه الى عودته أحد ، فذهب الى ضريح أسرة كابيليتي في الدير الذي يقيم فيه لورنزو ، ولكنه لم يطرق باب الراهب بل توجه مباشرة الى حيث ترقد حبيبته رقادها الاخير ، وهو يجهل من أمرها ومن أمر الاكسير كل شيء !

ها هو نعش جوليتا !

يا للمعجزة ! انها مستلقية فيه كأنها غارقة في نوم هادىء عميق ! أممكن ان تكون الحياة قد فارقت هذا الجسد البديع ؟ انها مشرقة الوجه . . انها تبتسم!

ركع روميو أمام جثمان الحبيبة الميتة ، وتناول من جيبه السم الذي أخذه من ايلياس اليهودي ، وتجرعه على مقربة من الفتاة التي تعد زوجته والتي لم ينعم بوصالها ، ثم القى بنفسه على النعش ، وأخذ رأس جولينا بين يديه ، وراح

تقبل ذلك الوجه المصبوح وتلك الشفاه الحمراء، وذلك الفم المرمري ، ويردد قائلا : « زوجتي ! حبيبتي ! لقد اجتمعنا ولن نفترق بعد اليوم ! سأرقد بجانبك الى الابد يا جوليتا ! »

ولكن ، ما هذا ؟ ماذا حدث ؟ ان الجثة تتململ : ان جوليتا تفتح عينيها ! ان شفتيها تتحركان ! .. جوليتا لم تكن ميتة ! .. وها هي الكلمات تنطلق من فمها ، بصوت خافت متهدج :

ـ حبيبي ! روميو ! لقد عدت ؟ الحمد لله ! كنت واثقة من ذلك .. انني ميتة في نظر الجميع ، حية لك وحدك !

لقد بعثت جوليتا بعد موتها ! .. وروميو أمامها ، يتراجع الى الوراء ، مصعوقا ، مذهولا !

ـ أمجنون أنا ؟

الفناء الاخير

كلا ! لم يكن روميو مجنونا ..

نهضت جوليتا من فراش الموت ، وخرجت من نعشها مبتسمة فرحة ، وقالت لحبيبها :

ـ لست مجنونا أيها الحبيب ! ألا تجري الامور على هوانا ؟ أما كتبت اليك بأن الراهب الطيب القلب لورنزو أعطاني اكسيرا أفقدني الحركة بضعة أيام ؟ أما دعوتك الى العودة الى هذا الضريح لتشاهد قيامي من بين الاموات فجئت في الموعد ؟ انت هنا .. وانا حية .. لنبتعد اذن معا الى حيث الهناءة والسعادة!

فصاح روميو :

ـ جوليتا ! .. لم تصلني الرسالة التي تتحدثين عنها ، وقد بلغني خبر موتك فصدقت الخبر ، وجئت الى هنا لكي أموت بالقرب منك .. جوليتا ! لقد رأيتك جثة هامدة في القبر فتناولت السم !

فانطلقت من صدر الفتاة المسكينة صرخة مرعبة : « السم ! السم ! أتريد أن تموت ؟ »

ألقت بنفسها بين ذراعيه .. على أمل ان تعيد اليه حياة بدأت تتسلل من بين جوانحه انسلالا . ولكن هيهات أن تحول عواطفها دون حكم القضاء !

قامت جوليتا من بين الاموات في اللحظة التي خطا روميو فيها خطواته الاولى الى القبر .. وادركت الفتاة كما أدرك الفتى انه لا مرد لما كتب لهما من شقاء على صفحات الغيب . ففتح كل منهما ذراعيه للآخر ، وتعانقا عناقا طويلا . واغمض روميو عينيه ، ولفظ أنفاسه الاخيرة في أحضان حبيبته ، بينما كانت

جولييتا تستل خنجر حبيبها من قرابه ، وتغمده فى صدرها ، فتسيل دماؤها غزيرة على صدر الحبيب ، وتتشابك الجثتان فى عناق أخير !

هكذا انتهت حياة العاشقين التعسين ، اللذين لم ينعما بالراحة فى هذا العالم ، فبحثا عنها فى العالم الآخر ! وكان روميو فى الخامسة والعشرين ، وكانت جولييتا فى السابعة عشرة !

وعندما ذاع خبر موتهما فى المدينة، دعا الحاكم أفراد الأسرتين المتخاصمتين لزيارة الضريح ، فتصافح والد الفتى ووالد الفتاة ، أمام الجثتين الهامدتين

ودفن العاشقان فى ضريحين متجاورين ، فى حديقة الدير . وفى الربيع ، نبتت على ضريح جولييتا وردة برية امتدت فروعها نحو ضريح روميو . فقطع الراهب البستانى تلك الوردة من جذعها . ولكن وردة ثانية نبتت على ضريح روميو ، وامتدت فروعها نحو ضريح جولييتا . فتركها الراهب . وما هى الا أسابيع ، حتى نفذت الفروع الى داخل الضريح خلافا لقوانين الطبيعة، وتفرعت منها فروع كثيرة أخرى ، فغطت الورود الضريحين، ليبقى العاشقان فى مرقدهما الاخير متعانقين ، دون أن تزعجهما أعين الرقباء والحساد !



دفاع عن الرأسمالية ..

لو قسمنا العالم وفق الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لقسمناه قسمين : أحدهما يتجه الى الاشتراكية تتقدمه فى هذا روسيا السوفييتية ، وثانيهما يقوم على الرأسمالية وتتزعمه فى هذا الولايات المتحدة .. وقد جرت مناقشة بين ثلاثة من رجال أمريكا النابهين ، هم الأستاذ بول هـ . دوجلاس بجامعة شيكاغو ، وبول ج . هوفمان رئيس اتحاد سيارات ستوديبكر ، ومستر نيل هـ . جاكوبى نائب رئيس جامعة شيكاغو ، حول مزايا الرأسمالية ومساوئها ، نسجلها فيما يلى :

جاكوبى : أقترح ان نبدأ الأمر من أوله ، فنحدد معنى هذا الشيء الذى يسمونه الرأسمالية . فما هى الرأسمالية يا أستاذ دوجلاس ؟

دوجلاس : أرى ان للرأسمالية ثلاثة مظاهر اقتصادية أساسية : الأول فيها يتعلق بالملكية ، ففى الرأسمالية تكون وسائل الانتاج من أدوات وآلات ومبان ومواد خام ملكا خاصا للافراد . وثانيها يتعلق بالادارة ، ففى الرأسمالية يتولى الأفراد ، وليست الدولة ، الادارة العامة للمشروعات الاقتصادية ، وهذا نتيجة طبيعية مترتبة على ملكيتهم لهذه المشروعات . وثالث المظاهر يتعلق بالأرباح والخسائر ، ففى الرأسمالية يتلقى أصحاب الاعمال الاقتصادية أية أرباح تنتج منها ويتحملون أية خسائر تنجم عنها ، وذلك بعد دفع ما يتطلبه العمل من الأجور والنفقات

جاكوبى : هل تظن يا هوفمان ان هذا تعريف مقبول للرأسمالية ؟

هوفمان : أظنه مقبولا . ولكنى أراه قد يحمل على الظن بأن الرأسماليين — على هذا الأساس — ليسوا الا قلة ضئيلة من الناس ، فى حين ان الواقع غير هذا .. فالستة الملايين من الزراع فى الولايات المتحدة هم رأسماليون ، لأنهم يملكون مزارع خاصة بهم يزرعونها ويستثمرونها كيف شاءوا . وفيها أيضا ثلاثة ملايين من رجال الأعمال الصغار ، يملكون ويديرون أعمالا خاصة بهم ، وهؤلاء أيضا رأسماليون . ولدينا أيضا ملايين من الناس يملكون أسهما وسندات فى المشروعات الاقتصادية المختلفة تعود

عليهم بأرباح سنوية ، وهم يعدون أيضا من الرأسماليين

جاكوبى : لقد أغفلت ان تذكر مظهرا هاما جدا من مظاهر الرأسمالية، وأعنى ان فى هذا النظام تتحدد الأسعار ، والأجور ، والدخول ، حسب المنافسة القائمة بين المشترين والبائعين فى السوق الحرة ، التى لا يتحكم فيها سوى نظرية الطلب والعرض المعروفة. ومعنى هذا بوضوح ان الاسعار تتحدد فى الرأسمالية بالمنافسة الحرة ، فى حين أنها فى النظم الأخرى ـ كالاشتراكية أو الفاشية ـ تتحدد بأوامر الحكومة

هوفمان : أظن ان ما تريد ان تقوله يا مستر جاكوبى هو هذا .. ان المشترى أى المستهلك فى النظام الرأسمالى يكون هو المتحكم فى الأمر ، فهو الذى يحدد ما يجب انتاجه . أى ان ارادته التى يمليها هى التى تجبر المنتجين على أن ينتجوا ما يريده ، وهى التى تمكنه من أن يشترى ما يريد شراءه فقط

جاكوبى : نعم .. ولهذا قال أحد الاقتصاديين انك كلما انفقت دولارا. أصدرت أمرا ! فكما يستطيع عامة الناس ان يوجهوا الحكومات كيف شاءوا بأصواتهم يوم الانتخاب ، فهم كذلك يستطيعون ان يوجهوا رجال الاعمال كما يريدون بنقودهم عند الشراء

دوجلاس : يجب على ان أوافق على أن المنافسة الحرة هى الدرجة الرفيعة ، والمنشودة ، فى النظام الرأسمالى . ولكنى ألاحظ ان هذه المنافسة توجد فى الاعمال الصغرى أكثر مما توجد فى الاعمال الكبرى . فالملايين الستة من الزراع يتنافسون فيما بينهم منافسة حرة تحملهم على ان يحددوا انتاجهم ، وأسعارهم ، وفق مشيئة المشترين ، وكذلك ملايين الصناع والتجار الصغار ، يعيشون تحت نظام من التنافس الحر السليم . هذا صحيح ، ولكن الى جانب هذا تجد صناعات كبرى تحتكرها مؤسسة واحدة . فهذه صناعة النيكل ـ مثلا ـ تسيطر عليها فى أمريكا من أولها الى آخرها شركة واحدة . وكذلك كانت صناعة الألومنيوم الى عهد حديث ، وصناعة الكبريت ، وآلات صنع الأحذية ، وآلات صنع الأوانى الزجاجية ـ كل هذه الأعمال الضخمة ما تزال محتكرة لشركة واحدة . فهل تستطيع فى مثل هذه الحالات ان تقول ان هناك منافسة تسيطر على هذه الصناعات الرأسمالية ؟

وعلى هذا فاننى أريد ان أقول ان للرأسمالية صورتين أساسيتين : « الرأسمالية التنافسية » ، وفيها

لانستطيع أية مؤسسة ان تحددبفردها أسعار منتجاتها ـ « والرأسمالية الاحتكارية » ، وفيها تستطيع مؤسسة واحدة ان تنفرد بتحديد الاسعار ، أو أن تحددها بالاتفاق مع المؤسسات الأخرى التى تنتج مثلما تنتج

جاكوبى : هذا صحيح . والواقع ان الاحتكار من أكبر مساوىء الرأسمالية . ولكن يجب ألا نغالى فى خطورة الاحتكار ، اذ ان المنافسة موجودة دائما ، ولو بطريق غير مباشر ، فالنيكل محتكر ، ولكن ثمة معادن أخرى يمكن ان تحل محله . والنقل بالسكك الحديدية محتكر ، ولكن يمكن النقل أيضا بالسيارات العامة والخاصة . وهذا النوع من المنافسة غير المباشرة من شأنه ان يهبط بالاسعار الى مايقرب من مستوى الأسعار التى تحددها المنافسة الحرة

والواقع ان الحكومة فى هذا العصر لا يصح ان تقف جانبا مكتوفة الايدى وتترك المشروعات الاقتصادية يديرها ويستثمرها الافراد المستغلون كيفما أرادوا . بل عليها ان تشارك فى الحياة الاقتصادية مشاركة فعلية ، فلا تتولى فقط الاحتكارات الطبيعية ـ مثل نقل البريد وفتح المدارس ـ بل تشترك أيضا فى شتى المشروعات الاقتصادية ، كاقامة المساكن واستصلاح الأراضى . فهل توافق على هذا يا دوجلاس ؟

دوجلاس : نعم ، فان رأيى من رأى الاقتصادى العظيم « أدم سميث » الذى قال : « ان على الحكومة واجبا ثالثا هو ان تنشىء وتتعهد بعض الاعمال والمؤسسات العامة التى لايمكن ان تكون فائدتها مقصورة على فرد واحد أو على عدد قليل من الناس بل يعم خيرها جمهرة الناس وتكون ذات فائدة عامة »

هوفمان : لا شك فى ان المصلحة العامة هى المصلحة الأولى . وهناك نواح فى الحياة الاقتصادية يجب ان تتولاها الدولة ـ لا الافراد ـ تحقيقا لهذه المصلحة العامة . ولكن الشىء الذى تستنكره الرأسمالية هو تدخل الحكومة فى أعمال يستطيع الافراد ان ينهضوا بها على الوجه الأكمل ، وان يحققوا بها المصلحة العامة على أحسن صورة ممكنة . وعلى هذا فانى أرى ان تترك الاعمال ـ بوجه عام ـ للافراد يديرونها كما يستطيعون ، ولا يترك للحكومة الا ما يعجز الافراد عن ادارته ادارة سليمة

جاكوبى : الواقع انه ليست هناك رأسمالية خالصة ، ولا اشتراكية خالصة . بل ان فى كل دولة من دول العالم جانبا من هذه وجانبا من تلك . والواجب ان يقوم توازن صحيح بين ما يصح ان تنهض به الحكومة من المشروعات ، وما يصح ان يترك

للافراد يتولونه بخبرتهم وكفايتهم
والآن دعنا نبحث المسألة في صميمها ، دعنا نتساءل : هل نجحت الرأسمالية أم باءت بالفشل ؟ وما هي النتائج التي تنتهي اليها اذا نظرنا الى انتاجنا خلال القرن الأخير ؟

دوجلاس : لدى احصاء عن السنين الستين الأخيرة ، ومنه يتبين ان انتاج أمريكا زاد بنسبة تتراوح بين ٣ ٠/٠ و ٣ ½ ٠/٠ كل سنة

هوفمان : ان للمسألة جانبين يجب ان ننظر منهما الى مسألة النمو الاقتصادي . أولهما ، مقدار ما أنتجنا ، وهنا نجد ان انتاج الولايات المتحدة هو أعظم انتاج في العالم ، فان عدد سكانها يبلغ ٦ ٠/٠ من مجموع سكان العالم ، أما انتاجها فيبلغ ٣٥ ٠/٠ من مجموع انتاج العالم . وثاني الجانبين هو مدى توزيع هذا الانتاج على سكان البلاد ، وهنا نجد ان الرجل المتوسط في أمريكا يستمتع بأعلى مستوى من المعيشة في جميع أنحاء العالم

دوجلاس : ولكن انظر معي الى احصاء عن سنة ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ ، تجد ان ٥ ٠/٠ من الأسر الامريكية التي تعيش في قمة المجتمع الامريكي تتلقى ٢٧ ٠/٠ من مجموع الدخل القومي ، أي مثل ما يصيب ٦٠ ٠/٠ من الأسر التي تكون غالبية الشعب الامريكي ، وهكذا نجد ان توزيع الدخل يجافي مبدأ العدالة ، أما توزيع الثروة فهو أكثر مجافاة للعدالة وبعدا عنها . ولكني لا أظن ان هذا ضرورة من ضرورات الرأسمالية ، بل هي سيئة ألصقت نفسها بهذا النظام ، ولست أرى ما يحول بين قيام الرأسمالية وتحقيق العدالة

جاكوبي : أريد ان أخالفك في هذا الرأي . فانه يبدو لي ان عدم المساواة في توزيع الثروة وتوزيع الدخل نتيجة لا مفر منها في النظام الرأسمالي الذي يترك الافراد أحرارا في انتاجهم حسب كفاياتهم المتفاوتة . ولكن من واجب الدولة ان تعالج هذا النقص عن طريق ما تفرضه من الضرائب ، وفي وسعها ان تحقق جانبا كبيرا من المساواة اذا هي أخذت بنظام الضرائب التصاعدية

هوفمان : هناك مشكلة أخرى من مشاكل الرأسمالية لا بد من علاجها . نعم لا بد للدول الرأسمالية ان تعمل شيئا لتلافي هذه « الأزمات الدورية » التي لا ينكر أحد ارتباطها بالنظام الرأسمالي . فان هذا النظام يعمد الى زيادة الانتاج قدر الامكان ، وذلك لجني أكثر ما يمكن من الأرباح . فلا يلبث ان يزيد الانتاج عن حاجة المستهلكين ، فتكسد البضائع في المتاجر ، وتهبط الأسعار ، فيضطر

المنتجون الى تقليل انتاجهم . ولا يكون هذا الا باغلاق بعض مصانعهم وطرد بعض عمالهم . فاذا تعطل جانب من العمال قل عدد المستهلكين، يعود المنتجون الى تقليل انتاجهم مرة أخرى ، باغلاق جانب من مصانعهم وطرد فريق آخر من عمالهم . وهكذا تحدث بطالة العمال التى تزداد يوما اثر يوم،حتى تصير أزمة عامة لاتقتصر على صناعة دون صناعة ، ولا على دولة دون دولة . فعلينا ــ ما دمنا نعيش فى نظام رأسمالى ــ ان نجد علاجا لهذه المشكلة الخطيرة

جاكوبى : نعم .. لا بد من ان نجد علاجا

هوفمان : والعلاج هو ما أخذنا به فعلا من تأمين العمال تأمينا اجتماعيا ضد البطالة . ولكن علينا ان نوسع نطاق هذا التأمين حتى يشمل العمال جميعا ، على ألا نسرف فيه اسرافا يغرى العمال بتفضيل البطالة على العمل

جاكوبى : أليس على الحكومة الى جانب هذا ان ترعى المنافسة الحرة تحميها من خطر الاحتكار ؟

دوجلاس : نعم . وعندنا قانون فى أمريكا يحرم الاتحادات الاقتصادية التى ترمى الى الاحتكار . ولكن « قانون شرمان » هذا لا يطبق فعلا، مع ان الاحتكار قد بلغ من الخطورة درجة تقتضى مقاومته بتطبيق القانون تطبيقا صارما ويجب ان تعدل الحكومة نظام « تسجيل المخترعات » لتهيىء لكل مؤسسة ان تستفيد بما يظهر من مخترعات جديدة تساعدها فى تنافسها مع غيرها من المؤسسات . وعلينا ان نجود بالمال على الأعمال الصناعية الصغرى لتستطيع ان تقف على قدميها بجانب الأعمال الكبرى

هوفمان : واذا تم هذا فاننى أتوقع ان النظام الرأسمالى يستطيع فى خلال السنين العشرين القادمة ان يضاعف دخل الرجل العادى ، بل أتوقع انه يستطيع ان يلغى الفقر الغاء . ويستطيع فوق هذا ان يحقق الغرض الأسمى: وهو تكافؤ الفرص وكفالتها لكل فرد عادى يريد ان يكون نفسه ماديا ومعنويا تكوينا كاملا

[عن صحيفة « افرى بوديز دايجست »]

قالوا لنابليون ذات عشية إذ كان يرقب فى السماء الأنجما
هل بعد فتح الأرض من أمنية ؟ فأجاب أنظر كيف أفتتح السما